

أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIDASON

# شواطئ غريبة

FURÐUSTRANDIR

STRANGE SHORES

مكتبة ٨٠٥

رواية

بيعت  
14 مليون نسخة  
من رواياته  
وترجمت إلى  
40 لغة عالمية



ثقافة

THA QAFAT

للنشر والتوزيع

Publishing & Distribution L.L.C.



GAZ

أرنالدور أندريداسون  
ARNALDUR INDRIDASON

# شواطئ غريبة

FURÐUSTRANDIR

STRANGE SHORES

مكتبة | 805  
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإيسلندي

**Furðustrandir  
Strange Shores**

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid.is

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين ثقافة للنشر والتوزيع

Copyright © 2010 by Arnaldur Indriðason

All rights reserved

Arabic Copyright © 2017 by Thaqafa Publishing & Distribution

تم ترجمة هذا الكتاب بدعم مالي من:

This Book has been translated with a financial support from:



**ICELANDIC LITERATURE CENTER**

الطبعة الأولى: نيسان/أبريل 2020 م - 1441 هـ

مكتبة  
t.me/t\_pdf

ردمك 978-9948-34-265-6

جميع الحقوق محفوظة للناشر

**ثقافة**  
للنشر والتوزيع ذ.م.م.  
Publishing & Distribution LLC.

كابيتال تاور، مركز أبو ظبي للمعارض ADNEC

ص. ب: 27977، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 6766700 (+971-2) فاكس: 6766972 (+971-2)

بيروت هاتف: 786233 (+961-1) فاكس: 786230 (+961-1)

بريد إلكتروني: smartd\_1@eim.ae

إن دار ثقافة للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء وأفكار المؤلف.

وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف

وليس بالضرورة أن تعبر عن آراء الدار.

تصميم الغلاف: علي القهوجي

أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIDASON

# شواطئ غريبة

FURÐUSTRANDIR

STRANGE SHORES

رواية

مكتبة | 805  
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

ترجمة

إسماعيل كاظم

مراجعة وتحريير

مركز التعريب والبرمجة

# مكتبة 1

t.me/t\_pdf

لم يعد يشعر بالبرد، وإنما غمره شعور غريب بالدفء، حتى إنه لو هلة اعتقد أن حرارة جسده قد انخفضت بل تلاشت، ولكنه ها هي ذي الآن تفيض أطرافه بها فتسبب توهجا مفاجئا لوجهه.

استلقى على ظهره في العتمة سارحا في أفكار مشوشة جعلته لا يميز الحد الفاصل بين اليقظة والحلم، لذا وجد صعوبة في التركيز وإدراك ما يحصل له، تراوح وعيه بين مدّ وجزر، لم يكن يشعر بالتوعك، وإنما مجرد نعاسٍ لذيذ جعله يترجح فوق موكب من الأحلام، والرؤى، والأصوات، والأماكن المألوفة بالنسبة إليه، لكنها مع ذلك بدت غريبة على نحو ما. تلاعب به ذهنه ممارسا حيلة فريدة تروح به وتجيء بين ماضٍ وحاضر عبر الزمان والمكان، فتارة يرى نفسه إلى جوار أمه وهي في المستشفى تفارق الحياة، وتارة أخرى يرى نفسه وقد هوى في عمق شتاء قاتم مستلقيا على الأرض حيث بيته الريفي المهجور الذي كان يقطنه في يوم ما، لا شك في أن كل هذا هلوسة فحسب.

"لماذا أنت مستلقٍ هنا؟".

رفع رأسه ليميز شخصا يقف عند المدخل، لا بد أنه مسافر انتهى به المطاف إلى المنزل. لم يفهم سؤاله.

سأله المسافر مرة أخرى: "لماذا أنت مستلقٍ هنا؟".

أجابه: "من أنت؟".

لم يكن بإمكانه أن يميز وجه الرجل، تماما، كما لم يكن بإمكانه سماعه وهو يدخل. كل ما أدركه هو خياله الذي استمر يسأل بالحاح مرارا وتكرارا.

"لماذا أنت مستلقٍ هنا؟".

"أنا أعيش هنا! من أنت؟".

"سأبقى معك الليلة، بالطبع إذا سمحت لي".

جلس الرجل إلى جواره على الأرض ويبدو أنه قد أشعل نارا، شعر بالدفء يلفح وجهه، تمدد ساعيا نحو اللهب. لم يختبر هذا البرد إلا مرة واحدة، هذا ما يعتقده.

كرر السؤال للمرة الثالثة: "من أنت؟".

"جئت لأصغي إليك".

"لتصغي إليّ! من ذاك الذي برفقتك؟".

لم يكونا وحدهما فقد كان هناك حضور شفاف غير ملموس لشخص ما بالقرب من الرجل.

كرر السؤال مرة أخرى: "من ذاك الذي برفقتك؟".

"لا أحد". أجاب المسافر: "أنا فحسب! أهذا منزلك؟".

"هل أنت يعقوب؟".

"لا، لست يعقوب". واستطرد: "إن صمود هذه الجدران لأمر استثنائي،

لابد أن هذا المنزل متين البناء".

"من أنت؟ هل أنت بواس؟".

"أنا مجرد عابر سبيل".

"هل سبق لك أن أتيت إلى هنا؟".

"نعم".

"متى حصل ذلك؟".

"منذ عدة سنوات، عندما كان هناك أناس يقطنون المنزل. هل تعلم ما

حل بهم، أقصد العائلة التي كانت تسكن هنا؟".

الظلمة تحاصره من كل الجهات، شلل يمنعه من الإتيان بأية حركة،  
ليغدو وحيدا مجددا بعد أن اختفت النار والمنزل المهجور وكأنهما لم يكونا  
في الأصل، مسجى في ظلمة البرد القارس والدفء يتسرب من وجهه وأطرافه.  
وها هو ذا مجددا يسمع صوت احتكاك يتهدى من مسافة بعيدة وباردة.  
يزداد صخبه رويدا رويدا مصحوبا بعويل حاد من الألم.

## 2

وقف عند جرف اندار كلتشر تحت رذاذ المطر مترقبا، في حين يقوم صيادٌ بالتقدم نحوه ببطء، تبادلًا تحية لبقة لتكسر كلماتها الصمتَ وكأنها تُبث من عالم غريب.

كانت الشمس قد توارت خلف الغيوم لعدة أيام متوالية، غطى الضباب الخليجان كعباءة سميكة، وكانت هناك توقعات بانخفاض درجات الحرارة وتساقط الثلوج، كانت الطبيعة غارقة في سباتها الشتوي. سأله الصياد عما كان يفعله هناك في الأعلى، فلا أحد يزور تلك الأراضي البور في هذه الأيام سوى المسنين أمثاله بغرض تصفية الثعالب. حاول التهرب من السؤال بالإجابة بأنه من ريكيافيك. أشار الصياد إلى أنه رصد أحدهم هناك في الأسفل في العقار المهجور بالقرب من الخليج.

"أظنك رأيتني أنا".

لم يلح الصياد في الاستفسار عن الموضوع، ولكنه أشار إلى أنه يملك مزرعة في الجوار، وأنه خرج بمفرده في ذلك اليوم. واستطرد سائلا: "ما اسمك؟".

"إرلندور".

صافحه قائلا: "أنا بواس، هناك مطارِد للأغنام يعيش في المناطق الصخرية المرتفعة، يا لها من مصيبة! لقد هاجم العديد من القطعان مؤخرا".

"هل هو ثعلب؟".



"قبل أيام، أمسكت به وهو يحوم حول الأغنام". قال بواس وهو يحك ذقنه: "افترس أحد خرافي، وروّع القطيع بأكمله".  
"أعتقد أنه يختبئ في هذه الأرجاء؟".  
"رأيته يهرب بهذا الاتجاه بضع مرات، أكاد أجزم بأنها منطقته".  
"إن كنت ستقصد الجرف فلا مانع لديّ من أن تبقى برفقتي".  
تردد لبرهة، ثم أشار بالإيجاب، بدا المزارع راضيا عن ذلك؛ فلا شك في أنه سيكون سعيدا بالحديث معه.

كان يحمل بندقيّة صيد تتدلى من كتفه، إضافة إلى حزام الذخيرة، وعلى الكتف الأخرى توجد حقيبة جلدية، وتحت ذلك كله كان يرتدي معظفا رثا وسروالا مضادا للماء بلون أخضر باهت. كان رجلا قصيرا مفعما بالحيوية بالرغم من أنه بدا في عقده السادس. كان حاسر الرأس فيما تدلت خصلة شعر سميكة على جبينه مخفية عينين صغيرتين لامعتين. أنفه أفطس ومعوج كأنه قد كُسر منذ زمن طويل ولم يُجبر بشكل صحيح. أما فمه فقد اختفى خلف شعر لحيته الأشعث ماعدا الوقت الذي كان يقوم به بالحديث، فقد كان شخصا ثرثارا يُبدي رأيه بكل شيء في الوجود. ومع ذلك فقد امتنع بلباقة عن الإكثار من الأسئلة حول تنقلات إرلندور، أو سبب اختياره البقاء في خرائب المزرعة الصغيرة في باكسيل.

كان إرلندور قد اتخذ من البيت القديم منزلا له. كان السقف سليما إلى حد ما ولو أنه لم يكن يمنع تسرب المياه، إضافة إلى أن عوارضه الخشبية كانت متهاكّة، لكنه مع ذلك استطاع إيجاد بقعة جافة على أرضية مكان بدا أنه قد سبق استخدامه بوصفه غرفة معيشة. استمرت العاصفة والأمطار لمدة يومين على التوالي، عصفت الرياح بالجدران المفتوحة على العراء، لكنها ظلت رغم ذلك ملاذا يقيه من البلل، ومما ساعده أيضا على البقاء دافئا

اقتصاده في استخدام المصباح الغازي الذي حافظ على إنارته خافتة؛ إنارة تسللت إلى مكان جلوسه فيما بقي كل ما حوله غارقاً في ظلام حالك كما لو أنه كان داخل قبر.

لم تكن لدى إرلندور أدنى فكرة عن المالك الحالي، فالمصرف كان قد حجز على المنزل والأرض في آن، لذا لم يلاقِ أي اعتراض بشأن تخييمه هناك في أثناء ترحاله شرقاً. لم يصطحب معه أمتعة كثيرة، ركن سيارته المستأجرة الزرقاء ذات الدفع الرباعي خارج البوابة الأمامية، كان مظهرها الشبيه بسيارة الجيب كفيلاً بقه الطقس القاسي في أثناء قيادتها إلى المنزل حيث الطريق إليه كان شبه مختفٍ بفعل نمو النباتات التي لم تكن موجودة من قبل، وكأن الطبيعة حانقة على من سكنوا هناك فطمست أي أثر لوجودهم بمحاولتها دمج العقار مع محيطه شيئاً فشيئاً.

كلما ارتقى مع بواس في الارتفاع كانت الرؤية تنعدم تدريجياً إلى أن طوقتهما الغيوم البيضاء من كل صوب، وما إن وصلا إلى القمة حتى تحول الرذاذ إلى أمطار خفيفة لذا خلفت أقدامهما آثاراً في الأرض المبتلة. أصغى الصياد إلى نداء الطيور، وراح يقتفي آثار طريدته في العشب الرطب، فيما واصل إرلندور السير خلفه بصمت، هو الذي لم يكمن في يوم من الأيام لثعلب، لم يتعقب حيواناً ولم يصطد السمك حتى في نهر أو بحيرة، فما بالك بقتل فريسة أكبر كغزال الرنة.

"لست برجل يهوى الصيد؟". سأل مستغلاً توقفهما لاستراحة قصيرة وكأنه كان يقرأ أفكاره.

"لا".

"لا تأبه بي؛ فهذا ما ترعرعت عليه". فتح بواس حقيبته الجلدية، قدّم لإرلندور شريحة داكنة من خبز الشعير وقطّع إلى جانبها قطعة كبيرة من لحم

الضأن المهروس متابعا: "في هذه الأيام أقوم باصطياد الثعالب على وجه الخصوص، لأبقي أعدادها تحت السيطرة، الثعالب الصغيرة التافهة تصبح أكثر جرأة يوما بعد يوم، لا تثار شخصي يدفعني إلى معاداتها فهي كأني مخلوق آخر يحق له العيش، ولكن الحذر واجب وعليّ إبقاؤها بعيدا عن القطيع، يجب أن يكون كل شيء متوازنا".

أكلا الخبز الأسمر، كان اللحم شهيا، مما دفعه للتخمين بأنه أُعد في المنزل، لم يكن بمقدوره أن يقدم شيئا إضافيا لهذه الوجبة إذ لم يكن يحمل في جعبته أي مؤن، شيء غريب دفعه إلى قبول هذه الدعوة اللطيفة التي يكن ينشدها؛ ربما هي رغبته في التواصل مع الآخرين فقد مضت أيام على عدم مقابلته أحدا، وهذه أيضا حال بواس، هذا ما خطر في باله.

سأله المزارع: "ماذا تعمل في المدينة؟".

لم يُجبه على الفور

"أنا آسف، يا لي من وغد متطفل".

أجابه نافيا: "لا عليك، أنا شرطي".

"لا أظنه عملا مسليا".

"لا، ولكن رغم ذلك لا يخلو من بعض اللحظات الممتعة".

استمررا بتسلق الجرد، كان يحرص على أن يطاء نبات الخلنج بخفة، كان يقف بين الفينة والأخرى، ينحني ليمرر يده على الشجيرات النامية، محاولا البحث في ذاكرة طفولته عن اسم بواس، لكن الاسم لم يكن له أي وقع في ذاكرته، وهذا ليس بالأمر الذي يدعو للاستغراب فهو قد عاش في الشرق فترة قصيرة نسبيا بيد أن قدمه لم تطأ المنطقة منذ انتقاله إلى المدينة.

كان من النادر أن تلمح أسلحة في منزله، مرت في باله خيالات مبهمة لعابر سبيل كان قد عرّج على منزل والديه للتحدث مع أبيه، كان يحمل بندقية

في يده ويشير باتجاه النهر، تذكر أن خاله كان يمتلك سيارة جيب وأن هوائته كانت صيد غزلان الرثة.

عمل مرافق صيد لسكان المدينة الذين كانوا يتوجهون شرقا بقصد اصطياد الغزلان، وكان يحضر اللحم لعائلته، فقد كانت شرائح اللحم المقلية متعة حقيقية. لكنه لم يكن باستطاعته تذكر أن أحدا اصطاد الثعالب، ولا مزارعا اسمه بواس.

"ستجد في جحر الثعلب أغرب الأشياء"

علق بواس وهو يتحرك بخطوات سريعة، ثم استطرد قائلا:

"الثعالب لا تجوع أبدا، فهي تستمر بالتجوال نزولا باتجاه الشاطئ لتقتات على طيور الغيلموت الغارقة، والمحار، والسلطعونات. حتى أن صغار الثعالب تأكل التوت البري إضافة إلى فئران الحقل غريبة الأطوار. وإذا كان الثعلب محظوظا فسيحظى بنعجة أو خروفٍ ميت بين الفينة والأخرى. ولكن ها هو ذا مطارذ الأغنام الفريد؛ هذا الذي تعلق بطعم اللحم الحي بمجرد تذوقه. والآن يجب على بواس مطاردة هذا الوباء والقضاء عليه، ولكن بلا أية متعة تخطر في البال".

"طقس غير مستقر". كان المزارع يوجه الحديث إليه أو لربما كان يفكر بصوت عالٍ فحسب لذا لم يجبه. كان يسير متتبعا خطوات قدمي الرجل وهما تخوضان في أحواض نباتات الخلنج، مستمتعا بقطرات المطر الباردة التي تخترق وجهه. كان يحفظ هذه الجرود عن ظهر قلب لكنه مع ذلك فقد وضع ثقته في المزارع فتبعه حتى شعر أنه فقد القدرة على تحديد مكانهما بشكل دقيق. خاض بواس بخطوات حثيثة، وبثقة وابتهاج، مثرثرا باستمرار دون أن يكلف نفسه عناء التأكد من إصغاء مرافقه الجديد له.

"لقد شهدنا في الأرجاء بعض التغيرات الطفيفة منذ أن بدأت أعمال الإنشاءات".

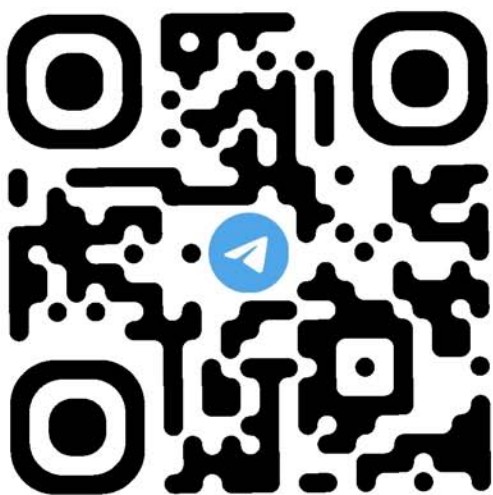
قال ذلك في أثناء توقفه وهو يُخرج منظارا من حقيبته: "كان لهذا أثرٌ على البيئة، ولربما لاحظت الثعالب ذلك، ومن المحتمل أنها لم تعد تجرؤ على النزول نحو الشاطئ بعد الآن بسبب المصنع وحركة الملاحة. لكن ما أدراني أنا!". أعاد المنظر قائلا: "لا بد وأنا أصبحنا قريبين".

علق إيرلندور: "رأيت العمل جاريا على معمل الصهر الجديد وأنا أقود على الطريق من ريكيافيك".

أجابه بواس: "إنه لشيء قبيح".

"قمت بإلقاء نظرة على السد أيضا، لم يسبق لي أن رأيت شيئا بهذه الضخامة".

انضم إلى مكتبة .. اصصح الكود



### 3

كان بإمكانه سماع بواص يتمتم متذمرا بصوت خافت وهما يتابعان التسلق. بدا كأنه يقول: "هل من المعقول أنهم سمحوا بحدوث شيء مثل هذا!".

كان يفكر وهو يكدح طوال الطريق للحاق به في الأساسات التي كانت تشيّد لمعمل صهر الألومنيوم الضخم في محيط خليج ريدار فورديور البديع، وسفينة الشحن العملاقة التي رست هناك، ناقلة مواد البناء للمصنع، والسد المثير للجدل، في كارانجوكار في المناطق المرتفعة. لم يستطع أن يفهم كيف يسمح لشركة متعددة الجنسيات غير خاضعة للمساءلة وتدير أعمالها من منطقة بعيدة في أمريكا بإنشاء مصانعها في خليج تعمه السكينة مدمرة الطبيعة العذراء في هذه المنطقة القصية من شرق آيسلندا.

توقف بواص في منتصف رقعة صخرية، وأشار إليه بأن يفعل المثل. حذا حذو المزارع، ركع على ركبتيه محدقا إلى الضباب. مرت دقائق من دون أن يلحظ أية حركة، ولكن وبشكل مفاجئ وجد نفسه يحدق إلى عيني ثعلب يقف على بُعد خمسة عشر مترا، محدقا إليهما بأذنين متأهبتين. أحكم بواص قبضته على السلاح بشكل خاطف، لكنه كفيل بأن يجفل الثعلب، ويجعله يهرع بسرعة خاطفة نحو المنحدر، ليختفي عن الأنظار بلحظة.

قال الصياد وهو يلقي البندقية على كتفه مرة أخرى قبل أن يتابع طريقه: "ليباركها الرب".

تساءل إرلندور: "أهي الجاني؟".

"نعم، هذه هي اللعنة الصغيرة. أعرف الأراضي في هذه المنطقة كما أعرف كفت يدي، أكاد أجزم بأننا أصبحنا قريبين، إنها تعود إلى جحورها جيلا تلو الآخر، أتعرف؟ أجرؤ على القول إن لبعضها تاريخا يعود إلى زمن بعيد جدا، رغم أنها قد لا تعود إلى فترة العصر الجليدي".

استمرا بالسير عبر صمت الطبيعة إلى أن وصلا إلى مخبأ مصنوع من كومة حجارة مغطاة بالطحالب. طلب إليه بواس أن يتنفس بعمق، وأردف أن اتجاه الرياح كان يصب في مصلحتهما، وأنه سيلقي نظرة حول المكان. جلس إرلندور على الطحالب بانتظاره. حاول تذكر كل ما يعرفه حول ثعالب القطب الشمالي. يُقال إنها أول من استوطن أيسلندا قبل آلاف السنين في نهاية العصر الجليدي. لا بد أن بواس يحترم هذه الحيوانات الضارية نظرا إلى الطريقة التي تحدث بها عن الثعالب ومباركته إياها، كما يفعل الأصدقاء القدماء. بالرغم من ذلك، فقد كان مستعدا لإبادتها إذا اقتضت الضرورة، كما لو أنه يقوم بعمل روتيني.

عندما عاد بواس، قال: "إنها هنا، فليباركها الرب، كل ما نحتاج إليه الآن هو شيء من الصبر". وجلس بالقرب منه في المخبأ. أراح بندقيته وحزام الذخيرة عن كتفه، ووضع جانبا حقييته الجلدية، مبرزا قارورة جيب قدمها لإرلندور الذي امتعض ما إن تذوق محتواها. من الواضح أن بواس هو من صنع هذا الويسكي، ولكن طريقته في تقطيرها لم تكن ناجحة.

قال بواس بطريقة خطابية وهو يستعيد القنينة: "لماذا يُعتبر تقليل تعداد السكان أمرا مهما؟ لم يكن الريف مسكونا حين وصلنا، فلماذا لا يُهجر مرة أخرى حين نغادر؟ لماذا نبيع الأرض للسماسرة في محاولة لإيقاف مسير الطبيعة المتقنة؟ قل لي إن الناس يذهبون ليحل مكانهم أناس آخرون، أقل لك ما يمكن أن يكون أكثر طبيعية من هذا؟".

استهجن إرلندور كلامه.

تابع بواس: "انظر إلى فالغوردور المسكينة على عتبة بابك بهذين المسخين اللذين ينفثان السم ليل نهار، ولصالح من كل هذا؟ لصالح حفنة من الأجانب فاحشي الثراء الذين لن يستطيعوا حتى تحديد أيسلندا على الخريطة! هل هذا هو قدرنا؟ أن نصبح مصنعا لأناس مثل هؤلاء؟".

مرة أخرى، ناول الزجاجة لإرلندور الذي ارتشف هذه المرة بحذر شديد. نبش بواس حقيته مجددا، وأخرج شيئا كبيرا مغلفا بالنايلون، ما إن فتحه حتى انبعثت رائحة نتنة. كانت كتلة من اللحم الفاسدة، رماها إلى أبعاد مسافة ممكنة باتجاه منطقة الثعالب، ثم مسح يديه بالطحالب، وأسند ظهره مرة أخرى واضعا البندقية إلى جانبه.

"لن تستغرق وقتا طويلا حتى تصلها الرائحة المنبعثة".

انتظرا بصمت فيما تساقط المطر.

بعد برهة قال بواس: "بالطبع، لم تذكرني".

سأل إرلندور وهو يسعل: "أيجدر بي تذكرك؟".

أجابه بواس: "لا، سيكون من المفاجئ إن فعلت، ففي نهاية المطاف لم تكن ما أنت عليه الآن في ذلك الوقت، ولم أكن أعرف والديك في ذلك الوقت؛ لم نكن على تواصل".

"عن أي وقت تتحدث؟ وماذا تعني بأني لم أكن ما أنا عليه الآن؟".

أجابه بواس: "خلال البحث، عندما كنت وأخاك مفقودين".

"هل شاركت في عملية البحث؟".

"نعم انضممت إلى مجموعة البحث كما فعل الجميع، سمعت أنك تزور المكان بين الحين والآخر. تجول الأراضي البور كأنك شبح، تنام في المزرعة القديمة باكسيل. أما زلت تعتقد أنك ستجده، أليس كذلك؟".



"لا، لا أعتقد ذلك، هل هذا ما يتناقله الناس؟".

"نحن، معشر العجائز نحب أن نستذكر الماضي، وحدث أن ذكر أحدهم أنك تتسلى الجرود، ولعل وجودك هنا يثبت ذلك".

لم تكن لديه رغبة في شرح تصرفاته لشخص غريب، أو تبرير نمط حياته. إنه مسقط رأسه، وهو يزوره كلما شعر برغبة في ذلك، لقد تجول كثيرا في المنطقة، لكنه يُفضل النزول في خرائب منزل المزرعة على أي فندق. في بعض الأحيان كان ينصب خيمة، وفي أحيان أخرى يكتفي بمدّ كيس النوم الخاص به على بقعة جافة من أرض المنزل.

سأله: "أنت تتذكر عملية البحث؟".

أجابه بواس من دون أن يرفع عينيه عن الطعام: "أذكر أنهم وجدوك". وتابع: "لم أكن معهم، لكن الأخبار انتشرت بسرعة حاملّة ارتياحا بالغا، بعدها كنا على يقين من أننا سنجد أخاك".

"لقد مات".

"يبدو الأمر هكذا".

صمت إيرلندور.

سأله بواس حاثا إياه على الحديث: "أكان أصغر منك؟".

"نعم أصغر بعامين، لقد كان في الثامنة".

مضى على جلوسهما في ذلك المكان عدة دقائق، شعر بواس بتغير خفيف في محيطهما. لم يستطع إيرلندور تمييزه، اعتقد أنه شيء يتعلق بسلوك الطيور. مرت برهة قبل أن يسترخي بواس، ويقدم له قطعة أخرى من الخبز الأسمر ولحم الضأن المهرّوس، ورشفة من قنينته التي احتوت على الشراب السام. استقر الضباب فوقهما كغطاء أبيض وثير. بين الفينة والأخرى كانت تتناهى إلى سمعيهما زقزقة عصفور، ما عدا ذلك كان كل شيء ساكنا.

لم يتذكر أي شخص من مجموعة البحث على وجه الخصوص، فقد نقلوه على وجه السرعة من الجروف، كان جسده متصلبا كقالب ثلج. تذكر الحليب الدافئ يقطر بين شفثيه في الطريق، لكن بعد ذلك أُغمي عليه، ولم يعد يعي أي شيء إلى أن وجد نفسه في الفراش والطبيب يفحصه. سمع أصواتا غريبة في المنزل، فطرته أخبرته أن هناك خطبا ما قد حصل، لكنه لم يستطع على الفور تحديده. هنا راودته ذكرى:

أمه تحتضنه بشدة، وتخبره أن أباه قد نجا، استطاع العودة إلى المنزل عكس كل التوقعات، لكنهم لا يزالون في الخارج يبحثون عن أخيه، فقد وجب عليهم أن يجدوه بسرعة، سألته إذا كان بإمكانه تقديم المساعدة عبر إخبار فرق البحث عن موقع تقريبي ليبحثوا فيه. لكنه لم يتذكر سوى الصراخ والبياض الخالص الذي ضربه على ركبتيه مرارا وتكرارا حتى لم يعد يقوى على الإتياء بأية خطوة أخرى.

رأى قبضتي بواس تتأهبان عندما ظهرت أنثى الثعلب من الضباب متوجهة بحذر نحو الطعم. اقتربت أكثر وهي تشم الرائحة، وقبل أن يستطيع إرلندور سؤال بواس عما إذا كان حقا من الضروري قتلها، كان الصياد قد أطلق النار بالفعل، وها هي ذي أنثى الثعلب مكومة على الأرض، وقف بواس وتوجه لجلب الطريدة.

سأله وهو يُدخل الطريدة إلى المخبأ: "أترغب في بعض القهوة؟". أخرج حافظة القهوة من حقيبتته، وفك الغطاءين اللذين استخدمهما كفنجان قهوة. مرر أحدهما إلى إرلندور، بعد أن ملأه بسائل تصاعد منه البخار، سائلا إياه عن رغبته في إضافة بعض الحليب، أجاب إرلندور بالنفي، مخبرا إياه أنه يفضل شرب القهوة السادة.

"عليك أن تتناول الحليب، من غير الطبيعي ألا تفعل ذلك". هتف بواس وهو ينبش الحقيقة غير قادر على إيجاد ما يبحث عنه. "اللعنة! أغادر فحسب ناسيا حاجاتي اللعينة".

ارتشف رشفة كبيرة من القهوة، وعلّق بأنها غير صالحة للشرب، حينها انفعل بوضوح، راح ينظر حوله، يضرب جيوب معطفه، كأنه قد يجد عبوة حليب مخبأة في أحدها. في نهاية المطاف تعلقت عيناه على الطريدة.

"لربما كان كل هذا بلا جدوى". علّق وهو يمسك أنثى الثعلب متحسسا أسفل بطنها بحثا عن أئدائها ليكتشف أنه فارغ.

مشى إرلندور ببطء نحو المنزل في ريدار فيديور، حيث شاهد امرأة تجلس قرب النافذة وقد واجهت مكانه، ظن أن المرأة انتظرت طوال النهار في هذا المكان، بالرغم من أنه لم يخبر أحدا أنه قادم للزيارة، وما زال مترددا حول ما إذا كان يفعل الصواب. أيا يكن فقد غلب فضوله تحفظاته.

في أثناء نزولهما من الجرد، سأل إرلندور بواس عن الحكاية التي سمعها عندما كان طفلا وقد بقيت ملازمة له منذ أن سمعها. لقد سمع أهله والجيران الحكاية وقتها، ولربما كانت العامل المحفز في قراره التوجه إلى الخليج الشرقي في هذا الخريف.

سأله بواس: "أنت تعمل في الشرطة، ما الذي تقوم به تحديدا؟ أنتظم حركة المرور؟".

أجابه إرلندور: "سبق لي أن عملت فترة في قسم المرور، ولكن هذا كان منذ مدة طويلة، لا أدري ما إن كنت قد سمعت بأنه أصبحت هناك إشارات ضوئية في هذه الأيام لتنظيم حركة المرور".

ابتسم بواس على التهكم. كان يحمل أنثى الثعلب على كتفه، وقد جعل دمه معطفه داكن اللون، كان قد قام بأفضل ما يستطيع لمسحه عن يده مستخدما الطحالب الرطبة. لقد خطط لإمضاء الليلة في الجرد، لكن عملية الصيد سارت أفضل مما هو متوقع، لذلك فقد افترض أنهما سيعودان إلى المدينة قبل حلول الظلام.

سأله إرلندور: "لقد عشت جَلّ حياتك في هذه المنطقة، أليس كذلك؟".

أجابه بواس: "لم أحلم بالعيش في أي مكان آخر، لن تجد أفضل من أيسلندا مكانا للسكن".

"لابد أنك سمعت بقصة المرأة التي رحلت لعبور ممر هرايفرسود ولم تعد؟".

أجابه بواس: "تبدو القصة مألوفة بالنسبة إليّ".  
قال إرلندور: "تُدعى المرأة ميثلدور، وقد غادرت وحيدة".  
"في الحقيقة لقد سمعت باسمها". توقف بواس ونظر إلى إرلندور: "قل لي ماذا تعمل في الشرطة؟".  
"محقق".

"في أي نوع من الجرائم تحقق؟".  
"كل الأنواع: الجرائم المتسلسلة، القتل، أحداث العنف".  
"إنك تحقق في كل ما هو كره".  
"إن شئت تسميته بذلك".  
"والأشخاص المفقودين أيضا؟".  
"أجل".

"هل تردك كثير من القضايا؟".  
"ليس بالكثير".

قال بواس: "ما إن يختفي جيلي، فلن يبقى هناك أحدٌ ليتذكر قصة ميثلدور".

أخبره إرلندور: "سمعت بها للمرة الأولى من أبي، كانت أمي على معرفة سطحية بها، ولطالما وجدتها...".  
توقف بحثا عن الصفة المناسبة.  
اقترح بواس: "غامضة".

صحح إرلندور: "مثيرة للاهتمام".

أزاح بواس العباء عن كاهله، قوّم ظهره، محدقا عبر الغمام إلى القرية القابعة قرب البحر. لقد أوشكا على الوصول إلى أوردار كليتور، حيث أصبح الجو أكثر برودة والضوء أكثر خفوتا. وضع بواس أنثى الثعلب مرة أخرى على كتفه، لقد سبق لإرلندور أن عرض عليه مساعدته بحملها، لكنه رفض، وأخبره أنه ما من داع ليلطخ ثوبه هو الآخر.

علّق بواس: "بالطبع، لا بد أن تكون مهتما بهذا النوع من الأمور". لا يزال عقله يعمل على البحث عن شخص مفقود. بدا كأنه يتكلم مع نفسه أكثر مما كان يتكلم مع إرلندور، لقد ازدحمت الأفكار في رأسه للحظة، ثم تابع نزوله المنحدر عبر السفح الصخري الذي تغطي نباتات الخلنج بعض مناطقه.

"إذن، أتعرف قصة الجنود البريطانيين الذين حوصروا في أثناء العاصفة هنا في الجرد خلال الحرب؟ كانوا جزءا من قوات الاحتلال التي تمركزت في رايدا فيديور".

أخبره إرلندور أنه سمع بالقصة عندما كان صغيرا، إضافة إلى أنه قرأ عن ملابساتها في وقت لاحق، لكن هذا لم يمنع بواس من إعادة سرد القصة، فقد كان سؤاله ذا مغزى، لم يكن بصدد أن ينكر على نفسه متعة سرد حكاية رائعة.

قامت مجموعة مكونة من ستين مجندا بريطانيا شابا بحملة استكشافية انطلاقا من رايدا فيديور سيرا على الأقدام نحو إيسكيفيغندور عبر ممر هرايفرسورد. لكنهم تعرضوا للكثير من المصاعب في طريقهم، تبين أن الطريق عبر الممر كان خطيرا جدا بسبب الجليد، ولكنهم بدلا من أن يعودوا عبر الطريق الذي قدّموا منه توغلوا أكثر في البرية مارّين بوادي تانغولادور ثم نزلوا عبر جرد إيسكيفيغندور. كانوا في نهاية شهر كانون الثاني، تردى الطقس

بصورة عنيفة خلال النهار، وتحولت السماء إلى اللون الأسود، ما أجهض مساعيهم في الوصول إلى وجهتهم في ضوء النهار.

عشية ذلك اليوم، كان فلاح من فيترهوس يجاهد في شق طريقة عبر العاصفة ليصل إلى مزرعته فعثر مصادفة على أحد الجنود وقد أعياه الإرهاق والبرد. رغم وهنه الشديد، كان الرجل قادرا على التحدث فأخبر الفلاح عن وجود رفاق له في خطر. هرع عمال المزرعة حاملين بأيديهم قناديل تعمل على الزيت وأخذوا يبحثون عن رفاق الجندي، عثروا في الحال على اثنين من الجنود عند سفح المزرعة، وتتالى تدفق رفاقهم من الجرد واحدا تلو الآخر، حتى بلغ عدد الناجين ثمانية وأربعين. تبين لاحقا أن هطول الأمطار الغزيرة جعل النهر يفيض قاطعا الطريق بينهم وبين القرية، تمكن بعض الجنود من العبور عندما كانت المياه لا تزال منخفضة، أما الباقون فقد حُوصروا عند الضفة الأخرى، وكان بالإمكان سماع صرخات الاستغاثة وصولا إلى المزرعة. لقي أربعة ممن تعرضوا للفيضان مصرعهم، وتمكن بضعة منهم من إيجاد طريقهم إلى القرية، كانوا في حال يُرثى لها. عند طلوع ضوء النهار الذي جلب تحسنا طفيفا للأحوال الجوية، خرج الفلاح إلى وادي إيسكيفيغندور مصطحبا الجندي بحثا عن المزيد من الجنود، كان بعضهم لا يزال على قيد الحياة، في حين أنه مات آخرون وكان النقيب واحدا منهم. وعثر على إحدى الجثث في البحر، يُرجح أن الرجل انزلق إلى نهر إيسكيفيغندور ومن ثم جرفه التيار وصولا إلى الخليج، وفي النهاية ظهر كل الجنود البريطانيين بطريقة أو بأخرى.

لقد استُفيض في الحديث عن هذه الحادثة في المنطقة، والشيء الذي اتفق عليه الجميع أن الأحداث كان من الممكن أن تكون أسوأ لولا الجهود البطولية لأهالي فيترهوس التي أتت في وقتها المناسب.

قال بواس وهو يسير أمام إرلندور، وأثنى الشعب تتدلى من كتفه ويترجح رأسها: "سمع العديد من الناس بقصة الجنود البريطانيين، ولكن قليلين منهم يتذكرون ميثلدور هذه الأيام، لقد اختفت في ذات العاصفة، استنادا لإفادة زوجها، فقد كانت تخطط للسير عبر ريدار فوردور على نفس المسار الذي اتخذه الجنود، سالكة الممر. لقد سبق لها أن سلكت ذلك الممر. ولكن عندما سُئل البريطانيون عما إذا كانوا قد شاهدوها، أقسموا إنهم لم يروها على الإطلاق".

سأل إرلندور: "ألا يفترض بهم أن يلتقوا بها؟ فقد كانوا في المنطقة نفسها في الوقت ذاته، وتحاصرهم العاصفة نفسها، ولكنهم أتوا من اتجاهين متقابلين، وأظن أنه من المنطقي أن يلتقوا بها، إلا أنه بالنظر إلى كفاحهم جميعا من أجل البقاء ربما جعل ذلك الطرفين لا ينتبهان إلى بعضهما. في نهاية المطاف عُثر على جميع الجنود، ولم يُعثر على أثر لميثلدور. في وقت لاحق، أرسلت فرق للبحث عن ميثلدور عندما اكتُشف أنها لم تصل إلى رايدار فيديور".

"ماذا قال زوجها؟"

"قال إنها قررت الذهابَ لزيارة أمها التي تقطن في رايدار فيديور عبر طريق افترضت أنها تعرفه. وأضاف أنه حاول ثنيها عن عزمها لكنها أصرت. كنت ستعتقد، من طريقة وصفه، أنه كان من المقدّر لها الذهاب".

"لماذا لم يرافقها؟"

"لا أدري، لكنه أخبر الناس عن وجهتها قبل أن تنتشر أخبار الجنود البريطانيين، لم يكن يدرك أنهم موجودون في المنطقة نفسها".

"هل قال إنها فُقدت؟"

"لا، قال إنها خرجت في رحلة لزيارة أمها".



"هل هذا مهم؟".

"كما ذكرت سابقا، قد تتوقع أن الجنود صادفوها أو على أقل تقدير رأوها، بالرغم من أن الرؤية كانت شبه معدومة. وعندما سأل الناس أهلها في رايدار فيديور عما إذا كانوا ينتظرون حضورها، أجابوا أنهم لم تكن لديهم أدنى فكرة أنها كانت تخطط لزيارتهم حينها أو في وقت قريب".

سأل إرلندور: "لماذا لم تستخدم القارب أو السيارة؟ كانت الطريق الواصلة بين إيسكيفيغندور ورايدار فيديور قابلة للاستخدام حينها".

"أرادت السير، فقد تحدثت لبعض الوقت عن رغبتها في القيام بالرحلة. البريطانيون أيضا؛ كانوا ضجرين ولم يقوموا بالرحلة الاستطلاعية إلا لإضفاء بعض الحيوية على فترة الركود، لم يكن لديهم عمل محدد في إيسكيفيغندور، كان عبارة عن مسير ممتع في طقس جميل، لم تكن هناك أية إشارة إلى عاصفة تلوح في الأفق".

"إذن، فقد ذكرت لزوجها ما كانت تنوي القيام به؟".

"نعم".

"هل ناقشت ذلك مع أي شخص آخر؟".

"لا أعلم، لكنني أشك في ذلك".

حدقا صوب القرية الغافية في حضن الخليج الذي يخيم عليه الهدوء والسكينة.

سأله إرلندور: "برأيك ما الذي حصل وقتها؟".

أجابه بواس: "وما أدراني، ليست لدي أدنى فكرة".

طرق إرلندور على الباب عدة طرقات، منتظرا أن تفتح المرأة الجالسة بالقرب من النافذة، لكن دون جدوى. في النهاية فتح الباب ودخل، من دون

أن تدعوه للدخول. لم يعرف سبب عدم استجابتها، ولكن خطر بباله أنها كانت عاجزة بشكل أو بآخر. وجد طريقه للباب المؤدي إلى غرفة الجلوس. لم تتحرك المرأة من مكانها قرب النافذة، ولم تُجبه عندما ألقى التحية، استمرت بتأمل الإطالة فحسب.

اقترب منها وحيها مجددا: "طاب نهارك". حينها التفتت إليه بوجه عابس ونظرة ملؤها السخط.

"لم أدعك للدخول!؟".

أجابها: "أنا آسف، كان يجب أن أقرع مسبقا لأنبهك إلى قدومي".  
"ماذا تريد؟".

"أنا آسف، سأرحل".

كانت المرأة الجالسة على الأريكة ضئيلة الحجم، رمادية الشعر، خمن أنها في الثمانين من العمر. في تلك اللحظة نظرت إليه بحدة بعينين ثاقبتين، كانت تحمل بيديها منظارا. لا بد أنه قد تجاوز حدوده، فكّر بينه وبين نفسه، لم يكن يجدر به اقتحام المكان بهذه الطريقة. فهو ليس في موضع للتطفل على حياة الناس الخاصة. كان يجب أن يتركها وشأنها عندما لم تفتح له الباب.

أعلنت قائلة: "لا أنوي بيع البيت، لقد أخبرتهم آلاف المرات، آلاف المرات، لن أقبل بأن أطرده إلى دار العجزة، أنا أعارض هذه الاستثمارات، يمكنكم أن ترحلوا على وجه السرعة إلى ريكيفيك آخذين كل هذا الهراء معكم، لا أريد أي شيء له صلة بأباطرة الألومنيوم".

توقف عند المدخل قائلا: "لكني لا أريد شراء منزلك. ليست لي أية صلة بمعمل الصهر".

"أوه، من أنت إذن؟".

"أريد التحدث إليك بخصوص أختك، ميثلدور تلك التي وافتها المنية".

تفحصته المرأة، فمن الواضح أنها لم تسمع بهذا الاسم منذ سنوات، ولم تستطع إخفاء ذهولها من هذا الشخص الغريب كليا الذي دخل منزلها ليسألها عن ميثلدور.

"لا يأتينا شيء يُسر النفس من أولئك المتحذلقين في ريكيافيك، الذين يريدون شراء كل شيء في الجوار". قالت ختامًا: "ظننتك واحدا منهم".  
"حسنا، أنا لست واحدا منهم".

"لا توجد حدود للأشياء الغريبة التي تحصل في هذه الأيام".  
"أظن ذلك".

سألته: "أيمكنك أن تخبرني مجددا من تكون؟".  
"أنا ضابط شرطة من ريكيافيك، أقوم بقضاء إجازة و....".  
قاطعته المرأة العجوز قائلة: "وكيف تعرف بشأن أختي؟".  
"سمعت عنها".  
"كيف؟".

أجابها إرلندور: "عندما كنت صغيرا، ومؤخرا تحدثت بشأنها أنا وصائد ثعالب قابلته في البرية اسمه بواس، لا أدري إن كنت تعرفينه".  
"أعرفه حق المعرفة؛ لقد درّسته عندما كان مجرد غلام. كان أشقى الصبيان في مدرسة القرية. لكن ما الذي تريده من ميثلدور؟".  
"كما ذكرت، سمعت قصتها عندما كنت صغيرا، وسألت بواس عنها و....".

لم يكن بوسع إرلندور أن يفسّر اهتمامه الشديد قديم العهد بمصير هذه المرأة الذي لا تربطه بها أية صلة باستثناء أنها عاشت يوما بالقرب من منزله. فهو في النهاية لم يكن سوى مجرد غريب، بلا قرابة، ولا يزور الشرق إلا زياراتٍ خاطفة كل بضع سنوات، بالرغم من أنه ترعرع هناك حتى بلغ سني

المراهقة الأولى، إلا أنه لم يكن يعرف أحدا من السكان المحليين، لم يبقَ على اتصال مع أي منهم ولم يعد لزيارة المكان إلى أن أصبح رجلا بالغاً، لقد أصبح يُحسب من سكان ريكيافيك سواء أحب ذلك أم لا.

رغم ذلك فهناك جزء منه سيبقى إلى الأبد متمياً إلى هذا المكان، وشاهداً على عجز الإنسان في وجه قوى الطبيعة الجبارة

"... أنا مهتم بالقصص التي تروي المحن التي تحدث في البراري". قال

منها جملته.

تغيرت معاملة المرأة له، سألته عن اسمه وأجابه، مخبرا إياها أنه كان مارا بالجوار حيث توقف في الخليجان الشرقية لبضعة أيام فقط. صافحته وعرّفت عن نفسها باسم هروند. عندما ألقى نظرة على الإطالة التي تُشرف عليها النافذة، اكتشف أنها لم تكن تنظر إليه، أو حتى تنتظره كما كان يعتقد، فهي كانت تتجسس على أبراج الكهرباء العملاقة المنتصبة أعلى المدينة لتوصّل بمعمل الصهر أسفل الخليج. قبل دعوتها، فجلس على أريكة قديمة أصدرت صوت صرير مرتفعا، فيما جلست بأناقة وفضول على كرسي قبالة بعد أن بُثت روح من التفاهم بينهما. توسع في الحديث عن اهتمامه بالحوادث التي كانت تحصل في الجبال، ليحول المحادثة بالتدريج نحو اختفاء ميثلدور في أثناء العاصفة الكبيرة في كانون الثاني من عام 1942 عندما واجه الجنود البريطانيون نكبتهم المشهورة.

كانوا في الأصل أربع أخوات وُلدن لزوج وزوجة كانا قد انتقلا للعيش في رايدار فيديور عام 1920 هربا من العيش المزري في مزرعة صغيرة تقع في شمال مقاطعة إيسكيفيغندور. تسلم والدهن، الذي انحدر من أسرة سكنت الخليجان الشرقية، ملكية صغيرة تعود لأحد أقاربه، وكان وفق ما رواه بواس سكييرا سبب الكثير من المشاكل في أثناء إدارته المكان، وقُتل بحادثة بعد سنوات قليلة من انتقاله، تاركا زوجته وحيدة مع أربع بنات لتُعيلهن، وقد استطاعت بالفعل استثمارَ خيرات المزرعة بمساعدة الجيران، إضافة إلى أنها تزوجت رجلا محليا، واستطاعت إيصال بناتها بأمان إلى سن الرشد. غادرت

البتان الكبيرتان إلى ريكيافيك، فيما تزوجت ميثلدور من صياد سمك من الخليج إيسكيفيغندور. كان قد مضى على زواجهما عامان حين اختفت ولم يُقدر لهما أن يُرزقا بأطفال. أما هروند، التي كانت أصغر الأخوات سنا، فقد ارتبطت برجل من السكان المحليين واستقرت في رايدارفيديور.

قالت هروند: "جميع أخواتي قد وافتهن المنية، لم أكن أتواصل كثيرا مع أختي اللتين انتقلتا للعيش في ريكيافيك. كانت تمر أعوام بين الزيارة والأخرى. تبادلنا رسالة يتيمة، وكان هذا كل شيء في الحقيقة، ورغم أن ابن إيغون انتقل إلى هنا في ريعان شبابه ليستقر في إيغلستادر، إلا أننا لم نكن على تواصل، وهو الآن يقيم في دار للرعاية. لم تحمل ذاكرتي سوى الذكريات الجميلة عن ميثلدور بالرغم من أنني كنت في الثالثة عشرة من العمر فحسب حين توفيت. كانت أجملنا، أنت تعرف كيف يتحدث الناس، لعلها حملت هذا الصيت نظرا للمصير الذي لاقته. بإمكانك أن تتخيل كم سبب فقدانها من المآسي للعائلة".

"فهمت أنها خططت للقدوم سيرا إلى هنا لزيارة أمك".

"هذا ما قاله زوجها يعقوب. لقد علقت في ذات العاصفة التي حوصر فيها الجنود البريطانيون، لعلك على دراية بالقصة؟".

هزّ إرلندور رأسه بالإيجاب.

"لم يحالفهم الحظ في إيجاد ميثلدور بالرغم من الجهود الجبارة التي بذلوا سواء هنا في رايدارفيديور أم من جهة إيسكيفيغندور حيث بدأت ترحالها".

قال إرلندور: "سمعت أنها كانت تمطر بغزارة، وأن النهر فاض، ساد الاعتقاد بأن أحد الجنود البريطانيين قد غرق في نهر إيسكيفيغندور حيث جرفه التيار نحو البحر".

"نعم، لهذا قاموا بتمشيط جميع الشواطئ. ربما انجرفت إلى البحر هي الأخرى، بدا هذا التبرير الأكثر منطقية بالنسبة إلينا".

"قالوا إن نجاة كل هذا العدد من الجنود كان معجزة"، علق إيرلندور. "ظن الناس أنهم حصلوا على النصيب الأكبر من الحظ الجيد. هل كان أي أحد عدا زوجها على دراية بخطتها للذهاب إلى رايدارفيديور؟".

"لا أعتقد ذلك؛ على أقل تقدير، لم نخبرنا نحن بأنها قادمة".  
"ألم يشاهدها أحد؟ ألم تتوقف في أي مكان على طول الطريق؟ ألم يوجد شهود صادفوها وهي تصعد الجرود؟".

"استنادا إلى يعقوب، فقد كان هو آخر شخص رآها حين ودعته، لقد كانت تتوقع أن تستغرق رحلتها نهارا كاملا، لذا وضّبت معها وجبة الغداء وجهزت نفسها بشكل كامل. لم يكن هناك الكثير من الناس وقت مغادرتها، فقد انطلقت عند بزوغ الفجر، إذ إنها كانت تنوي الوصول إلى ريدارفورديور في وقت باكر، وهي حتى لم تكن تنوي التوقف في أي مكان".

"زعم البريطانيون أنهم لم يروا أي أثر لها".  
"لا".

"رغم أنهم كانوا يسيرون على الطريق نفسه".

"نعم، ولكن كان صعبا أن يروا شيئا في مثل هذا الطقس".

"ولم تكن أمك تعرف بقدمها، أليس كذلك؟".

"قام بواس بعمله على أتم وجه، بإطلاعك على كل التفاصيل".  
"كان يعقوب..".

نظرت هروند من النافذة حيث كانت تجلس، كما اعتادت أن تفعل طوال اليوم، متسلحة بوسادتها ومنظارها. كان الضوء المنبعث من موقع البناء ينير المشهد عند غروب الشمس. ابتسمت بسخريّة.

"إننا نعيش في أوقات استثنائية"، قالت مغيرة الموضوع بشكل مفاجئ، لتبدأ بالحديث عن الاستثمارات المحلية التي لم تتأقلم مع وجودها: مصنع صهر الألومنيوم، السد الضخم في كارانجوكار، وتخريب الوادي المهيب بهدف تحويله لخزان مياه قُدر له أن يصبح أكبر بحيرة من صنع الإنسان في أيسلندا. قُدر إرلندور أنها كانت تعارض كل هذه الأشياء. ففزت أفكاره بشكل تلقائي نحو بواس، وموقفه العدائي تجاه هذه التغييرات، فقد أخبره هذا المزارع في أثناء عودتهما من الجروف عن الشكوك التي ظهرت خلال فترة اختفاء ميثلدور، والتي بقيت راسخة في ذكريات السكان المحليين. وأغلبهم الآن، وفقا لبواس، إما موتى وإما طاعنون في السن غريبو الأطوار.

"مر يعقوب رغنيرسون بأوقات صعبة". قالت هرونند، متناولة الموضوع مجددا بعد أن حادت عنه.

"من أية ناحية؟".

"حسنا، تم تداول بعض الشائعات بعد مرور عدة شهور، فقد ادعى العديدون أن روحها قد ترصدته معذبة إياه حتى وفاته، وكأن أختي قد تحولت لشبح، محض ترهات".

"وما كان رأي عائلتك؟ هل كان هناك ما يدعو للشك في قصته؟".

"لم يتم إجراء أي تحقيق في القضية"، قالت هرونند. "وكما يمكن أن تتوقع، أثار عدم العثور على جثة ميثلدور شكوك الناس بأن يعقوب كان يخفي شيئا ما. كان الناس يتغامزون خلسة أنها كانت هاربة منه حين خرجت في العاصفة، وبأنها لم تكن تنوي قط زيارة ريدارفورديور، وأنه هو من دفعها لمغادرة المنزل، أعتقد بأن بواس لم يبخل عليك بالتفاصيل".

هز إرلندور رأسه نافيا: "لم يخبرني أي شيء بهذا الخصوص. ماذا حل بـ يعقوب؟ سمعت أنه قُتل في حادث، أليس كذلك؟".



"لقد غرق بعد عدة سنوات من حادثة اختفاء ميثلدور، حيث انقلب قاربه في خليج إيسكيفيغندور خلال العاصفة مما أدى إلى مصرعه هو ورجل آخر كان على متنه، وتم دفنه في دغوييفغور".  
"وبذاك انتهت حكايته إذن؟".

"أفترض ذلك"، قالت هرونند. "لم يتم العثور على ميثلدور قط، وبعد عدة سنوات اختفى طفل في البرية، ولم يتم العثور عليه هو الآخر، إنها بلاد قاسية".  
"نعم"، أجاب إرلندور "هذا صحيح".  
"هل تتقصي تلك الحادثة أيضا؟".  
"لا".

"قال الناس إنها ترصدت يعقوب مودية به إلى حتفه، وهذا ما لا يقبله عقل، لقد ألقوا عليها اللوم في الحادث الذي تعرض له. يحب الايسلنديون اختلاق قصص الأشباح، لدرجة أن الأمور تجاوزت المعقول حين ادعى أحد الذين حملوا التابوت في جنازة يعقوب أنه قد سمع أنينه وهم يُنزلونه في القبر، يا لهذا الهراء اللامعقول! ولكن الأمور لم تقف عند هذا الحد".  
"سمعت في إحدى المرات أحاديث عن البريطانيين". قال إرلندور حاثا إياها على الكلام.

"نعم، سرت شائعات حول أنها قد تكون متورطة معهم؛ أنها كانت حاملا بعد أن حظيت بعلاقة غرامية مع أحد الجنود وهربت معه سرا من البلاد، لذا شعرت بالعار الشديد الذي منعها من ارسال أية رسالة للوطن".  
"وتوفيت خارج البلاد؟".

"نعم، أو ربما توفيت بعد فترة قصيرة من مغادرة البلاد. تم استجواب كل القوات المتمركزة في المنطقة، لم يسمع أحدهم شيئا من هذا القبيل، لأنه بالطبع كان محض هراء منافٍ للعقل".

"هل مازال هناك أصدقاء ليعقوب أو أقارب على قيد الحياة بإمكانني الحديث معهم؟".

"مجرد حفنة قليلة من الناس، إنه ينحدر من ريكيافيك، أتعلم، عاش في البداية مع خاله في دغوبيفغور. ولكن خاله توفي منذ سنوات عديدة بالطبع. لربما وجب عليك التحدث مع عزرا الذي كان صديقا ليعقوب".

مكتبة  
t.me/t\_pdf

لم يستطع أن يقاوم الصور، الناس، وأحداث الماضي التي اجتاحته بعنف كالطوفان، وهو مغلف بالبرد والظلمة، لم يكن هناك تمايز بين الزمان والمكان، كان في كل الأماكن وفي ذات الوقت لم يكن في أي مكان. كان مستلقيا في غرفته، تدفق إحساس غريب بالسكينة عبر جسده بعد أن أخذ الحقنة. عبثا حاول المقاومة؛ توقف دمه عن التدفق، وغلف الضباب أفكاره. لم يستطع فهم كلام الطبيب الذي حاول إخباره بما كان سيفعله، استمر بثني أطرافه وضربها حتى تم تثبيته وإخضاعه، تشاور الطبيب مع والدته التي وافقته باستسلام، بعدها شعر بوخز في ذراعه، ومن ثم تلاشت مقاومته رويدا رويدا. جلست أمه على حافة السرير، وراحت تمسد جبهته، لم يكن للحزن الذي بدا على ملامحها حدود. كان مستعدا لأن يقايض كل العالم في سبيل إبهاجها.

همست له: "هل يمكنك أن تخبرنا أي شيء عن أخيك؟".

لم تكن قضمات الصقيع الطفيفة التي انتشرت على يديه وقدميه تزعجه بشكل مفرط. لم يكن يتذكر أي شيء سابق لاستعادته لوعيه بين يدي أحد أفراد فريق البحث، الذي حاول أن يسقيه الحليب الساخن، لقد تناوب أفراد فريق البحث على حمله في أثناء نقله نزولا من الجرد باذلين قصارى جهدهم حتى يصلوا إلى مكان دافئ بأسرع ما يمكن. هرعت أمه لتوصله إلى الطبيب، الذي عاينه وعالج قضمات الصقيع. أخبروه بأن والده بخير، فاستغرب هذا التصريح، ولم لا يكون بخير؟ لم يكن يقوى على التفكير. تأمل كل الغرباء

الذين ملؤوا المنزل، جاب الرجال فناء المنزل، حاملين أجهزة اللاسلكي، وعيدانا طويلة، وحدثوا إليه وكأنهم ينظرون إلى شبح، بشكل تدريجي استعاد كامل وعيه، وما إن غادر الرجال المنزل حتى بدأت أجزاء صورة ما حصل تتشكل بشكل مبعثر قبل أن تندمج وتصبح متكاملة، عندها أمسك بذراع والدته وسألها: "أين بيغي؟".

أجابته: "ألم يكن معك؟ لا يزال البحث جاريا عنه في المنطقة التي وجدناك فيها".

"ألم يعد إلى المنزل؟".

هزت أمه رأسها نافية.

عندها اعترته موجة من الانفعال، انتفض مكافحا للنهوض من فراشه، وحاولت أمه منعه، فازداد إصرارا ونجح في النهاية في الإفلات من قبضتها راكضا عبر الممر مباشرة نحو الطبيب والرجلين اللذين أعاداه إلى باكسيل. أمسكا به رغم مقاومته المحمومة، محاولين تهدئته، وإقناعه بالمنطق. تشبث به والدته مطوقة إياه بيديها، شرحت له أن مجموعة كبيرة من الناس في الخارج يبحثون عن أخيه بيرغور، وأنهم سيجدونه بأسرع وقت ممكن، وأن كل شيء سيكون على ما يرام. لم يصغ إليها، كان يعرض ويخمش، مجاهدا للوصول إلى حذائه ومعطفه. وعندما مُنِع من الخروج، فقد عقله بشكل كلي، وفي النهاية لم يكن أمام الطبيب من سبيل سوى تخديره.

سألته أمه مجددا وهو مستلقٍ في الفراش، عاجزا عن المقاومة: "هل يمكنك أن تخبرنا بأي شيء مفيد حول بيغي؟ الأمر عاجل يا عزيزي".

ردّ هامسا: "كنت أمسك بيده، أمسكت بها قدر استطاعتي، لكنه اختفى

فجأة، لأصبح وحيدا. لم أع ما حصل".

"متى حصل ذلك؟ في أية مرحلة؟".

شعر بالجهد الجبار الذي تبذله للحفاظ على رباطة جأشها، رغم المحنة الفظيعة التي تمر بها. تمكنت من استعادة شخصين على قيد الحياة من أصل ثلاثة ممن علقوا في العاصفة، إلا أن فكرة فقدان بيغي لم تكن محتملة. أجاها: "لا أدري".

"أكان الوقت نهارا؟".

"نعم، أعتقد ذلك. في الحقيقة لا أدري، لقد كان البرد شديدا".

"هل لديك فكرة في أي اتجاه كنتم تسرون؟ هل كنتم تتحركون صعودا أم نزولا؟".

"لا، لا أملك أدنى فكرة، لقد كنت أسقط متعثرا باستمرار، وقد اتشح كل ما حولي بالبياض، لم أستطع تمييز أي شيء. أستطيع تذكر أبي وهو يقول إنه يجب علينا العودة أدرجنا، بعدها اختفى فجأة".

قالت له أمه: "كان هذا منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة، سأصعد مجددا إلى الجرد يا عزيزي، سيستفيدون من أشخاص إضافيين للمساعدة. حاول أن تأخذ قسطا من الراحة، سنجد بيغي، وسيكون كل شيء على ما يرام، لا تقلق".

بدأ المخدر يأخذ مفعوله وساعده أيضا حديث أمه في تهدئته، غط في نوم عميق أشبه بالموت لساعات، عند استيقاظه عمّ هدوء غريب؛ سكون مريب خيم على المنزل، شعر وكأنه يستيقظ من كابوس مريع استمر طويلا، ولكنه أدرك على الفور أن هناك خطبا ما، استعاد بشكل مفاجئ ذكريات واضحة عما جرى خلال الست وثلاثين ساعة الماضية، نهض من سريره يتهدى إلى الممر، كان يترنح بتأثير المخدر، وكان باب غرفة والديه مغلقا، عندما فتحه وجد أباه وحيدا يجلس على حافة السرير، لم يلمح قدوم الصبي، جلس ساكنا، وقد أسند رأسه على صدره، ووضع يديه في حجره، لعله كان نائما. عمّ

الظلام الغرفة، لم يكن على دراية بالمحنة المرعبة التي مرّ بها والده؛ كيف زحف الأمتار الأخيرة المتبقية للوصول إلى باكسيل على يديه وركبتيه حاسر الرأس، وبقضمات الصقيع، لقد شارف على فقدان عقله بعد صراعه مع كل تلك العوامل.

سأله: "لماذا لا تشارك في عملية البحث؟".

لم يُجبه أبوه، مكثفيا بالتحديق إلى راحتي يديه الخاليتين من الحياة. اقترب من أبيه، واضعا يده على ركبته، مكررا السؤال ذاته. بدا أبوه كأنه قد هرم فجأة: أصبحت خطوط وجهه أعمق، خمد بريق عينيه لتصبحا باردتين، خاويتين، لا مباليتين. لم يسبق له أن رأى والده على هذه الحال، بائسا ووحيدا، كما شاهده في تلك الغرفة المعتمة. وقف قبالته، يملؤه الفزع والرعب، مقدما أوهى تبرير يخطر على البال:

قال هامسا: "لم يكن بوسعي فعل أي شيء، لم يكن بوسعي فعل أي شيء".

شيء".

وجد إرلندور عزرا في الخارج في كوخه المنتصب بشكل مائل فوق المنحدر، المقابل لمنزله. بعد أن طرق على الباب الأمامي بضع مرات دون جدوى، تبع إرلندور صوت طرقٍ ليصل إلى مأوى متداعٍ مضلع الجوانب، بُني من بقايا الأخشاب والصفائح. عندما اقترب إرلندور كان الباب، الذي نُبت بواسطة سلك، قد تُرك مواربا، كاشفا خلفه عن شخص منحن، يجلس على مقعد وبيده مطرقة حديدية ثقيلة. وضع عزرا شرائح من سمك الحدوق المجفف، أو السمك المقدد، على لوح حجري متسخ، ممسكا بها من الذيل، ضاربا إياها بتوازن ليطري اللحم، ناثرا حفنة من الفتات مع كل ضربة. لم يلحظ الرجل العجوز الذي انهمك في مهمته أن إرلندور يقف عند المدخل ويراقبه في أثناء عمله، مسح عزرا قطرات العرق التي ظلت تتشكل على أنفه بين الفينة والأخرى مستخدما ظاهر يده. كان يضع قفازين صوفيين مزدوجي الإبهام، ويعتمر قبعة جلدية أكبر من المقاس المناسب بواقيتي أذنين غطنا وجتتيه، ويرتدي مئزر عمل بني اللون، إضافة إلى كنزة أيسلندية تقليدية سميقة. نمت لحية شعثناء من ذقنه غير المشذبة، تمتم بصوت خافت فوق شفته السفلية التي تورمت إثر ندبة ناتجة عن إصابة قديمة، وكان حاجباه كشين.

بدت عيناه الغائمتان كأنهما تدمعان بشكل دائم، من المؤكد أنه لم يكن وسيما: بوجهٍ غزته التجاعيد بشكل غير اعتيادي، وذقن بارزة عريضة، وأنف كبير، بدا عليه أنه كانت يتمتع بحضور فيما مضى.

أخيرا، عندما فرغ من ضرب السمك، التفت ليري إرلندور واقفا عند المدخل.

سأله بصوت أجش مبحوح: "هل جئت إلى هنا لشراء السمك المقدد؟". شعر إرلندور لوهلة أن الزمن قد عاد به ليتوقف في القرن التاسع عشر، فسأله: "هل لديك أي فائض؟".

قال عزرا: "نعم، لدي القليل، سأرسل الفائض إلى المحل، ولكن من الأارخص لك أن تشتريه مني".

اقرب منه إرلندور أكثر، وسأله: "هل النوعية جيدة؟". أجابه عزرا وقد اكتسب صوته قوة: "أؤكد لك ذلك، لن تجد أفضل منه في كل الخليج الشرقي". "أما زلت تستخدم المطرقة؟".

"ليس من المجدي الاستثمار في معدات من أجل هذه الكميات الصغيرة. أيا يكن الأمر، كل هذا بلا معنى وأنا مشرف على الموت في أي يوم، كان يُفترض بي أن أكون في عداد الموتى منذ فترة طويلة". اتفقا على الكمية، وتجادبا أطراف الحديث عن الطقس وموسم الصيد، وبشكل غير مباشر عن السد، ومصنع الصهر. كان الحديث يثير ملل عزرا بشكل جلي.

"آخر همي إن دمرنا البيئة".

كانت هروند قد أخبرت إرلندور أن عزرا كان شخصا منعزلا، لم يتزوج أو ينجب أي أطفال على حد علمها. لقد عاش في القرية منذ فترة طويلة لا يمكن أن يعرف مقدارها أكبر السكان سنا، اهتم بأموره، واحترم خصوصيات الناس الآخرين. امتهن أعمالا متنوعة في البحر والبر، كانت في معظمها أعمالا فردية. في الفترة الأخيرة، أصبح أقل نشاطا، وهذا ليس بالشيء المفاجيء، إذا



ما أخذ بعين الاعتبار أنه يناهز التسعين من عمره. أراد جيرانه بنية حسنة أن يدفعوه للذهاب إلى دار للمسنين، لكنه لم يقبل بذلك. لم يجد عزرا ضيرا في نقاش موته المحتوم مع الجميع، معطيا الانطباع أنه يتطلع للوصول إلى خاتمته. لقد أعاد استخدام الحجج القديمة نفسها بشأن عدم تأجيل الأشياء إلى وقت لاحق لأنه سيموت قريبا، وأن هذا كله مضيعة للوقت. وصفت هروند ذلك قائلة إنها أغرب أشكال اللامبالاة التي صادفتها في حياتها.

عندما استأنف عزرا عمله بدق السمك المقدد، حول إرلندور الحديث تدريجيا ليدور حول المآسي التي كانت تحصل في البرية. "لقد قمت ببعض الأبحاث بشأن الناس الذين مروا بصعوبات في الجبال المحيطة بالمكان".

قال عزرا: "حقا، هل أنت مؤرخ؟".

أجابه إرلندور: "لا، إنها في الواقع مجرد هواية، كنت أقرأ عن الجنود البريطانيين الذين خططوا لعبور ممر هرايفرسود، أعتقد أنه مرت ستون سنة على تلك الحادثة".

قال عزرا: "أتذكرها جيدا، لقد قابلت بعضهم. كانوا شبانا لطفاء، علقوا في عاصفة هستيرية. مات بعضهم، ولكن في النهاية عُثر على الجميع، أحياء كانوا أم أمواتا. وأكد لك أن هذه لم تكن الحال دائما". وافقه إرلندور الرأي.

حك عزرا أنفه بقفازه سائلا إرلندور ما إذا كان يرغب في الجلوس واحتساء القهوة. شكره إرلندور على عرضه، وتوجها إلى المنزل، ثم إلى المطبخ حيث استخدم عزرا إبريقا قديما كان يصفر ويفور، لكنه يصنع قهوة قوية وجيدة. كان المطبخ أنيقا ونظيفا، بثلاجة قديمة الطراز وبموقد عتيق من علامة رافها التجارية. أطلقت النافذة على رأس الخليج البحري وتلال جرود

إيسكيفيغندور المحيطة بها. أحضر عزرا فنجانين، وصب فيهما القهوة، واضعا أربع قطع من السكر في فنجانه ليمرر الوعاء لإرلندور الذي أشار له بأنه لا يريد السكر. بعد أن تحدثا عن مأساة الجنود البريطانيين، انتقلا للحديث عن المرأة الشابة التي اختفت في الليلة ذاتها.

قال عزرا ببطء: "هذا صحيح، كان اسمها ميثلدور".

"علمت أنك صديق زوجها، يعقوب".

"نعم، لقد كنا نتسكع معا في تلك الأيام".

"أكنت تعرفها أيضا؟ هل كنت على معرفة بكليهما؟"

"كنت أعرفها حق المعرفة".

"هل حظيا بحياة زوجية جيدة؟"

كان عزرا يحرك فنجانه بطريقة منهجية، لكنه الآن توقف، ضاربا الملعقة عدة مرات على الفنجان قبل أن يضعها على الطاولة. "لست أول شخص تفتح معه هذا الموضوع، أليس كذلك؟".

"لا". قال إيرلندور مقرا بذلك.

"ذكرني مجددا من تكون؟"

لم يكن إيرلندور قد عرف عن نفسه مسبقا، لذا قام بذلك حينها، شارحا بأنه يعيش في ريكيافيك ولكنه وُلد هنا ولديه اهتمام بقصص الناس الذين فُقدوا في البرية وماتوا نتيجة تعرضهم للأخطار، وعلى وجه الخصوص أولئك الذين لم يُعثر لهم على أثر، والذين بقي مصيرهم مجهولا. ما إن أدرك عزرا أن زائره من جذور محلية حتى اعترته الرغبة مباشرة في معرفة المكان الذي سكن فيه إيرلندور ومن هما والداه. قال عزرا بعد أن أعطاه إيرلندور التفاصيل بشكل وافٍ إنه يتذكر سيفين وأسلوك اللذين سكنا المزرعة المستأجرة المعروفة باسم باكسيل.

قال إرلندور: "حسنا، ها أنت ذا تعرف كل شيء عني، ماذا تستطيع أن تخبرني عن ميثلدور؟".

قال عزرا، وهو يستند إلى طاولة المطبخ: "لقد انتقل سيفين وأسلوك، لم يطبقا البقاء في ظل الجروف، ليس بعد كل ما حصل. بحسب ما وصلني فأنت تأتي إلى هنا بين الفينة والأخرى وتقوم بالتجوال في تلك المنطقة".

قال إرلندور: "هذا صحيح، لقد قمت ببضع الزيارات".

"لقد دُفن كلاهما في مقبرة الكنيسة، أليس كذلك؟ أقصد والديك؟".  
"نعم".

قال الرجل العجوز معلقا وهو يرتشف القهوة: "كانا نزيهين وطيبين، لقد كانا صالحين. لقد درّس والدك الموسيقى في المدرسة من وقت إلى آخر، إن لم أكن مخطئا. كان أيضا عازف كمان. إن ما حصل لهما كان مؤسفا. قال أحدهم إنك تعمل شرطيا في ريكيافيك، ألهذا السبب تسأل عن ميثلدور؟".

قال إرلندور: "لا، إنه فضول شخصي، أنا مهتم بهذا النوع من القضايا".

كان عزرا غارقا في أفكاره، محذقا إلى الجروف البعيدة المغطاة بنفس الغيوم منذ وصول إرلندور قبل عدة أيام خلت، بعد أن قاد السيارة طوال الرحلة من ريكيافيك دون توقف. لقد شعر برغبة جارفة تدفعه للسفر شرقا في هذا الخريف بعد أن وصل إلى نهاية مسدودة في تحقيق أجراه حول حادثة انتحارٍ مزعومة لامرأة في ثينغفيلير. تمحورت القضية حول انخفاض في درجة حرارة الجسم مما كان له أثر غريب في تحريض الذكريات المتعلقة بمصرع أخيه في الجبال المحيطة بإيسكيفيغندور.

في نهاية المطاف قال عزرا: "لم يكن يعقوب يعطي انطبعا يعكس طبيعته الحقيقية، أنا عادة لا أحكم على الناس، ولست في موضع يخولني القيام بذلك، فأنا نفسي أبعد ما أكون عن الكمال. لكن يعقوب من الطينة التي تجعل

الناس من حوله يتوخون الحذر، ليس لدرجة أصفه فيها بقلة الأمانة، لكنه كان شخصا مراوغا، وقد أدرك الناس ذلك. عرفه الجميع ولكن هذه هي طبيعة الحال، الجميع يعرفون بعضهم بعضا هنا. أفترض أن ريكيا فيك نمت إلى حد كبير حتى إنك لا تعرف من هم جيرانك".

هزّ إرلندور رأسه موافقا.

قال عزرا متابعا حديثه: "تم تداول مختلف أصناف الشائعات على مدار السنوات: رمى بها خارج المنزل، ودفعها للهروب، وعلى هذا المنوال. بالطبع، لا بد أنك سمعتها جميعا".

"سمعت بعضها".

"غرق هنا في الخليج وكانت هذه النهاية. لم يتزوج بعد وفاة ميثلدور. انصرف للشرب مهملا نفسه بشكل كلي، ثم وقعت الحادثة حين انقلب قاربه. تمكنوا من سحب يعقوب والشخص الآخر الذي كان معه إلى الشاطئ ولكن الزورق تحطم إلى أجزاء".

"هل وقعت الحادثة هنا في إيسكيفيغندور؟".

"هناك على الجانب الآخر من الخليج، غرق قاربهما في طريق العودة إلى المنزل في ظل عاصفة بحرية هوجاء. كان ذلك في منتصف الشتاء".

"هناك شيء محدد أرغب في معرفته، هل يُعقل أن أحدا ما أراد ألا يعثر على ميثلدور أبدا؟".

أجاب عزرا ناظرا إليه بعينيه الصغيرتين الدامعتين: "أتوقع أنك أكثر اطلاعا مني بهذا الخصوص".

ابتسم إرلندور فجأة: "ماذا قال الناس بشأن ما حصل؟".

"لم يكن عليهم البحث عن التبرير بشكل مطول، كان منسوب مياه الأنهار مرتفعا، غمر سيل عارم ضفتي النهر من جهة ثفيرا وإيسكيفيغندور.

يُحتمل أن يكون النهر قد جرفها، لا بد وأنت تعرف أن أحد الجنود البريطانيين  
وُجد في البحر بعد أن جرفه التيار عبر مجرى النهر. لقد عُثر على جثته بمحض  
المصادفة".

"نعم".

قال عزرا، بعينين دامعتين: "أعتقد أنها لاقت المصير نفسه، هذا ما  
أرجحه".

بينما كان يصغي إلى الرجل العجوز، استحضر ما قالت هروند حول أنه عاش وحيدا طيلة حياته. أدرك إرلندور ذلك منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها إلى المنزل، لقد بدت علامات العزلة جلية، تلك العلامات التي هو خبير بها؛ من قبيل زهده باقتناء الأشياء، إلى الأثاث المتهالك، وصولا إلى انعدام مظاهر الديكور، عمليا غياب كل ما من شأنه تحويل هذا المكان إلى منزل. في تلك اللحظة اندفعت قطة إلى المطبخ، وتمرغت بقدم إرلندور، قبل أن تنسل تحت الطاولة إلى حوض عزرا جاعلة منه مستقرا مريحا لها، وأخذت تراقبهما بفضول.

سأل إرلندور: "إذن، لم يتقبل الناس يعقوب؟".

أجابه عزرا بتردد، مداعبا القطة بذهن شارد: "لا، لا أعتقد ذلك، كما ذكرت مسبقا، انتشرت الأقاويل. لم تؤخذ على محمل الجد... على الأقل بكثير من الجدية، لكنها التصقت به، وطارده الشائعات إلى أن مات، ولا تزال تحوم حوله حتى الآن كما فهمت".

"ما كان رأيك أنت؟".

"أنا؟ لا أدري ما الفرق الذي سيحدثه رأيي".

"ألم تكونا صديقين؟".

"بلى كنا صديقين".

"هل كانت تخطط للابتعاد عنه؟".

"لا أعلم".

"هل سألته؟".

أجاب عزرا: "لا، ولا أعتقد أن أحدا سأله، لأنه لم يكن هناك من داعٍ لذلك".

"سمعت أقاويل أنها ترصدته كشبح". تابع إرلندور سائلا: "هل لديك أية فكرة عن هذه الأقاويل؟".

"حسنا، من الواضح أنها ترهات مبالغ فيها. في البدء، عليك أن تكون مؤمنا بقصص الأشباح، وأعتقد أنه من الصعوبة أن يؤمن شخص متعلم مثلك بهذه القصص. مع ذلك يمكننا القول إنه لم يبق على سجيته بعد كل ما حصل. لقد تغير، وتجنب الاختلاط بالناس، ربما شعر بطريقة أو بأخرى بأنه مسؤول عن موتها، لعل ذكراها هي التي كانت تطارده. لكن تصديق فكرة أنها عادت بهيئة شبح سكن منزلهما، دافعا إياه للموت في تحطم القارب هو محض هراء، لا يعدو عن كونه أقاصيص قديمة".

"تعني أن الناس ظنوا ضمنيا أنها سبب تحطم القارب؟".

"نعم، كانت تلك إحدى الروايات، بإمكانك أن تحكم بنفسك عن مقدار الحقائق التي تضمنتها".

هزّ إرلندور رأسه مجددا، فهو يعلم كم حظيت هذه الروايات المختلقة بشعبية، إلا أن بعض الناس كانوا يصدقونها بالفعل. كانوا جزءا من تقاليد تأليف الحكايات الأيسلندية التي جعلت الأشباح، والعمارة، والغيلان، والأحجار السحرية والكائنات غير المرئية تغزو المعمورة، رابطة الإنسان ببيئته من خلال روابط خفية. فقد عاش الناس في الماضي حياة أكثر قربا من الطبيعة معتمدين في وجودهم عليها، وشكّل احترام الطبيعة والقوى الكامنة فيها السمة الغالبة في العديد من الروايات الشعبية، لعلها كانت تحذيرا ضمنيا بعدم التقليل من جبروت الطبيعة، وحملت أيضا في فحواها قصص النكبات

التي حدثت في البرية، والتي سبق له أن قرأها مرارا وتكرارا حتى حفظها عن ظهر قلب.

"لكن ما كان رأيك بالقصص التي حاكها الناس حول يعقوب؟".

"لم تكن تعينيني".

"هل نشأتا معا؟".

"لا، كل منا ينحدر من منطقة مختلفة، كنا في ذات العمر تقريبا، كان يكبرني بعامين، انحدر من ريكيافيك، لكنه لم يكن كثير الحديث عن ذلك".  
ساد الصمت.

"هل تعتقد أنك بحاجة إلى مزيد من السمك؟". سأل عزرا الذي استمر في مداعبة القطة التي قفزت فجأة من حجره مغادرة المطبخ على وجه السرعة. افترض إرلندور من طريقة مغادرتها السريعة أنها رصدت فأرا.  
قال وهو يهيمّ بالنهوض: "لا، شكرا لك، هذا سيفي بالغرض، لقد أخذت كثيرا من وقتك".

قال عزرا: "على الرحب والسعة".

"سرت بعض الشائعات حول أنها التقت أحد الجنود البريطانيين، وأنها غادرت البلاد برفقته".

"أعرف هذه القصص، ولكنها محض أكاذيب لعينة، لم تكن ميشلدور على علاقة بأي جندي. إنها فكرة سخيفة".

لمح إرلندور وهو في طريقه لمغادرة المطبخ شيئا صغيرا يتوسط الفوضى التي اعتلت ظهر الثلاجة قرب الباب. حدق إليه، ثم خطا مقتربا ليحظى برؤية أفضل، كان عبارة عن سيارة صغيرة لدرجة أنها تتسع في جيب طفل صغير، لكنها الآن أضحت باهتة محطمة وقد فقدت عجلاتها وقاعدتها لتصبح مجرد هيكل فارغ.



سأل وقد تسمرت عيناه على السيارة: "من أين حصلت على هذه؟".

"وجدتها".

"أين؟".

"دعني أتذكر، على الأرجح قرب جحر ثعلب. في مكان ما من هاردسكافي، على ما أعتقد".

"في هاردسكافي؟".

"نعم، على الأرجح. لقد مرت سنوات طويلة على عثوري عليها، لقد نسيت وجودها حتى، إنها تقبع في مكانها منذ ذلك الحين، لطالما ترددت في التخلص منها لسبب ما، لقد لفتت انتباهي وقتها كونها كانت ظريفة بعض الشيء".

"هل بوسعك أن تتذكر متى حدث هذا؟".

قال عزرا: "يا إلهي، لقد مرّ وقت طويل على ذلك، أعتقد أنه حصل قرابة عام 1980، ولكنني لا أستطيع الجزم بذلك. أعتقد أنني كنت أتعقب الثعالب. في تلك الأيام كانوا يدفعون مبالغ جيدة في سبيل الحصول على ذيلها، لكن هذه التجارة خفتت في الوقت الحاضر، لذلك لم يعد أحد يتكبد عناء صيدها، ونتيجة لذلك أصبحت الثعالب أكثر جراءة".

لم يكن بوسع إرلندور أن يزيح عينيه عن السيارة. "هل أستطيع لمسها؟".

"هل باستطاعتك لمسها؟". كرر عزرا قوله باستغراب. "بالطبع بإمكانك، هذا ليس متحفاً".

التقط إرلندور السيارة، مقلبا إياها بين أصابعه.

"بوسعك الاحتفاظ بها إن شئت". قال عزرا ملاحظا الأثر العظيم الذي خلفه هذا الشيء الصغير على زائره. "لا فائدة لي منها. فهي ليست بذات

أهمية بالنسبة إليّ سيما وأن أيامي أصبحت معدودة في هذا العالم".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

"يا صغيري العزيز، احتفظ بها".

سأل إرلندور واضعا السيارة في جيبيه: "هل عثرت على أي شيء آخر في

الجحر؟".

"لا أذكر أنني عثرت على شيء آخر".

"هل لديك فكرة عن كيفية وصولها إلى هناك؟".

"يصعب الجزم بذلك. ربما أحضرها أحد الثعالب، أو التقطها طائر ما

وألقى بها هناك".

"تعتقد أنك وجدتها في هاردسكافي؟".

"نعم، أنا متأكد إلى حد كبير".

قال إرلندور: "شكرا لك". وبدا أنه يعاني من حالة ذهول، مشى خارجا

من المنزل ليصعد سيارته ويقود بعيدا، كان تحت وطأة الصدمة. شاهد عزرا

من خلال المرأة الخلفية وهو يخرج من منزله مراقبا مغادرته، عندها استحضر

كلمات بواس: "إنك تجد أغرب الأشياء في جحور الثعالب".

عندما خيم الليل على المكان، جلس إرلندور في سيارته، مشعلا السيارة تلو الأخرى، تاركا النافذة المجاورة له مفتوحة جزئيا كي لا تمتلئ السيارة بالدخان، وضع السمك المجفف الذي اشتراه من عزرا على المقعد المجاور له، لكن لم تكن لديه شهية للأكل. قاد سيارته إلى الشاطئ، وعند المغيب، شاهد سفينة حاويات ضخمة تلج مياه الخليج، ففكر في الأثر الكبير للصناعات الثقيلة في تغيير حياة الناس. انتشرت المنازل والمحلات في كل مكان، وربطت بينها شبكة من الطرقات الجديدة، وترافق ذلك مع ازدهار الاقتصاد المحلي. لم يشارك العدد القليل من السكان الذين التقاهم إرلندور خلال النهار من أصحاب محلات، وعمال موانئ، والصّبية الذين يعملون في محطة الوقود، الذين وُلدوا وترعرعوا في الخليج الشرقي، أيا من هواجس بواس وهروند، فهُم راضون عن الاستثمارات. إن التعاقب السريع للتغييرات خطف أنفاسهم.

قيل له: "كان المكان في طور الاحتضار، ولكن الأحوال تنحو نحو الأفضل هذه الأيام".

قال مجيبا: "نعم، إنها كذلك".

فكّر مجددا في ميثلدور، والجنود البريطانيين الذين كافحوا من أجل البقاء على قيد الحياة تلك الليلة في الجرود. كان ممر هرايفرسود مقطوعا، ومن هناك أخذت رحلتهم منعطفا نحو الأسوأ، ليبدأ الجنود بالسير نحو حتفهم، استمروا في التقدم بدل أن يعودوا أدراجهم، وبما أنهم لم يكونوا على

معرفة بحالة الطقس والتضاريس، ظلوا يصعدون إلى الأعلى، رافضين الاستسلام لهذه الأرض الغريبة التي دفعتهم الحرب إليها، ولكن في نهاية المطاف اعترفوا بالهزيمة.

صحيح أن إرلندور كان أفضل تجهيزاً منهم، إلا أنه ما كان يجدر به الشروع بالرحلة، كثيرة هي القصص التي تتحدث عن أناس شرعوا برحلات مستجيبين لحدسهم متجاهلين كل النصائح والمنطق، هل كان هذا حال ميثلدور؟ تسير مثل هذه الرحلات في البداية بطريقة جيدة، من دون إشارات لأي خطر محدد: طقس جميل، طريق مناسب للسير، يبدو مثالياً للقيام برحلة. بيدون الرحلة عادة بثقة كبيرة إلى أن يجدوا أنفسهم بغتة، في منتصف الطريق، وجهاً لوجه مع الموت، ربما هذا ما حصل مع ميثلدور.

لقد كانت امرأة قوية، كما وصفها عزرا، ولا بد أنها أحسنت تجهيز نفسها، لقد حملت معها الطعام، ونوت أن تتوقف على الأقل مرة على الطريق. ودّعت زوجها في الصباح الباكر، وانطلقت في رحلتها بقلب مفعم بالعزيمة. في الوقت ذاته، جهّز الجنود البريطانيون أنفسهم للشروع في رحلتهم، لا بد أنهم التمسوا نصيحة السكان المحليين الذين وجّهوهم لسلك أقصر الطرق عبر الممر.

عندما بدأت العاصفة، ذهلوا من ضراوتها التي فرّقت المجموعة مجبرة كل رجل على الكفاح من أجل إنقاذ نفسه، ربما وجدت ميثلدور نفسها في المأزق ذاته، لعلها حاولت العودة أدراجها نزولاً من الجرود، فسقطت في النهر الذي جرفها إلى البحر، ليس هناك من تفسير آخر لعدم العثور على جثتها.

لكن يُحتمل أنها لم تبارح منزلها أصلاً.

لم تكن تلك رواية جديدة، فكل من بواس وهروند لمحا إلى ذلك، وأن الموضوع كله لا يتعدى كونه شائعة مستهترّة. لكن كلماتها لم تُقابل بأذان

صماء، فلدى إرلندور نظرية قديمة مفادها أنه من بين كل حالات الاختفاء المتنوعة التي حدثت لأناس وسط آيسلندا هناك أكثر من جريمة لم تُكتشف، وهو يعلم عن حادثة حصلت إبان الحرب العالمية الثانية قد عززت من قناعاته. حقق منذ سنوات في قضية اكتشاف عظام بشرية في غرافرهولد وهي إحدى ضواحي ريكيافيك التي كانت قيد البناء. كانت جثة لرجل قُتل ودُفن في قبر ضحل ليس بعيدا عن عتبة داره. بلغت زوجته، التي كانت ضحية سنوات من العنف المنزلي، أنه فقد في ظروفٍ جوية سيئة، وأنها لم تسمع عنه أي خبر منذ أن ارتحل سيرا على الأقدام قاطعا هيليشيدي؛ وهو الطريق الجبلي الواصل بين ريكيافيك وسيلفوس. لم يُجرَ أي تحقيق في القضية، اعتُبر ميتا بكل بساطة، ولم تبصر الحقيقة النورَ إلا بعد عقود، حين اكتشف قبره بالقرب من منزل الزوجية.

أطفأ إرلندور سيجارته الألف، لتغوص يدها في جيوب سترته بحثا عن القطعة المعدنية المتهالكة التي كانت في يوم من الأيام لعبة على شكل سيارة ليضعها على لوحة القيادة. تريت في إلقاء نظرة عن كثب، فهو لم يكن واثقا مما إن كانت ذات فائدة، لكنه جلس الآن يتأمل هذا الشيء الذي أصبح من شبه المستحيل التعرف إليه.

تذكر إرلندور بشكل واضح لعبة على شكل سيارة من الطراز نفسه، كانت في يوم من الأيام لامعة بلون أحمر، لها نوافذ بإمكان عين طفل أن ترى من خلالها مقعدا أماميا ومقودا متناهي الصغر، وكانت إطاراتها بيضاء. تلك السيارة كانت مُلكا لبيرغور، تذكر إرلندور اليوم الذي وصلت فيه إلى باكسيل. عندما أتى والدهما من حفلة موسيقية راقصة أقيمت في سيدسفيجيدزر حيث عزف فيها على الكمان، جلب لكل واحد منهما هدية، جلب لإرلندور جنديا مصنوعا من الرصاص يحمل في يده بندقية تنتهي

بحربة، طُلِّي الجندي بالكامل باللون الأخضر عدا حذاءه الذي كان أسود إضافة إلى طبقة باهتة من اللون الزهري على وجهه بغرض توضيح قسماته، لم يكن الجندي أفضل لعبة اقتناها، فقد سال طلاءً وجه الجندي على خوذته، وتلطخت يده باللون الأخضر ذاته، واجه إرلندور صعوبة في جعل الجندي يقف بثبات، أما هدية بيرغور فهي سيارة أُغرم على الفور بدقة صنعها ولمعانها ومقودها، صحيح أن إرلندور لم يشتك من لعبة الجندي التي وضعها في طليعة جيش الألعاب الذي امتلكه، إلا أن سيارة بيغي جعلته يشعر كما لو أنه مخنوق.

أشعل سيجارة أخرى، جلس متأملاً قطعة الحديد الموضوعة على لوحة القيادة نافثاً دخان سيجارته، مستذكراً أحداث الأيام الخوالي.

أبحرت سفينة الشحن العملاقة عبر ظلام الخريف، بأضواء متلائة كشجرة الكرسمس، جالبة ترفاً جديداً إلى البقعة المنعزلة التي كان فيها.

حاول إقناع بيغي بأن يبادل السيارة بالجندي، لكن أخاه رفض ذلك بشكل قاطع، عرض عليه أن يقايضها بثلاثة جنود، لكن بيغي هز رأسه رافضاً، وتابع اللعب بالسيارة الحمراء الصغيرة التي لم يكن بوسع أحد أن يفرقه عنها. في إحدى المناسبات، أمسك إرلندور السيارة، وتفحصها وأخذ يلعب بها بحذر، لكن بيغي طالبه على الفور بإعادتها. لم يكونا يتشاجران في العادة، وكانت تلك هي المرة الأولى، أعاد إرلندور السيارة إلى بيغي بقوة لدرجة أن هذا الأخير لم يتمكن من التقاطها، فارتطمت بالأرض، أثار ذلك ذعرهما فتفحصاها معا بحثاً عن أي ضرر محتمل، لينتهي الأمر بأن يحتفظ بيغي بسيارته رغم العرض السخي من إرلندور الذي لم يبقَ لديه من خيار سوى تقبل الأمر.

أطفأ السيجارة، شعر برطوبة السيارة وبرودتها، فهو لم يُبقِ محرك السيارة قيد العمل، تكاثف الهواء على الزجاج، حاجبا عنه الرؤية، سعل من رائحة

الدخان الكريهة ثم مسح فمه، لم يستطع الجزم حول ما إذا كانت هذه اللعبة هي لعبة بيغي. إنه يعرف أكثر من أي شخص آخر أنه يستحيل حسم مثل هذا الأمر، ولكن إذا ثبت أن هذه الخردة المعدنية هي نفسها سيارة بيغي الحمراء اللامعة، فستكون الدليل الأول لما حل به في الجرود.

سبق شجارهما الكارثة بأسبوعين، وقتها كان يشعر بالرغبة في لعبة بيرغور وبالغيرة منه.

تسلل إلى غرفة والديه بحثا عن المواساة والطمأنينة، لكن والده لم يُعره اهتماما، جلس على حافة السرير، ولم يشِ وجهه بأية تعابير، ظل صامتا ومستغرقا بالتفكير، وهذا ما سبق له أن شاهده عدة مرات. مرت دقائق على هذه الحال.

همس إرلندور بتردد: "سيكون كل شيء على ما يرام".

إنه أكثر هدوءا مما كان عليه في أثناء صراعه المحموم للعودة إلى الجرد، شعر بتحسن ملحوظ، فهو لم يعانِ من أي أذى نتيجة الليلة التي قضاها في الثلج، باستثناء الألم الذي تسببه له قضمات الجليد التي غزت أصابع يديه وقدميه.

هناك أوقات تفادى فيها إزعاج والده، لاسيما عندما كان يغرق في مزاج سيئ، كذلك فعل بيغي. شعر الأخوان أن عليهما أن يتركا لوالدهما فسحة من السكنية بمنأى عن ضوضاء الأطفال وشغبهم. مُنعا من دخول غرفة الجلوس التي كانت يختلي فيها بنفسه عندما تخيم عليه غمامة من الكآبة. في غرفة الجلوس، كان يتدرب على العزف على الكمان، امتلك أيضا هارمونيكا، وأجاد العزف على عدة آلات أخرى مثل الأوكارديون، وبسبب إتقانه العزف على أكثر من آلة موسيقية دُعي للعزف في المناسبات والحفلات الراقصة، لكنه قلما لبى الدعوات، نظرا للبعوض الذي يكنّه للأجواء الجامحة، المخمورة. أكثر ما كان يتوق إليه هو الحلول مكان عازف الأورغن في الكنيسة عندما يغيب بداعي المرض، وأشعره تدريس الموسيقا لطلاب المدرسة الابتدائية بالرضى رغم أن



الفرصة لم تُسَنَح له دائما للقيام بذلك. أنشأ مؤخرا فرقة أوركسترا سيمفونية صغيرة مع مجموعة من موسيقيين انحدروا من مختلف المقاطعات الشرقية. كان أحدهم يعزف على الغيتار الذي وجده إرلندور أكثر بهجة من كمان أبيه، خصوصا أن عازف الغيتار كان مدير متجر صغير للتسجيلات الموسيقية بأحدث الإصدارات التي غزّت رفوفه.

احتفظ أبوه بالكمان داخل حقيبة جميلة وضعها في خزانة غرفة النوم، اعتاد على إخراج الآلة يوميا مع نوطاتها والعزف في غرفة الجلوس، لم تكن جلسات العزف دائما بالمدة ذاتها، ولم يكن من السهل على الولدين توقع تصرفات والدهما في أثناء عزفه، في بعض الأحيان كان يطردهما في حين أنه كان يسمح لهما في أحيان أخرى بمشاهدته والاستماع إلى معزوفاته. خلال تحمية الأوتار، كانت النغمات تتراوح بين المنخفضة والمرتفعة مما يجعل الولدين يغطيان آذانهما براحتي أيديهما. في العادة، ما إن يحمل الكمان حتى تدب الحياة في الآلة وتراقص الأوتار بألحان مفعمة بالحوية، مائلا المنزل بنغمات عذبة. لكن في العديد من المرات لم يكن باستطاعته أن يستحضر سوى ألحان قاتمة، تواقّة، صاحبة كأنها التماسُّ للشجاعة والصلابة.

تعلم إرلندور كيف يميز حالة أبيه النفسية، والتي غالبا ما تتباين من يوم إلى آخر، لكنه أدرك بعد فوات الأوان أنه واقع في براثن كآبة حادة. سعى لتعليم ولديه العزف، وإقحامهما في عالم الموسيقى، ولكنه اكتشف أنهما لم يكونا موهوبين، ومع أنه علّق آمالا بتعويض النقص في الموهبة من خلال التدريب الشاق والمتقن، إلا أنه توصل في النهاية إلى نتيجة مفادها أن لا فائدة تُرجى منهما.

كان قد نشأ على صوت الأوكارديون وترانيم الجوقة بصوت ذكوري، لينتقل بعد ذلك شمالا إلى أكروريريا ليتعلم الموسيقى مستلهما الرغبة في ذلك

من آلة هارمونيكا اقتناها في صباه. هذه الفرص كانت نادرة في سنوات الكساد، لذلك وجب عليه أن يهجر الدراسة في وقت مبكر عائداً أدراجه إلى الديار. عزف على آلات مستعارة، حتى في حصص الموسيقى في المدرسة، ولم يحقق حلمه باقتناء واحدة إلا بعد فترة طويلة، وذلك بعد أن ادّخر لوقت طويل ما يكفي لشراء كمان مستعمل علم أنه معروضٌ للبيع في هوفن، التي تقع في الجنوب الشرقي. حصل ذلك مباشرة بعد مولد بيغي.

لم يكن لدى العائلة ما يكفي من المال ليدخروه، ولم يحصلوا على الرفاهية إلا فيما ندر، لم يكن التقشف أمراً مستغرباً بالنسبة إليهم. كانوا يعملون بالزراعة، وشكّلت دروس الموسيقى التي يعطيها والدهما رافداً مالياً، ودعّم أيضاً عملُ والديهما في مصنع الأسماك مدخولَ العائلة، ولم يحظَ الولدان بالهدايا إلا في الكرسمس، وذكرى مولديهما، مع بعض الاستثناءات حين يحضر لهما والدهما الهدايا عندما يكون حسن المزاج، وذلك ليعوض عليهما ما يمرون به من ظروف عصيبة، مما يجعل منها بارقة أمل في وسط الظلام الذي يعيشون فيه، صحيح أن هذه الهدايا غير المتوقعة لم تكن مميزة بل بخسة الثمن، إلا أنها كانت بنظريهما أعلى من الذهب، فقيمتها تكمن في فكرة الهدية، وليس في ما يميزها.

خلال نوبات الاكتئاب الحادة، كان والده يلازم الفراش دون أن يبارح غرفته، عندها كانا يتحركان على رؤوس أصابعهما في أرجاء المنزل. في العادة، كانت أسوأ حالاته تتزامن مع اقتراب عيدَي الكرسمس ورأس السنة، في أحلك أعماق الشتاء، عندما يملكك الإحساس بأن الشمس قد لا تشرق مرة أخرى. تتعاقب الأيام المظلمة الطويلة دون أن تمتد يده إلى الكمان الذي قبع يوماً ما تلو الآخر في حقيبتة، إلى أن خمدت جميع ألحانه الفرحة والكثيية أيضاً.

أدرك أن أحد ولديه عُثر عليه حيا، ولكن هذه الحقيقة لم تكن كافية لكسر عزلته أو التخفيف من كربه، لم يعرف أحد مثله هول العاصفة، فقد أوشك أن يكون إحدى ضحاياها، بالرغم من أن إرلندور كان بأمس الحاجة إلى المواساة إلا أنه لم يستجب له، لا يزال ابنه الصغير مفقودا فسيطر عليه هاجس أنه ميت.

وقف إرلندور ضائعا إلى جانب والده، وعندما لم يكثرث بأمره تأجج في داخله إحساسٌ بالرعب من أن يكون موضع لوم بشكل من الأشكال. تفادى التفكير في ما قد يكون اقترفه، عوضا عن ذلك تاق إلى أن يحظى بطمأننة تُثبت له خطأ إحساسه، وأنه لم يكن بوسعه التصرف على أي نحو آخر. لكن أباه كان بعيد المنال. لم يستجب لإرلندور أو حتى ينظر إليه. لم تقدم له حقيقة أن أحدَ ولديه حيَّ العزاء. لقد كان الصمت المطبَّق بالنسبة إلى إرلندور أكثر سوءا من الاستلقاء في الثلج.

"أنا آسف". قالها بصوت خافت جدا لدرجة أن الكلمات بالكاد سُمعت: "لم أقصد أن... ما كان يجب عليّ..."

رفع أبوه رأسه ناظرا إليه.

"ما الذي لديك هنا؟".

"أنت جلبته لي، إنه جندي"، قال باسطا قبضته لئريه إياه. "حصل بيغي على سيارة صغيرة".

"ما الذي تتحدث عنه؟".

"أعطيتني الجندي وأعطيت السيارة لبيغي".

"هل قمتُ بذلك؟".

"كانت السيارة بحوزته، كانت في قفازه".

استلقى في أطلال المزرعة طوال الليل، معيدا إحياء تسلسل الأحداث التي أدت إلى افتراق الأخوين عن والدهما خلال رحلتهم المشؤومة، وكان يأخذ سنة من النوم بين الفينة والأخرى في حقيبة النوم الدافئة، لكن عندما استيقظ في الصباح، أحس للحظات بأن جسده متخشب. كوّم نفسه فوق القنديل بحثا عن الدفء، أكل ثلاث قطع من كعك الشوفان وقد صب القهوة في غطاء الترمس البلاستيكي. حصل على هذه القهوة في الليلة السابقة من متجر القرية عن طريق فتى كان صفيقا أكثر من كونه مرحا بذل جهدا حثيثا لإجباره على الحديث معه.

سأله عندما لاحظ أن إرلندور ليس من المنطقة: "أنت هنا لعمل يخص معمل الصهر، أليس كذلك؟".

"لا"، أجابه إرلندور بجفاء. "أنا بحاجة أيضا إلى ثلاث علب فايسروي من فضلك".

جلب الفتى الذي يرتدي بنطال جينز وكنزة قطنية ممزقة السجائر من الجارور ووضعها على المنضدة.

"هل تعمل في السد؟".

"لا، هل يمكنك أن تعبي لي الترمس بالقهوة؟".

"تفضل"، أشار الفتى إلى آلة القهوة الموضوعه على طاولة متسخة إلى حدّ ما في الزاوية وكان إبريقها نصف ممتلىء. "إنها مجانية. حسنا ما الذي تفعله إذن؟".

ملاً إرلندور الترمس ودفَع ثمن السجائر، تبعه الفتى في كل خطوة. اندفع إرلندور مسرعاً نحو الباب عندما لمحَ المزيد من الأسئلة تلوح في الأفق. "هل أنت الرجل العجوز في الموقع المهجور؟...". سمع سؤال الفتى في حين كان الباب يغلق خلفه.

قال إرلندور متمتماً وهو يهيمّ بالمغادرة: "يا له من أحمق كثير الإلحاح!". بعد أن أنهى فطوره البسيط، قاد سيارته قاصداً إيغلستادر؛ العاصمة الإدارية لشرق أيسلندا، التي تبعد قرابة الخمسين كيلومتراً. في البداية، سلك الطريق الساحلي ملتفًا حول الرأس البحري عند سفح جبل هولماتيندور، ملقياً نظرة سريعة على الأعمال حول موقع البناء في ريدارفيديور، ثم توغل في اليابسة عبر طريق ملاصق لمنحدر جبلي ملاًته أخاديد السيول، جاعلاً الخلجان وراءه، لينحدر بعدها إلى وادي فاغريدالور، محاذياً الوادي الصخري للنهر، وهذا ما أوصله إلى إيغلستادر خلال فترة قصيرة جداً. كانت القيادة جيدة إذا ما استثنينا طوابير شاحنات نقل البضائع التي هدرت في طريق الذهاب والإياب، مدمرة سكينه الصباح. لم يكن مستعجلاً بل تعمد القيادة بتأنٍ.

تمكن من إيجاد طريقه إلى دار الرعاية، وسأل موظفة الاستقبال عن كغارتان هالدورسون، فوجهته بدورها لكي يتحدث مع إحدى المضيفات، التي اصطحبته إلى ردهة بتلفاز صغير جلس فيها رجل في قرابة السبعين من عمره يشاهد برامج الكرتون. اقتربت الفتاة لتهمس في أذنه.

"لديك ضيف يا كغارتان". أعلنت عن ذلك بصوت مرتفع بما يشبه الغناء، وكأنها تخاطب طفلاً صغيراً.

اعتدل العجوز في كرسيه متمتماً بينه وبين نفسه

"يرغب في التحدث إليك". تابعت الفتاة قولها.

شكرها إرلندور، وحيّا الرجل ذا الشعر الرمادي واليدين النحيلتين اللتين بدت آثار الشقاء عليهما. بدا واهنا يعاني من التهاب في المفاصل، وهذا لم يبدُ صادما لشخص بسنه. اكتشف إرلندور من جراء الأحاديث الصغيرة التي أجريها لاحقا أنه يعاني من مرض مزمن أدى إلى فقدانه النظرَ في إحدى عينيه. قال كغارتان موضحا: "نعم، أنا نصف أعمى في هذا الجزء".

قال إرلندور، غير واثق في التعابير التي عليه أن يُظهرها: "يا له من أمر مؤسف!".

قال كغارتان موافقا إياه: "نعم، إنه مصدر للإزعاج بعض الشيء، لاسيما أن العين الأخرى تضعف، اعتقدوا أنه من الأفضل إبقائي هنا كي لا أتعرض لحالة طارئة، بالكاد أستطيع رؤية الشاشة الآن".

افترض إرلندور أنه يشير إلى التلفاز، تكلمنا لفترة عن الإعاقات البصرية، قبل أن يتمكن أخيرا من الوصول إلى غايته، قائلا إنه يجري بحثا حول حالات اختفاء الناس في الجبال، وإنه سمع عن اختفاء خالته ميثلدور في أثناء سيرها من إيسكيفيجندور ورايدارفيديور في كانون الثاني من عام 1942.

تناهى صوت المذياع من مكان مجهول إلى حيث يجلسان، حاملا لحن أغنية البوب الحزينة 'ربيع فاغلاسكوغور' الصادرة في عام 1960.

قال كغارتان وقد بدا عليه السرور لأنه سيقدم يد المساعدة ولو بشكل بسيط: "نعم. نعم هذا صحيح. أتعلم؟ رغم أنها كانت خالتي، إلا أنني لم ألتقِ بها أبدا".

"هل لديك أية ذكريات عن الحادثة؟".

"لا، كنت صغيرا وقتها، وكنا نقطن في ريكيافيك، لكنني أتذكر بوضوح الأحاديث التي دارت حولها، كنت في السابعة من عمري، أمي هي أكبر الأخوات، وانتقلت في صباها للعيش في ريكيافيك حيث وُلدت".

"فهمت".

"أتعلم، أنا أيضا غادرت المنزل بدوري في سن صغيرة، أسست عائلة، وعملت في البحر. في تلك الأيام كان بإمكاننا الحصول على مبتغانا، أما اليوم فأصبح الأغنياء يديرون كل شيء، بفضل كل هذه المحاصصات".  
"لذلك انتقلت شرقا؟".

"نعم، زوجتي تنحدر من هناك، ولم أتواصل مع أي شخص من أقاربي هنا، بالكاد كنت أعرفهم".

قال إرلندور: "اختفت ميثلدور في الليلة ذاتها التي واجه فيها بعض الجنود البريطانيين المصاعب".

قال كغارتان: "هذا صحيح، ضربت الجرود عاصفة هوجاء قيل إن الرياح بدت وكأنها إعصار، لم يكن بإمكان أحد الوقوف باعتدال، وسيطرت على المنطقة ظروف جوية خطيرة".

"هل استمرت عملية البحث طويلا؟".

"قيل لي إنها استمرت أياما، لكنها لم تُجدِ نفعا".

"هل تتذكر إن تحدثت والدتك عن الحادثة؟ هل أثار انتباهك أي سياق خارج المؤلف؟".

"لا أذكر".

"ماذا عن ميثلدور؟ هل ذكرت والدتك أي شيء بشأنها؟ هل كانتا على وفاق؟".

"لم تكونا على تواصل، سكنت أمي ريكيافيك، وفي تلك الأيام كانت المواصلات صعبة".

قال إرلندور: "هل تحتفظ بأية أوراق ذات صلة بميثلدور كانت بحوزة والدتك أو خالتك؟". سبق لإرلندور أن سأل السؤال ذاته لهرونند، وأخبرته

أنها لا تمتلك شيئاً، ولكن ربما كان هناك مراسلات بين ميشلدور وأخواتها الأخرى، رغم أن هرون لم تتذكر أنها سمعت شيئاً من هذا القبيل. قال كغارتان مقطبا جيبينه: "بضعة أشياء مختلفة".

"هل تعلم ما إن كانت قد تبادلت مع والدتك الرسائل في تلك الأيام؟".  
"بعد وفاة والدتي، أرسلت لي أختي صندوقاً فيه شتى أنواع الهراء: عقود إيجار، فواتير قديمة، ومطالبات ضرائبية، وأخبرتني أنه يمكنني التخلص منه إن رغبت. أذكر أنها احتفظت برزمة من الصحف، لم تكن والدتنا ترمي أي شيء، لا أعرف لماذا أرسلتها أختي لي، لم يكن لي شأن بها. إضافة إلى الجرائد، وجدت رسائل ألقيت عليها نظرة خاطفة".  
"لم تقرأها مطلقاً؟".

"لا. بحق السماء. كنت مشغولاً بما فيه الكفاية، ولم يكن لدي وقت أهدره على مثل هذه الأشياء".

# مكتبة

t.me/t\_pdf

"أما زلت تحتفظ بالصندوق؟".

"أعتقد ذلك. يعتني ابني بالأشياء القليلة التي تعود لي، تستطيع التحدث إليه بشأنها".

قال إرلندور بشكل غير قاطع: "سأقوم بذلك".



بعد الظهرية بقليل، ركن إرلندور سيارته قرب منزل إيثور؛ ابن كغارتان. كان فيلا مستقلة بالقرب من كلية إيغلستادر التي تتبع النموذج السادس الذي يعادل الثانوية. عمل إيثور، الذي عاد لتوه إلى المنزل من أجل تناول الغداء، في شركة إنشاءات تشارك في مشروع بناء السد في المرتفعات. كرر إرلندور كلامه المنمق حول البحث الذي يقوم به عن الحوادث التي تقع في الجبال ذاكرا أنه قدم للتو من زيارة والد إيثور، الذي أعطاه الإذن للاطلاع على بعض الأوراق القديمة الموجودة في الصندوق الذي كان يحفظه له ابنه.

بدافع الفضول، استفسر إيثور عن البحث الذي يجريه إرلندور وعمّا إن كان بصدد تأليف كتاب. راوغ إرلندور في الإجابة عن السؤال متفاديا تقديم كذبة صريحة. صرّح إيثور أنه لا يملك أدنى فكرة عن السبب الذي حملّه على الاحتفاظ بالصندوق، فقد تخلص من كثير من سقط متاع أبيه منذ أن انتقل للإقامة في دار للمسنين، وكان يجدر به رمي هذا الصندوق أيضا، فهو لم يحتوِ سوى على أوراق، مرجحا أن ينتهي المطاف بالصندوق في مكب النفايات في المرة القادمة التي يرتب فيها المرآب.

سأل إيثور: "كيف حال الرجل العجوز؟". استغرق إرلندور ثانية أو اثنتين ليستوعب أنه يقصد والده.

أجابه: "أعتقد أنه بخير".

"ألم يتحسن نظره؟".

"هذا ما فهمته".

"لم تتح لي فرصة رؤيته منذ فترة طويلة، هذا ما يحصل حين تكون جزءاً من عملية بناء أكبر سد في أوروبا، فالعمل يستنزف كل وقتك. بالحديث عن ذلك، هل بإمكانك العودة لاحقاً هذا المساء؟ لأنني تأخرت على العمل".  
قال إرلندور على أمل أن تكون تلك ذريعة كافية لينال مراده: "أخشى أنه يجب عليّ العودة إلى ريكيافيك، أنت مضطر لأن تبقى معي لبعض الوقت".  
تردد الرجل، رن هاتفه، نظر إلى رقم المتصل وفصل الاتصال.  
قال له: "حسناً، لنفعل ذلك".

دُفن الصندوق في المرآب تحت أكوام من الخردة التي وضعها إيثور جانبا: إطارات سيارة تُستخدم في الصيف عندما لا تغطي الثلوج الطرقات، علب طلاء، معدات بستنة. ليست لديه أدنى فكرة عما احتوته الأوراق، ولم يكن لديه الوقت الكافي للبقاء إلى جانبه، لذلك أخبره أن ابنه الأصغر موجود في المنزل في حال احتاج إلى أية مساعدة. إنه طالب في المرحلة الثانوية، خرج في استراحة الغداء، هذا إن كانت معلوماته صحيحة.

شكر إيثور نظراً لمساعدته القيمة، واعتذر عن الإزعاج الذي سببه، مخبراً إياه أنه لن يبقى لوقت طويل.

صعد الرجل إلى سيارته رباعية الدفع، وغادر تاركاً إرلندور خلفه في المرآب الذي بقي بابه مفتوحاً ليقف حيث كان الصندوق عند قدميه. بدأ المطر بالهطول، أخرج مغلفاً كبيراً بني اللون احتوى على الإقرارات الضريبية التي تعود للفترة الممتدة بين عامي 1972 و1977 ووضعها على إحدى الطاولات، بعد ذلك أخرج كتابي ترايل طُويت زواياهما بشدة، قلب صفحاتهما على عجل قبل أن يضعهما فوق المغلف، وبعدها استخرج ثلاث نسخ من مجلة ريترز دايجست مع رزمة من الجرائد المصفرة.

"مساء الخير، ماذا تظن نفسك فاعلاً؟". التفت عندما سمع هذا السؤال،  
فرأى فتى.

أجابه: "أجري بحثا عن الأشخاص الذين فُقدوا في الخليجان الشرقية".  
"وهل تقوم بذلك في مرآبنا؟".

"إحدى قصص الاختفاء تخص خالتك التي اختفت في الجرود".  
"اختفت في الجرود؟".

"نعم".

"ما الذي كانت تفعله هناك في الأعلى؟".

"كانت تتسلق عبر الممر، ويُحتمل أنها تعرضت لحادث".  
"أوه".

تجاوزته الفتى بخطوات متناقلة ليمشي بتكاسل عبر الشارع في طريق عودته إلى المدرسة، بدا شخصا أخرق، وقد ارتدى سرواله بشكل منخفض عن عمد لدرجة ظهر فيها لباسه الداخلي. "ما الذي حل بالعالم؟". ففكر إيرلندور وهو يراقب الفتى الذي اختفى عبر الزاوية.

عاد ليستأنف مهمته المتمثلة في إخراج الأوراق والكتيبات من الصندوق. أخيرا وصل إلى حزمة من الرسائل فتوقف لقراءتها. كانت بعض الرسائل من أخوات إيغون وبعضها الآخر من أمها أو أصدقائها. الرسالة الأخيرة التي وصلتها من ميشلدور يعود تاريخها لثلاثة أشهر قبل الاختفاء. تضمنت الرسالة أخبارا محلية، إضافة إلى بعض التفاصيل عن الطقس: لقد كان فصل الخريف هذا متقلبا، والآن ها هو ذا الشتاء يطل برأسه. لكنها كانت تتطلع للاحتفال بعيد الميلاد، وتصنع ثوبا لترتيده في موسم الأعياد. اقتصر محتوى الرسائل السابقة على العموميات، لم ترد أية إشارة عن طبيعة علاقتها بزوجها. أدرك إيرلندور أنه لا يمكنه أن يعول على الرسائل، إذ لم يكن جميع الناس مستعدين للروح بمكنونات صدورهم إلى الأوراق.

توجهت إلى الحفلة برفقة نينا، كتبت في رسالة يعود تاريخها إلى عامين

قبل حادثة الاختفاء. لقد حظينا بوقت رائع. عزفت فرقة محلية منوعات من ألحان حديثة وتلك القديمة المفضلة. رقصتُ ونيانا حتى أعيانا التعب، دعيني أخبرك بداية أن الشبان شعروا بالخجل من الرقص معنا. يعقوب الذي تعرفينه كان حاضرا، تحدثنا مطولا بعد الحفلة. إنه يسكن في إيسكيفيغندور حاليا. قرأ إرلندور جميع الرسائل التي كانت موجودة في الصندوق، لكنه لم يُوفق في التعرف بشكل أفضل إلى ميثلدور أو يعقوب، بعدها أعاد ترتيب المحتوى ليكون بالتعاقب الصحيح. رأى أنه سيكون من المفيد إن اطلع على الجرائد، لذا شرع في تقليب الصفحات، لم يفهم السبب الكامن خلف قيام أخت ميثلدور بالاحتفاظ بهذا العدد من النسخ من الجريدة الناطقة باسم الحزب التقدمي. تقارير عن مشاحنات سياسية ملتعبة وقرارات تم إصدارها من قبل اتحاد المزارعين تخللتها فقرات إخبارية حول موسم ولادة الحملان وحصاد القش، بيد أن أحد الإصدارات روى قصة الكارثة التي حلت بالجنود البريطانيين، وتطرقت في مقتطف صغير إلى حادثة اختفاء ميثلدور أيضا.

في عدد آخر قرأ نعيًا ليعقوب. استطاع أن يستخلص أن الكاتب بيتر ألفريدسون كان أحد أصدقائه، تبعت المقالة أصول عائلة يعقوب التي انحدرت من هورنافيجيدور في الشرق وصولا إلى ريكيافيك حيث وُلد، ثم تضمنت تعدادا لمناقبه، مشيرة إلى أنه عزف عن الزواج بعد أن خسر زوجته الشابة في حادثة مأساوية. في الختام كان هناك سرد مقتضب لحادث غرق مركبه بعد عودته من رحلة صيد، وكيف تم انتشاله ومرافقه من البحر، ليتم إيداع جثتيهما في مشرحة إيسكيفيغندور قبل الشروع بمراسم الدفن.

لم يكن محتوى النعي هو جُل ما أثار اهتمام إرلندور بقدر كلمة مقروءة بوضوح تم خربشتها على كامل المحتوى باستخدام قلم رصاص عريض:

سافل

جلست هروند قرب النافذة، محدقة إلى المكان الذي يُفترض أن تنتصب فيه أبراج نقل الكهرباء. أنار وهج الأضواء الكاشفة المنبعثة من موقع الإنشاءات السماء، لكن مصنع الصهر كان محجوبا عن الرؤية. شاهدت إيرلندور وهو يصل بسيارته، نهضت هذه المرة مبادرة إلى فتح الباب عندما طرقه، ودعته لدخوله، تبعها إلى غرفة الجلوس حيث عادت إلى نقطة تمرکزها المعتادة.

قالت له: "في هذه الفترة من العام تكون الأمسيات لطيفة".

قال إيرلندور موافقا إياها بعد أن جلس في مكان انعدمت فيه الإضاءة: "نعم، إنها كذلك". في حين جلست هروند في مكان شبه مظلم متدثرة بالبطانية. عكست مصابيح الشارع ظلها على الجدار المتوضع خلفها ليجد إيرلندور نفسه ينظر بافتتان إلى ظلها. بدت هروند غير معنية بسبب زيارته، كما لو أن جلوسهما هناك كان أمرا مفروغا منه، كانا غريبين يتشاركان الصمت.

قال إيرلندور في نهاية المطاف: "ذهبت اليوم إلى إيغلستادر".

سألته هروند: "حقا؟ هل ترغب في إخباري عن التفاصيل؟ بإمكانك أن تُعد لنفسك بعض القهوة إذا أحببت، بالمناسبة هناك بعض منها في الإبريق، وبإمكانك إيجاد فنجان في الخزانة فوق حوض غسيل الأطباق".

توجه إيرلندور إلى المطبخ، وعندما عاد رأى هروند جالسة بعيدا عن النافذة تنتظره بترقب.

"أفترض أنك لا تزال تتقصى المعلومات عن ميثلدور".

"هذا صحيح".

"لابد أنك ذهبت لزيارة ابن أختي، هل قصدت المنزل؟".

أشار إرلندور بالإيجاب.

"لم أعرفه بشكل جيد على الإطلاق، هذه هي الحال دائما".

قال إرلندور وهو يفكر في عائلته: "هذا أمر شائع للغاية، إن صحته جيدة.

بالمناسبة، لقد فقدَ البصر في إحدى عينيه. لقد سمح لي بتفحص صندوق

يعود إلى أختك إيغون، وجدت فيه بعض الرسائل القديمة وأشياء من هذا

القبيل".

"هل كانت مفيدة؟".

"لا".

"للأسف، ليست لديّ أية رسائل من ميثلدور، إذا كان هذا ما تسعى إليه".

"لا، لقد سبق وأخبرتني بذلك، في الحقيقة أتساءل هل ما زلتِ تحتفظين

بشي من أغراض ميثلدور الشخصية أو صور ما؟".

"لا أعرف أي شيء يتعلق بأغراضها، لديّ صورة فقط تجمعني مع

أخواتي، ولكن أين وضعتها؟". نهضت وتوجهت إلى غرفة النوم، شعر

إرلندور بالذنب لتكبيدها عناء ذلك. لكنه واسب نفسه بفكرة أنها وحيدة وأن

وجود بعض الرفقة ولو كانت غير ممتعة سيكون مفيدا لها.

عادت هروند حاملة علبتي أحذية، جلست على كرسيها، وبدأت البحث

فيهما.

"لم أضعها في ألبوم صور، لم أتكبد عناء ترتيب الصور بشكل لائق.

زوجي ميت، هل أخبرتك بذلك؟".

قال إرلندور: "لا". أخبره بواس أنها أرملة وأن لديها ولدين انتقلا

للدراسة في ريكيافيك، وبقيها هناك، لا يأتيان إلى هنا إلا بهدف الزيارة.

"هذه صورتي، أعتقد أنني نسيتهما، وهذه تجمعني وأخواتي في أثناء لف أكوام القش".

سلمت إرلندور صورة مجعدة باللون الأبيض والأسود بخلفية صفراء تلطخت بشيء ما ربما كان قهوة. وقفت الفتيات الأربع في المرعى، يحملن بأيديهن مذارى جمع القش، التُقطت الصورة في يوم صيفي جميل، وقفن مبتسمات أمام الكاميرا، وقد ارتدين جميعهن أثوابا، ووضعت اثنتان منهن غطاء على رأسيهما، كن مصطفات أمام المصور. بالرغم من أن ذلك كان منذ عدة سنوات ماضية، إلا أنهن كنّ سعيدات بلا شك.

قالت هروند: "أمنا هي من التقطت الصورة، كانت الكاميرا مُلكا لزوجها الثاني ثوربجورن. ها أنذا أقف في أقصى اليسار؛ الطفلة الصغيرة للعائلة التي لم تكن في الحسابان، إيغون هي التي تضع وشاحا على رأسها وإلى جانبها ميثلدور، تليهما جوانا المسكينة".

لم تكن معالم وجوههن واضحة، ولكن إرلندور استطاع تمييز ملامح وجه ميثلدور، عينان عميقتان ومحيا صلب. بحث عن تاريخ للصورة، ولكنه لم يجده.

قالت هروند، وكأنها تقرأ ما يدور في خلدته: "أظن أنها التُقطت قبل ثمانية أعوام من اختفائها، خلال فترة الكساد".

"انتقلت كل من إيغون وجوانا إلى ريكيافيك، أليس كذلك؟ هل انتقلتا في الوقت ذاته؟".

"لا، ذهبت جوانا أولا، وتبعتهما إيغون. في الواقع حدث ذلك بعد فترة قصيرة جدا من التقاط هذه الصورة. تغير كل شيء بسرعة كبيرة، في لحظة كنا نعيش في منزل واحد، ونحظى بأوقات رائعة، وفجأة تبعثرنا في كل الاتجاهات، حصل ذلك فجأة، ولم تعد الأمور إلى سابق عهدها".

سألها إرلندور: "هل تذكرين صديقة لميثلدور عُرفت باسم نينا؟".

"نعم، أتذكرها، كانت لطيفة، أظنها لا تزال على قيد الحياة، بإمكانك

التحقق من ذلك. نينا هو اسمها الحقيقي وليس اسم الدلع".

"هل أمضت حياتها في منطقة الخليجان الشرقية؟".

"نعم، إنها وميثلدور صديقتان مقربتان منذ الطفولة".

قال إرلندور وهو يهيمّ بالنهوض: "سأبحث عنها. حسنا، لا أريد أن أبقىك

مستيقظة حتى وقت متأخر".

ردت هروند: "لا بأس، ولكنني لا أفهم الدافع وراء اهتمام شخص لا

يمت للعائلة بصلة بميثلدور. هل تُعد كتابا؟".

قال إرلندور مبتسما: "لا، أنا لا أعد كتابا، بالمناسبة هل عرفت إيغون

يعقوبا قبل أن يتزوج من ميثلدور؟".

"إيغون ويعقوب؟ لماذا تسأل عن ذلك؟".

احتار إرلندور، أيجدر به إخبارها بأمر رسالة ميثلدور التي وجدها في

صندوق إيغون، وكلمة "سافل" التي كُتبت فوق نعي يعقوب؟ لم يستطع حسم

أمر من كتب هذه الكلمة أهي إيغون أم شخص آخر، ربما لم تكن الجريدة

لها، وربما أحدهم أرسلها إليها.

أجابها: "مجرد سؤال، لا بد أن فتاة بمثل جمالك قد حظيت بالكثير من

المعجبين".

سألته هروند متجاهلة محاولته إطراءها: "ما الذي توصلت إليه؟".

قال بسرعة وقد أحس بالتغيير المفاجئ في مزاجها: "لم أتوصل إلى شيء".

"أنت... لا تتجسس على عائلتنا، أليس كذلك؟".

كانت المحادثة تنحو منحى كارثيا، ولم يستطع إرلندور التفكير في طريقة

لينقذ الموقف، فلم يكن بأفضل حالاته، لاسيما بعد أن جافاه النوم في الليلة



السابقة، وأن أمضى وقتا طويلا اليوم وراء المقود.

"بالطبع لا أقوم بذلك". قال مؤكدا، مستشعرا كم كانت طريقة حديثه غير

مقنعة.

"حسنا، دعني أخبرك أنني أبعد ما أكون عن السعادة بسبب تطفلك، لا

أستسيغ الطريقة التي تأتي بها إلى هنا لتبدأ في استجواب أفراد العائلة كأنك...

رجل شرطة، لن أقبل بذلك!".

"بالطبع لا أقوم بذلك"، كرر إيرلندور. "أرجو أن تقبلي بالغ أسفي إن

كنت قد أسأت إليك بطريقة ما".

سألته هرond بحدة واضحة: "ما الذي تصبو إليه؟ ما الذي تنوي الوصول

إليه؟ ما علاقة كل هذا بالأشخاص المختلفين؟".

أجابها إيرلندور: "لا شيء، حقا. سبق لك أن قلت إن الناس تداولوا

شائعات مفادها أن ميثلدور كانت تطارد يعقوب مثل شبح".

"قلت إن تلك كانت محض شائعات، بالتأكيد أنت لم تأخذها على

محمل الجد؟ أقاويل عمرها أكثر من نصف قرن؟".

"لا، ولكن".

"أضف إلى ذلك أنني لا أومن بالأشباح".

"ولا أنا".

"أظن أنه يجدر بك الرحيل".

ودعها إيرلندور بسرعة، وخرج إلى سيارته من دون أن يلتفت وراءه،

مدركا وجودها عند النافذة، وأنها تحدق إليه.

ركن سيارته قرب معمل صهر الألومينيوم ليلقي نظرة على الأعمال

الدائرة. بلغ بناء العنابر العملاقة المخصصة لقدور الصهر مرحلة متقدمة،

ورأى عمالا كثيرا يتحركون في الأرجاء، وهم يسابقون الزمن ليل نهار للانتهاء

في الوقت المحدد. أضاءت الكاشفات المنطقة المحيطة عند مغيب الشمس بشكل بدا سماويا. عكّرت كل تلك الأعمال الدؤوبة صفو الخليج الضيق والجبال المغطاة بقبة من الثلج المنعكسة على مياهه التي بدت كمرآة. اجتاحه مجددا شعور غريب بأنه مستلق في المزرعة المهجورة، يترصده وجود غير مرئي، لا بد أنه يهلوس، مدركا أنه لم يعد في البيت القديم. لا بد أنه غادر، أو أنه لا يستطيع أن يرى سماء الليل المليئة بالنجوم. لكن ربما كان ذلك بسبب هلوسته.

نظر إلى حيث يُفترض أن يكون الباب، لكنه لم يبصر سوى الظلام الحالك. مدّ يده ليلمس جدارا خشنا ورطبا، لديه مصباح وضعه في مكان ما، تلمس المكان حوله ليقوم بإشعاله، كانت إضاءته ضعيفة فقد ألقى نورا خافتا على المكان حوله: المدخل الخاوي، النوافذ المكسورة التي تسرب البرد من خلالها، السقف المنهار في مواقع مختلفة. شعر أن هناك شخصا ما، لكنه لم يستطع رؤية أحد.

"من هناك؟". صرخ، لكن أحدا لم يُجبه.

وقف، وعبر الغرفة، مستعينا بالنور الخافت للمصباح، لم يجد أي أثر للمسافر الذي يتذكره واقفا عند عتبة المنزل، متحدثا معه كأنه كان يعرفه منذ زمن. اختفت الرؤيا التي راودته، لديه انطباع غريب في أن أحداثها ستحصل لاحقا.

وضّب سريرا في غرفة الجلوس حيث كانت الأريكة في السابق. السرير مكوّن من بساط وبطانتين ليغطي بهما حقيبة النوم، إضافة إلى حقيبة ظهر استعملها بمثابة وسادة، إلى جانبه توضع الحذاء البالي وكيس قمامة يحتوي على بعض بقايا الأطعمة. لقد بذل قصارى جهده لكي يُبقي المكان منظما، وما ساعده على ذلك أنه لم يسطحبه معه كثيرا من الأمتعة. ربما لم يكن المنزل سوى أطلال موحشة، مفتوح على الريح ومختلف عوامل الطقس، لكنه تنقل بين الغرف بوجل فالمنزل كان مغروسا في داخله منذ طفولته.

سأل بصوت منخفض: "هل من أحد هناك؟".

لم يُجبه سوى صفير الرياح، وصرير الباب الذي لا يزال ثابتا بعناد في مكانه، وقرقعة الصفيح المعدني الذي تشبث بصلاصة استثنائية بالسقف. خطا عبر الممر موجهها ضوء المصباح خارجا نحو فناء المنزل قبل أن يدخل إلى المطبخ. أخذ ضوء المصباح يزداد خفوتا، وظلام الليل يزداد حلكة حوله، ومضت دائرة النور الخافت على الرفوف الخاوية. في الماضي كانت هناك طاولة أسفل النافذة التي تطل على الحظائر، ومن خلفها الجرود والجبال. يبدأ النهار على تلك الطاولة وينتهي.

كرر هامسا: "هل من أحد هناك؟".

تابع بحثه خارج المطبخ مجتازا الممر القصير إلى غرفة النوم، لم يستطع ولوج غرفة نوم والديه، حيث انهار السقف سادا الباب وجزءا من الممر. هناك حيث جلس والده بعد أن نزل من الجرود، في حالة يُرثى لها، مدركا أن ولديه لا يزالان هناك في الأعلى، متأكدا من أنهما تائهان. كان منهارا بالكامل، فهو يدرك أكثر من أي شخص آخر ماهية الظروف الجوية هناك في الأعلى. غطت بقع سيئة من قضمات الجليد وجهه في الوقت الذي اجتمعت فيه فرق البحث في المطبخ.

همس للمرة الثالثة: "هل من أحد هناك؟". ازداد ضوء المصباح خفوتا، ضربه بيده حتى يزداد سطوعا بشكل مؤقت، أو شكت البطارية على النفاد، تابع تقدمه إلى غرفة نومه المشتركة مع أخيه مسلطا الضوء على المكان الذي وُضع فيه سريراهما ولم تفصل بينهما سوى منضدة، هناك خزانة صغيرة للملابس في الزاوية، وسجادة سميكة لتقي أصابع أقدامهما صقيع الأرض. الآن الغرفة خاوية إلا من الظلام.

أخيرا، توصل إلى قناعة مفادها أن ما من أحد سواه في المنزل، وأن ما شعر به، لم يعد كونه وهما. عاد أدراجه عابرا المطبخ والرواق إلى غرفة

الجلوس، عندها انطفأ المصباح بشكل كامل. هزه مجدداً، فأصدر ضوءاً ضعيفاً على الجدار المقابل. انعكس ظل رجل على السطح الخشن ولوهلة بدا كأنه بظهر مدبرٍ ورأسٍ مطأطئ كأنه كان في حالة هزيمة. أجفسته تلك الرؤية لدرجة سقط فيها المصباح من يده وانطفأ مرة أخرى.

انحنى متحسباً الأرض باحثاً عن المصباح، عثر عليه، ضربه ثلاث ضربات فأصدر نورا غمر الغرفة، قبل أن ينطفئ بشكل نهائي، نظر حوله هلعاً، ولكن الرجل كان قد اختفى ولم يجد له أثراً.

تمتم: "ماذا تريد مني؟".

إنه يستلقي الآن في البرد، بعينين نصف مفتوحتين، لا يعرف منذ متى توقفت الرعدة اللاإرادية، لا يشعر بيديه أو قدميه، ولا بالصقيع الذي يحيق به. يعلم أنه سيغط في النوم قريباً، لكنه يقاوم إحساس النعاس هذا. كان من المصيري بالنسبة إليه البقاء مستيقظاً قدر الإمكان، لكن قواه كانت تخور شيئاً فشيئاً. تذكر رؤيته للنجوم في أثناء استلقائه على الثلج.

في ظل ذلك البرد الذي يُذهب العقل، أدرك أنه فقد القدرة على التفكير بشكل صحيح.

بينما كان إرلندور يقود بهدوء على الطريق المتعرج نحو المزرعة، رأى بواس يندفع ليحييه، لم يسبق له أن دعاه للزيارة، فقد كانا غريبين بكل المعايير، بالرغم من قيامهما برحلة الصيد معا. لكنه شعر الآن أن هناك أمرا شخصيا يجمعه مع هذا الرجل الذي حاول أن يستخرج الحليب من أنثى الثعلب الميتة. ما إن شاهده بواس قادما من بعيد حتى هرع إلى لقياه مرتديا قميصا مطوي الكمين، وقد تدلى الغليون من فمه، لاحظ سيارة الدفع الرباعي الزرقاء بعد أن رآها مركونة خارج المنزل القديم في باكسيل طيلة الأيام القليلة الماضية. ترحل إرلندور من السيارة ليتصافحا.

قال المزارع معلقا وهو يدعوه للدخول: "لا أفهم كيف استطعت الصمود في تلك الخرائب، يصبح الطقس ليلا لعينا، قارس البرودة".  
قال إرلندور: "لا أستطيع التذمر".

"لست معتادا على استقبال الضيوف، لذلك أخشى أنه عليك تدبر أمرك ببعض القهوة". شرح بواس أن زوجته تزور أقاربها في إيغلستادر، وبدا من نبرة صوته، أنه غير متأسف لأنه فوت على نفسه فرصة رؤيتهم، جلسا معا في المطبخ الذي بدا نظيفا جدا. وضع بواس فنجانَي قهوة على الطاولة، ملاءهما بالقهوة، وأضاف مقدارا سخيا من الحليب لكل منهما لدرجة تحول لونهما إلى البني وتعديل سخونتهما، ثم شرع في نفث دخان غليونه وهو يتذمر بشأن الاستثمارات الصناعية والرأسماليين اللعينين الذين يجعلون من رجال السياسة أضحوكة.

سأله بغتة: "هل اكتشفت شيئا جديدا بشأن ميثلدور؟". جاء السؤال بغتة دون أية مقدمات. بدا الأمر وكأن إرلندور مستمر في تحقيق رسمي غير منقطع منذ ستين سنة تقريبا.

أجابه إرلندور: "لا". وأشعل سيجارته ليجاري بواس في الحديث. "ما من شيء جديد أبلغك به، لا بد أنها لاقت حتفها في العاصفة، لن تكون المرة الأولى التي يحدث فيها شيء مماثل".

"صحيح، أعتقد أنك مصيب في هذا". ارتشف بواس قهوة الحليب خاصته. "ليست المرة الأولى على الإطلاق".

"هل عرفت شيئا إضافيا عن أخواتها؟ اثنتان منهن انتقلتا للعيش في ريكيافيك، وهناك تلك التي تعيش في رايدارفيديور".

قال بواس: "أعرف هرونند حق المعرفة، إنها امرأة طيبة، هل تحدثت إليها؟".

أشار إرلندور برأسه بالإيجاب.

"حسنا، أنت مهتم حقا بالموضوع؟".

"هل سمعت سابقا أية أقاويل حول زواج ميثلدور ويعقوب؟ حول موقف أخواتها منه، على سبيل المثال؟".

سأله بطريقة تحمل فضولا صريحا: "ما الذي اكتشفته؟".

"لم أكتشف شيئا".

قال بواس: "لا بد أنك تكذب، لم يسبق لي أن سمعت بما تتحدث عنه، هل كنّ رافضات؟ من منهن؟ ولماذا؟".

قال إرلندور: "إنني أسأل لأعرف، هل سبق لك أن سمعت باسم بيتر ألفريدسون؟ أعتقد أنه سيكون في عداد الأموات الآن".

"نعم، أتذكره، كان صيادا ومات منذ سنوات. ماذا بشأنه؟".

"كتب بيتر نعيًا ليعقوب في جريدة المزارعين، كان النعي الوحيد الذي طبعه، لقد تفقدت المكتبة في إيغلستادر. لقد وصفه بكل الصفات الحميدة، ذكرا أنه فقد زوجته قبل سنوات".

"حقا، هل هذا صحيح؟"

"هل كان لبيتر أولاد؟".

"نعم، لديه ثلاثة على ما أعتقد. تقطن إحدى بناته في فسكروديسفجدرور، لعلها لا تزال تعيش هناك. تعمل في مجال السياسة المحلية. أعتقد أن ابنه الآخرين انتقلا للعيش في ريكيافيك لأنني لم أسمع أية أخبار عنهما منذ سنوات".

"هل تعرف امرأة تدعى نينا؟ هذا ليس باسم دلح بالمناسبة. كانت صديقة ميثلدور، بحسب ما ورد في إحدى رسائلها. ذهبنا إلى حفل راقص وكان يعقوب في الحفل".

قال بواس: "لا أتذكر أحدا باسم نينا، هل يفترض أنها عاشت في إيكسيفيجينيور؟".

"لا أعرف. لعلها ليست بالشخص المهم، مجرد اسم ورد في رسالة. لكن ربما كانت حاضرة في الليلة التي ارتبط فيها يعقوب وميثلدور. تحدثت أيضا إلى أحد أصدقاء يعقوب؛ عزرا".

"من الواضح أنك لست مهتما على الإطلاق"، قال بواس باستهزاء راسما ابتسامة عريضة. "كان الحري بي أن أسأل من الذي لم تتكلم معه؟ يبدو أنني دفعتك للقيام ببعض العمل". بدا راضيا عن نفسه وهو يقول ذلك. "هل تعرف عزرا؟".

"عزرا يزداد تقدما في العمر، لم تعد صحته كما كانت في السابق، لورأيته في أيام عزه، لما عرفت أنه ذات الشخص الذي تراه اليوم. لقد كان جبارا:



تمتع بالصلابة والشجاعة، وكان بارعا في القتال، كما كانوا يقولون في الملاحم، ولم يكن ليتنازل أمام أحد".

لا يمكنك أن تغفل عن الإعجاب الشديد الذي كنهه بواس لعزرا. جلس متحمسا ليشرح في خطاب طويل عن الأسباب التي دفعتهم للإعجاب بعزرا: كان فريدا من نوعه، من النوع الذي لا يُقهر، رجلا قوي الشخصية، كان أفضل صياد عرفه بواس في حياته سواء في البر أم البحر، لم تكن الثعالب، غزلان الرنة، طيور الترمجان الصخري والإوز، أسماك القد والحدوق لتحظى بأية فرصة للنجاة أمامه. توقف في النهاية عن تمجيد خصاله ليسأله: "كيف كان استقباله لك؟".

قال إرلندور: "لم يكن سيئا، اشتريت منه سمكا مقددا من النوع الجيد".  
"لا أحد ينتج سمكا مقددا أفضل منه". قال بواس وسأله: "هل تحدثت عن المسألة اللعينة بأي شكل؟".  
"لا".

"لا، هكذا إذن، لا أعرف ما هو موقفه منها، عزرا حريص على أن يبقى كتوما، لطالما كان كذلك".

سأل إرلندور: "هل كان يذهب إلى الصيد برفقة يعقوب؟".  
"لا أعرف، عليّ أن أتقصى عن هذا الموضوع. زاول عزرا العديد من المهن؛ عمل لسنوات رجل إطفاء، وفي المشرحة في إيسكيفيغندور. على ما أعتقد بدأ العمل هناك خلال الحرب".

تردد إرلندور لبرهة قبل أن يُغير الموضوع. ها هو ذا، لا يدري ما إذا أراد حقا معرفة أجوبة الأسئلة التي طرحها منذ زمن طويل. أطبق بواس فمه ملاحظا الهواجس التي تراوده. في النهاية مد إرلندور يده إلى الحقيبة مخرجا الخردة المعدنية التي وجدها عزرا في منطقة الثعالب عند منحدرات جبل هاردسكافي.

"قلت إنه يمكن العثور على أغرب الأشياء في جحور الثعالب".

قال بواس: "ذلك صحيح".

أراه إرلندور اللعبة.

"عثر عليها عزرا مصادفة في هاردسكافي. أظن أن أخي امتلك واحدة

مثلها".

"فهمت".

"خطر لي نظرا لما قلته سابقا، ولكونك صياد ثعالب يحفظ تلك الجبال

عن ظهر قلب، أنك صادفت أشياء من هذا القبيل؟ أو مزقا من قطع الثياب،

هذا النوع من الأشياء؟".

أخذ بواس اللعبة.

سأله: "تعتقد أن هذه اللعبة تعود لأخيك؟".

"ليس بالضرورة. أعرف أنه امتلك واحدة كهذه أعطاه إياها والدي.

أتساءل عما إذا كان بوسعك أن تُبقي عينيك مفتوحتين من أجلي، لا أقصد في

الوقت الراهن، اليوم أو غدا، أعني في المرة التالية التي تخرج فيها لتتقصى

أرضا ما. لعلك تلاحظ أية أجزاء أو قطع غير مألوفة".

"تقصد مثل هذا الشيء؟".

هز إرلندور رأسه بالإيجاب، وأضاف: "أو بقايا".

"تقصد عظاما؟".

أخذ إرلندور السيارة واضعا إياها في جيبه. حاول أن يطرد الفكرة

من رأسه. كل مرة تطرأ فيها على تفكيره، يتخيل صورة جثة خروف مبقور

البطن وجده مرة في الجروف، ومحجرَي العينين الفارغتين اللذين نقرتهما

الغربان.

"هل ستقوم بالاتصال بي في حال وجدت شيئا ذا أهمية، وإن كان صغيرا؟".

قال بواس: "إذا كانت هذه بالفعل سيارة أخيكَ، فهذا يفتح الباب على عدة احتمالات، ربما يكون قد فقدها في وقت سابق حين أوقعها خارج المنزل على سبيل المثال ليلتقطها أحد الغربان ويطير بها إلى الجبل. هذا أحد السيناريوهات التي تفسر وصولها إلى منطقة الثعالب، وربما أنه حملها معه عندما فُقد ليحدها أحد الثعالب إضافة إلى جسده في الوقت نفسه".

قال إرلندور: "أعرف أنها كانت بحوزته".

"كيف تعرف؟".

"أعرف فحسب، هل ستقوم بالتواصل معي؟".

قال بواس: "بالطبع سأفعل، ما من شك في ذلك، رغم أني لم أجد شيئاً من هذا القبيل إلى الآن، إن كان تصريحى هذا سيجلب لك بعض الارتياح".

جلسا دون أن يتبادلا أي حديث إلى أن مال بواس نحوه سائلاً: "ما الذي

تتوقع أن تجده هناك في الأعلى؟".

أجابه إرلندور: "لا شيء".

رجع إلى خرائب المزرعة، حاول أن يدفى نفسه. أخرج الجريدة التي احتوت النعي بعد أن اختلسها من الصندوق في إيغلستادر. قرأ المقالة مرة أخرى متوقفاً عند الجزء الخاص بالمشرحة في إيكسفيجوديور: بعد أن غرق يعقوب، تم إيداع جثته وتلك التي تعود إلى مرافقه هناك. تذكر الحديث الذي أخبره إياه بواس عن عزرا، لربما عمل فيها في ذلك الوقت، ولعله استقبلهما وسهر طوال الليل قرب جثتي الرجلين.

جاء اليوم التالي، وصل إرلندور إلى قرية فاسكرو وديسفجودور الصغيرة، بعد قيادته الطويلة عبر خليج ريدارفيجيدور والرأس البحري عند سفح جبل ريدارفيجال. كان بإمكانه اتخاذ الطريق الجديد عبر النفق، الذي افتُتح هذا الصيف، ليربط الخليجين، لكنه فضل الطريق القديمة. انخفض مؤشر ميزان الحرارة بشدة خلال الليل، وغطى البياض الأرض وصولاً إلى الشاطئ. كانت أول مرة يتساقط فيها الثلج في هذا الخريف، جالبا معه سكوناً تقليدياً غريباً، ليدثر المنازل والطبيعة بلحاف أبيض ناعم. استمرت ندف الثلج بالتساقط طيلة الصباح وكان الهواء ساكناً، وغطت الطرقات جاعلة منها مكاناً خطيراً. إنه يعلم أن ازدياد سرعة الرياح سيسبب انخفاضاً أكبر في درجات الحرارة، ويشكل أكواماً من الثلج، لذا لن يكون سهلاً بالنسبة إليه البقاء في المزرعة المهجورة. قريباً سيمتلئ المنزل القديم بالثلج، وسيكون النوم في المنزل بمثابة النوم في الفناء الخارجي.

فكّر في أن يوقف ما يقوم به، ويذهب إلى ريكيافيك، فالشتاء سيُحکم قبضته، لكنه شعر أنه لم يُنه عمله بعد، وأحس أن عليه القيام بشيء، مع أنه لم يكن متأكداً من ماهيته.

قاد السيارة إلى محطة الوقود، ملأ خزان سيارته، سائلاً البائعة عمّا إن كانت تعرف غريتا بيتورسدوتر. مع أنه كانت هناك ثلاث فتيات يعملن خلف منضدة البيع، إلا أنه لم يسألهن، امتلأ المتجر والمقهى بسائقي الشاحنات والعمال، وانكبّ رجلان يرتديان بذلتين سوداوين على العمل على حاسبيهما.

قرأ إرلندور أن مقدار حركة المرور في النفق الواصل بين فاسكرو وديسفجودور ومعمل الصهر في ريدارفيجيدور تخطى أكثر التوقعات تفاؤلاً. لم يُرد أن يكون جزءاً من ذلك.

قالت الفتاة: "آسفة، لا، لكن انتظر دقيقة لأسأل الأخريات".

عصرت كمية سخية من الخردل على طول شطيرة الهوت دوغ ووضعت سائر الإضافات، وناولت الشطيرة إلى أحد الزبائن، أجرت عملية حسابية ذهنية سريعة، نادت إحدى الفتيات الأخريات، وسألتهما عما إن كانت تعرف أحداً باسم غريتا، تلقت جواباً، أخبرت الزبون الذي اشترى الهوت دوغ بثمن الشطيرة، ثم استدارت لتكمل حديثها مع إرلندور.

"آسفة لقد اختلط عليّ أمرها مع شخص آخر، تعمل غريتا التي تريدها في المسبح".

هزّ إرلندور رأسه شاكراً إياها. قاد حول القرية عبر غطاء الثلج السميك إلى أن استطاع أن يحدد موقع المسبح. على عكس العادة المتبعة في أيسلندا، كان مسبحاً داخلياً، فاجأته رائحة الكلور التي انبعثت في أثناء دخوله إلى منطقة الاستقبال. جلست إلى مكتب الاستقبال امرأة سميئة رمادية الشعر، لعلها في أوائل الستينيات من عمرها، تطالع موقعاً إخبارياً على الإنترنت. تناهى إلى مسامعه صراخ الأطفال الذين في المسبح. عاد إرلندور بالزمن ليجد نفسه في دروس السباحة في المدرسة... "الشخص واحد؟". سألت المرأة وهي تنظر إلى الأعلى، كانت تعلق بطاقة تعريف صغيرة على سترتها تحمل اسم غريتا.

# مكتبة

t.me/t\_pdf

سأل إرلندور: "ماذا؟".

شرحت المرأة: "هل تريد بطاقة؟".

أجابها: "لا. أنا هنا لأرى غريتا بيتورسدوتر".

"أنا غريتا".

عرّف إرلندور عن نفسه، شارحا أن لديه اهتماما بقبصص الحوادث في المناطق الداخلية، وهو يُجري في الوقت الحاضر بحثا حول حادثة الجنود البريطانيين من ريدارفيجيدور، اكتشف أن امرأة من إيسكيفيغندور تدعى ميشلدور ماتت في الجرود أيضا في الليلة ذاتها، كانت متزوجة من يعقوب صديق والد غريتا بيتر الذي كتب لاحقا نعيه.

نظرت إليه بفتور وهو يردد لغوه هذا ليشعر إرلندور أنها لم تكن تفهم ما يقول.

سألته: "من أنت؟".

أجابها: "أنا أُجري دراسة عن هذا النوع من الحوادث في الخلجان الشرقية". مكررا شرحه بشأن الأحداث القديمة إلى أن بدأت المرأة تفهم ما الذي كان يقصده. ساعدت طفلين دخلا إلى المسيح. خرج آخرون مجموعاتٍ وفرادى من غرف تبديل الملابس. عندما عاد الهدوء للمكان، سألته عما إن كان يريد بعض القهوة فقبل. جلسا إلى طاولة صغيرة في غرفة الاستقبال

جاء رجل يرتدي سروالا أبيض وبقبا، طلبت إليه أن يحل مكانها مستخدمة كلماتٍ غريبة وقدرا كبيرا من الإيماءات. قالت مفسرة: "إنه بولندي".

قال إرلندور: "أفترض أن عددا كبيرا من الأجانب يعملون هنا".  
"ليس هنا فحسب، بل في شتى أنحاء ريكيافيك، لا يمكنك التحرك من دون أن تتعثر بأحدهم. أعرف ما الذي يجول في خاطرك".

تابعت حديثها بعد أن توقفت وارتشفت رشفة من القهوة. "لقد حصل ذلك قبل فترة طويلة من ولادتي، ولا أظن أنني سأكون مصدر عون مهما، أنا

مذهولة من أنك استطعت الوصول ببحثك إليّ".

"هل لديك أية ذكريات تتعلق بـيعقوب؟"

"ليس تماما، لقد توفي في عام 1950، أليس كذلك؟ كنت حينها مجرد طفلة صغيرة. لكن والدي كان يكثر الحديث عنه، جمعتهما صداقة حميمة، وكانا صيادين وعملا معا، أظنني أحتفظ بنسخة من النعي الذي ذكرته، كتب والدي عددا من النسخ واحتفظ بها جميعا، نشرت في جريدة المزارعين، أليس كذلك؟".

"نعم، هل كانا بالعمر ذاته تقريبا؟"

"نعم، ربما كان والدي أصغر بضع سنوات، اعتاد أن يسرد قصة تحطم مركب يعقوب. هبت عاصفة عنيفة، لم يكن بوسع الناس الذين راقبوا من اليابسة تقديم أي عون، كل ما استطاعوا فعله هو انتشال الجثتين من البحر".  
قال إرلندور: "حسبما علمت فقد حُفظت الجثتان في مشرحة إيسكيفيغندور".

"يُرجح أن هذا ما حصل، وبحسب ما قال والدي فقد دُفنت الجثتان بعد يوم أو يومين من الوفاة. حصل ذلك بسرعة، وأظن أن والدي أشار إلى أنه لم تكن لهما عائلة".

"هل تحدث والدك عن ميثلدور؟"

"ليس كثيرا".

"ألم يتحدث عن علاقتهما؟"

"لا أذكر ذلك، إن كنت تقصد العلاقة بين يعقوب وميثلدور، فقد سرت شائعات، لكن والدي دحضها جميعا معتبرا إياها محض هراء، لاسيما شائعة أنها عادت لتترصده على هيئة شبح وأنها السبب وراء غرق المركب".  
"باعتمادك، ما الدافع وراء تلك الشائعات؟"

"وما أدراني أنا! أليس ذلك كله من عادات الأيسلنديين؟ كل هراء الخرافات حول الأشباح، الأقزام والغيلان. ألا يتشابه كل ذلك؟".  
"أعتقد ذلك".

"لربما عدم العثور على جثة ميثلدور أذكى نار الشائعات".  
قال إرلندور موافقا: "لقد زاد ذلك الطين بلة". لم يكن إرلندور ليهدر وقته على المصادفات والخرافات.

"لا تؤمن بكل ما ذكر، أليس كذلك؟". سألته غريتا وهي تتلمس صليبا فضيا تدلى من سلسلة حول رقبتها.  
قال إرلندور: "ليس تماما".

خفت صوتُ الجلبة الآتية من المسبح. لمح إرلندور عبر باب مفتوحِ مدرسة شابة جاثية قرب الماء، تُعلّم سباحة الظهر.  
علّقت غريتا بعد أن مضت دقيقة وهو يراقب الدرس: "لم يكن الجميع قديما يجيدون السباحة، أتذكر ما قاله أبي عن كونِ يعقوب لا يجيد السباحة".  
"ماذا قال أيضا عنه؟".

"ذات مرة قال إن أسوأ مخاوف يعقوب أضحت حقيقة، مرددا سطورا من ترتيلة الشغف"  
"أية سطور؟".

فكّرت غريتا: "دعني أتذكر كيف كانت تُقال: أكثر شيء كان يخشاه/ مع الزمن لا بد أن يلقاه".  
"أكان يتحدث عن يعقوب؟".

"نعم، من الواضح أنه عانى رهابا حادا من الاحتجاز في الأماكن المغلقة، لا أعرف إن كانوا يستخدمون هذا المصطلح في ذلك الوقت. لكن بالاعتماد على وصف والدي فقد عانى من رهاب الاحتجاز. كان من شبه المستحيل أن



توصد الباب وهو موجود في الغرفة، لم يعرف والدي السبب لكن أسوأ مخاوفه كانت أن يُحتجز في غرفة وأن يختنق".

"هل تقصدين أنه احتُجز في مكان ما؟".

"نعم، مرة على الأقل. عندما كانا يافعين عمل مع والدي في مسلخ لشهور عدة في ريكيافيك لا أكثر، وهناك تعرفنا إلى بعضهما. كانت الحياة صعبة، وكانا ممتنين للقيام بأي عمل استطاعا الحصول عليه. عمل يعقوب في معمل التدخين".

"تقصدين تدخين اللحوم؟".

"نعم، احتُجز هناك".

"احتُجز في معمل التدخين؟".

شرحت غريتا: "قال والدي إن أحد زملائهم دبّر له هذا المقلب، ولم يكن على علم بالرهاب الذي يعاني منه يعقوب".

"ربما لم يكن أحد يعرف بذلك".

"يُرَجَّح أن أحدا لم يكن يعرف، وبحسب ما ذكره أبي فقد عانى يعقوب من حالة هيجان، فما إن فتحوا الباب حتى هاجم أول شخص ظهر في دربه، اعتقدوا أنه سيقبله، فثبّتوه. كانت أصابعه مدماة بشكل كامل من جراء خدشه الباب الذي كان بحسب قول والدي من الفولاذ".

"يبدو ذلك شنيعا للغاية".

"لم يرَ والدي شيئا كهذا من قبل، رفض يعقوب الحديث عن الموضوع لاحقا، حاول والدي أن يسأله عما جرى، لكنه لم ينبس ببنت شفة".

سألها إرلندور: "هل عرف والدك أي شيء إضافي عن اختفاء ميثلدور؟

هل ذكر أي شيء على الإطلاق بشأنه؟".

"لا. لم يفعل. لقد كانت إحدى تلك الحوادث المأساوية فحسب".

"هل تعرفين كيف كانت ردة فعل يعقوب؟".

قالت غريتا: "حسنا، وصلني أنه كان منهارا، بالطبع، تم إنشاء فرقة بحث كبيرة، ليس لغرض إيجادها فحسب، بل للبحث أيضا عن الجنود البريطانيين، انخرط في عملية البحث كلُّ من يخوله جسده القيامَ بذلك من جميع أنحاء المقاطعة، بمن فيهم يعقوب ووالدي. لاحقا، أمضى والدي كثيرا من الوقت إلى جانبه، لكنه شعر أن يعقوب تغير، أصبح سريع الانفعال، ويثور بسرعة وصعب المعشر، لم يعد الرجل ذاته الذي عرفه".

قال إرلندور متذكرا كلمات عزرا: "قيل إن شكل يعقوب لم يعكس حقيقة جوهره".

"لم يتكون لديّ مثل هذا الانطباع، على الأقل لم يصفه والدي بشيء من هذا القبيل".

قال إرلندور: "لا بد أنني قد أثقلتُ عليك، بالمناسبة، هل تعرفين امرأة تدعى نينا؟ كانت على قيد الحياة ولا بد أنها طاعنة في السن الآن، وفق ما علمت فذلك هو اسمها الأصلي، لكنني لم أستطع إيجاداه في دليل الهاتف".

قالت غريتا: "أعرف امرأة واحدة في هذه الأرجاء تدعى نينا وهي تقيم في دار المسنين، كنت أعمل هناك، لا أدري إن كانت المرأة نفسها، لكن المرأة التي أقصدها طاعنة في السن جدا".

ازدادت كثافة تساقط الثلوج في حين كان إرلندور يركن سيارته خارج دار العجزة في فاسكروديسفجودور. لم يخرج من السيارة وإنما أشعل سيجارة، وجلس يراقب ندف الثلج وهي تسقط بكسل إلى الأرض، لم تكن هناك نسمة هواء واحدة.

جلس في السيارة، مستغرقا في تدخين سيجارته، مستذكرا مرة أخرى كل الرحلات التي قام بها منذ وصوله إلى الشرق. بحذاء قديم، وسروال مضاد للماء، ومعطف سميك مبطن، وحقبة صغيرة على ظهره، مشى متسلقا كل المسافة انطلاقا من الرأس البحري في إيسكيفيغندور صعودا نحو الجرود، مروراً بسفوح الجبال ليرتقي إلى حوافها. التقى في طريق العودة من إحدى تلك الرحلات مصادفة ببواس عند جرف أندردار كلتشر. في العادة، تستمر رحلاته الاستكشافية منذ الصباح الباكر حتى مغيب الشمس، إلا أنه نام في البرية ذات مرة مفترشا بساطا من الطحالب، ولم يؤنسه شيء سوى الطيور. استلقى على ظهره باستمتاع، وقد أسند رأسه على حقبة ظهره، مستغرقا في تأمل النجوم وهو يفكر في النظرية التي مفادها أن الكون يتسع باضطراد نحو العدم. هنالك شيء ما يتعلق بالتفكير في المدى الذي لا يُسبر غوره يدفع بالحاح نحو السكينة، كما لو أن تذكُّرك للكون الشاسع يوفر لك راحة آنية من الهموم الدنيوية المثيرة للشفقة.

لم تكن المرة الأولى التي يتخذ فيها من النباتات سريرا له، يستمع إلى زقزقة العصافير، ويتأمل السماء. تذكر بجلاء الرحلة الأولى التي قام بها شرقا،

بعد أن انتقلت عائلته للعيش في ريكيفيك. كان ذلك عقب وفاة والده الذي كانت أميته الأخيرة أن يُوارى الثرى في مسقط رأسه، سافر إرلندور ووالدته مصطحبين جثمانه جواً إلى إيغلستادر، ومنها عبر السيارة إلى إيسكيفيغندور باستخدام طريق وعرة مرصوفة بالحصى، واضعين التابوت في شاحنة صغيرة مكشوفة. تذكر كم كانت طريقة مهينة للعودة إلى الديار، جلس ووالدته في المقصورة الأمامية يستمعان إلى هذر السائق، وصوت موسيقا تدوي من المذياع. أراد إرلندور أن يطلب إلى السائق إظهارَ بعض الاحترام، إلا أنه لاحظ أن والدته لم تُبدِ أي اكتراث بالأمر. أُجريت مراسم مقتضبة في الكنيسة، حضرها حفنة من السكان المحليين. كانت الجنازة في منتصف الأسبوع، ولم يتم الإعلان عنها سوى مرة واحدة عبر المذياع، ولم يكن هناك أي نعي أو رثاء. في نهاية المطاف، وقف الابن والأم وحيدين أمام التابوت المفتوح. توضع إلى جانبهما صليب أبيض يحمل لوحة تعريف معدنية سوداء بانتظار أن يتم غرسه في الأرض.

"ليرحمك الله". سمع والدته تهمس.

أخذها لاحقاً لزيارة مزرعة باكسيل التي تُركت خاوية منذ انتقالهم إلى ريكيفيك. بدأ المنزل متهاكاً بوضوح، بأبواب مشرعة على مصراعها، ونوافذ محطمة، وعلامات على وجود حيوانات فيه. في البداية، انتقلت والدته من غرفة إلى أخرى وقد سيطر عليها الذهول، كما لو أن حياتهم التي عاشوها هناك انتمت إلى عالم آخر، عالم اختفى إلى الأبد. فاجأته قدرتها على التحمل حتى تلك اللحظة.

لم تبدِ أية مشاعر حين تُوفي والده، بل شغلت نفسها بالتحضير لجنازته لتسير كما اعتقدت أنه سيفضل. لم تذرف دموعاً واحدة طوال الرحلة، لم تُعبّر أيضاً عن سخطها من ثرثرة سائق السيارة، ولم تنبس ببنت شفة طوال فترة

وقوفها في المقبرة باستثناء همسها لعبارة: "يرحمك الله". لكنها الآن، تقف وجها لوجه مع آثار الخراب والإهمال، مستذكرة الأيام التي عاشوا فيها هنا مما أيقظها من الخدر الذي كانت تعيش فيه، في النهاية تصدعت رباطة جأشها الكاذبة.

همست: "ماذا حصل هنا؟".

فقال: "لنغادر".

قالت بصوت خافتٍ بالكاد سمعه: "لا أستطيع".

"هيا بنا".

في المساء، بعد أن خلدت والدته للنوم في النزل، خرج إلى الجروف حيث تمشى، وقتها كان الفصل صيفا، والسماء مضاءة بشمس منتصف الليل، مشى وصولا إلى سفح جبل هاردسكافي، حيث تمدد على الطحالب محدقا إلى السماء، راودته مشاعر مختلطة؛ كان طفلا عندما غادروا هذا المكان، وها هو ذا يعود إليه بالغا، أزاحت زيارة المزرعة المهجورة النقاب عن ذكريات منسية منذ زمن أو بالأحرى مكبوتة، أدرك في أعماقه أنه كان يتجنب هذا المكان، ليس فقط بالامتناع عن زيارته، ولكن أيضا بتفادي التفكير فيه، لم تبعث أضواء الشفق القطبي في نفسه أيَّ شعور بالسكينة. على العكس من ذلك، فقد أضاءت بوضوح مؤلم كل المصاعب والمآسي الجمة المرتبطة بالعودة إلى الديار، بات مقتنعا هناك وفي ذلك الوقت بأنه لن يغدو رجلا سعيدا البتة لكن ذلك لن يشكل أيَّ فرق في صيرورة الكون.

أطفأ إرلندور عقب السيجارة الثانية، مراقبا الثلج الذي غطى الأرض بطبقة بيضاء ناصعة، كما لو أنها تباشير بدايات جديدة، أو لعنة ضمنية لقسوة القدر.

نينا في الخامسة والثمانين من العمر، ضئيلة الجسم، جلست في غرفتها تقرأ الإنجيل، عثر عليها إرلندور بمساعدة إحدى المضيفات، حرص على

تجنب أية محاولات غريبة لتبرير زيارته للقاءمين على الدار، ولكن أحدا لم يطرح عليه أية أسئلة.

سألته بصوت واضح: "من أنت؟".

"اسمي إرلندور، أرغب في التحدث إليك، إن كان ذلك مناسباً".

قالت نينا الجالسة على طرف السرير بشعرها الرمادي الطويل المسدل على ظهرها، وهي تحمل الإنجيل في يدها: "من النادر أن أحظى بأي زوار، رغم أنه زارني منذ بضعة أيام فتاة لم تكف عن الثرثرة حول أساليب الزراعة التقليدية. قالت إنها تجمع معلومات من السكان المحليين أمثالي، ليتم إيداعها في المتحف الوطني، قلت لها، انتظري يا عزيزتي، ليس لدي وقت كافٍ لهرء الحنين إلى الماضي هذا. ومن المؤكد أن لانية لديّ لأكون شيئاً من مقتنيات المتحف. بإمكانك وضعي هناك حين أموت".

قال إرلندور محاولاً جس نبضها: "نينا، هذا الاسم ليس شائعاً، أليس كذلك؟". لم تملك الكثير من المقتنيات الشخصية؛ لا صور للأقارب، ولا زخارف تُدخل البهجة إلى المكان باستثناء لوحتين قديمتين عُلقتا على الجدار، كان سريرها مرتباً بعناية، ووُضع على الطاولة المجاورة كوبٌ ماء نصف ممتلئ.

قالت العجوز وهي تطبق الإنجيل بعصبية: "أي فرق يشكله ذلك؟ ماذا تريد مني أيها الشاب؟".

تخلى إرلندور عن فكرة التصرف بحداقة.

"إني أتقصى أحداث تلك الليلة من كانون الثاني عام 1942 عندما علق الجنود البريطانيون في عاصفة في جرود إيسكيفيغندور. هل تتذكرين الحادثة؟".

"بالطبع أتذكرها".

"في تلك الليلة أيضا لقيت امرأة حنّتها. أعتقد أنها كانت صديقتك".  
"نعم، إنها ميثلدور. المسكينة ميثلدور. أتعرف كل شيء حولها؟".  
"لا، ليس كل شيء".

قالت نينا: "كانت ميثلدور امرأة رائعة، كنا صديقتين مقربتين، وشكّل موتها خسارة حقيقية بالنسبة إليّ، نشر أحدهم شائعة مفادها أنها أقدمت على الانتحار، لكني لطالما اعتبرت ذلك مجرد ترهات".  
قال إرلندور: "آه". كانت تلك معلومة جديدة.

"ذكرت الشائعة أنها رمت نفسها عمدا في البحر، وأنها لم تقترب أبدا من الجرود، وإلا لصادفها الجنود البريطانيون في طريقهم. محض ترهات. لم يكن بوسع الجنود أن يروا أمامهم، ولم يملكوا أدنى فكرة عن مكانهم، كانت شائعة خبيثة".

"أتقصدين أنها انتحرت؟".

"من المستحيل أن تُقدّم على ذلك ولو بعد مليون عام". أعلنت نينا ذلك بوضوح. "لم يكن هناك أي دافع لذلك على الإطلاق. أجزم أنها لن تقوم بذلك. من السخافة حتى التفكير فيه".  
"برأيك ما الذي حصل؟".

"أتوقع أنها لقيت حنّتها في العاصفة، فهذا الأمر سبق أن حصل في هذا البلد".

"هل عرفت يعقوب بشكل جيد؟".

"كنت برفقتها في المرة الأولى حين التقت به. انحدر من ريكيافيك. سكن في ديجوييفوجور لفترة من الزمن. لم يعرفا بعضهما إلى حدّ كبير".

"أي نوع من الرجال كان؟".

قالت نينا: "بصراحة، أعتقد أنه كان بوسعها اختيار شخص أفضل، رغم ذلك لم أتحدث بهذا الخصوص مع أي منهما. في النهاية، لم يكن ذلك من شأني، حتى بعد أن تبينت الحقيقة، كانت صديقتي، ولم أكن في مكان يخولني أن ألومها. أنا نفسي انتهى بي المطاف مع الرجل الخطأ رغم أنني لا أحبذ التكلم بالسوء عن فيغو". نظرت نينا بعينيها الكهلتين إليه وقالت: "عندما يبدأ عديمو النفع بمعاقرة الخمر، تدرك أن الأمر قد فاض بك، وأنت لم تعد تحتمل أكثر من ذلك".

ابتسم إرلندور في سره: "حتى بعد أن تبينت الحقيقة؟". قال مكررا قولها. "ما الذي تبين؟".

"أنهما كانتا مرتبطين بذات الرجل".  
"من؟".

"ليس في نفس الوقت، بالطبع. ميثلدور التقت في وقت لاحق".

"على رسلك، هل كان يعقوب على علاقة بأختها؟". تذكر إرلندور رسالة ميثلدور إلى إيغون.

"تواعد يعقوب وإيغون لفترة قصيرة وانتهت علاقتهما في حينها، أتذكر أن ميثلدور أخبرتني أن أختها استماتت في معارضتها لزواجها منه. انتقلت إيغون في حينها جنوبا نحو ريكيافيك، أظنها انتقلت بسبب يعقوب. لكن ما أدراي! لا علاقة لي بالموضوع".

"سافل" كتبت بخط عريض على كامل النعي الذي كان بحوذة إيغون. من الواضح أنها كانت غاضبة عندما كتبت تلك الكلمة. بالرغم من أن ذلك لا يعني بالضرورة الجزم بشأن أن إيغون هي من كتبها، إلا أن هذا الأمر مرجح جدا إذا ما أخذنا ما تقوله نينا بعين الاعتبار. عرف كل من يعقوب وإيغون بعضهما قبل فترة طويلة من انتقالها إلى ريكيافيك لتبدأ حياة جديدة، فيشاء



القدر أن يتزوج بعدها من أختها. اعتمادا على الرسالة، يمكن الحكم أن  
ميتل دور كانت مدركة أن كلا من يعقوب وإيغون على معرفة ببعضهما، لكن  
من الواضح أنها لم تعرف مدى حميمية هذه المعرفة.  
"هل علمت ميتل دور بأمر علاقتهما؟".

"أتعلم، لم يسلط الضوء على ذلك إلا بعد زواجهما. بدأت تتداعى  
العواقب".

"أية عواقب؟".

"في الواقع، لم يكن أمرا معروفا. تم إطلاعي على السر. وربما قلة قليلة  
متبقية يعرفونه. في النهاية، انتقلت إيغون، ولم تعد إلى هنا إلا قليلا".  
"أي سر؟".

قالت نينا: "المتعلق بالطفل، رُزقت إيغون بطفل من يعقوب، ذهلت  
ميتل دور عندما عرفت بالأمر".

"لم تُخبر إيجون أحدا بشأن حملها، ولم تفصح أبدا عن هوية والد الطفل. انتقلت إلى المدينة ما إن اكتشفت حملها. فكّرت في إجهاض الجنين، وتواصلت مع أشخاص يقومون بمثل تلك العمليات، لكنها قررت العزوف عن ذلك في اللحظة الأخيرة. عوضا عن ذلك حصلت على عمل في المسمكة، وأمضت أشهرا صعبة بصفتها أمّا عزباء، حتى التقت رئيس عمال المسمكة وأنجبت منه ثلاثة أطفال آخرين. لم تنظر أبدا إلى الخلف، ولم تعد يوما إلى رايدارفيديور أو إلى أي مكان آخر في الشرق قبل أن يموت يعقوب.

ذهبت لرؤيته قبيل انتقالها على ريكيفيك، لتخبره بأنها حامل منه، الأمر الذي شكك يعقوب به مباشرة. كانا قد تقابلا عندما حصلت إيجون على عمل في المسمكة في قرية ديجوييفوجور، ومارسا الجنس ذات مرة قرابة نهاية الموسم، وقعت بحبه معتقدة أنه رجل طيب صادق، لكن الحقيقة بيّنت عكس ذلك. بعد أن قضى منها وطره فقدَ الاهتمام بها، وطلب إليها بشكل صريح التوقف عن ملاحظته. انتهت علاقتهما قبل أن تبدأ، عندما ذهبت لتراه وتخبره بأمر الطفل، فقدَ أعصابه مصرحا أنها لن تتمكن من إثبات صلته بالطفل، ثم نعتها بالعاهرة، وقال إنه لا يرغب في أن تربطه بها أية علاقة. مهددا إياها بأنه من الأفضل لها ألا تفكر في نسبِ الولد إليه، تلك كانت آخر كلماته. محطّمة ومهانة، اختارت إيجون الصمت. لطالما تحدّثت عن رغبتها في الذهاب للعيش في ريكيفيك، لذلك لم يفاجأ أحد عندما نَقّدت ما أعلنت عنه.

اتسعت معظم متعلقاتها الشخصية داخل حقيبة سفر واحدة. بعد عدة أشهر، وضعت مولودا ذكرا، وحالما ارتبطت بزوجها أخذ الأخير دور الأب للصغير".

أردفت نينا وهي تنظر إلى عيني إرلندور مباشرة: "علمت ميثلدور بكل شيء، سمعت القصة منها، ولكن إيغون لم تخبرها إلا في وقت متأخر جدا. لم تنس بينت شفة عندما علمت أنهما يتواعدان، لعلها لم تكن قادرة على فعل ذلك، ولكن بإمكانك تخيل الشعور الذي تملكها وقتها. أفترض أنها لم تُرد تصديق ذلك في بادئ الأمر، لعلها تمنى في سرها ألا تدوم تلك العلاقة، ولم تملكها الشجاعة إلا لاحقا لترسل رسالة إلى ميثلدور تخبرها فيها عما حصل بينها وبين يعقوب".

حدقت نينا عبر النافذة إلى ندف الثلج وهي تتهدى إلى الأرض، وقالت بحزم: "لم أبح بهذا السر قط، وأتمنى أن تفعل المثل، بالرغم من أنني لا أعتقد أن هذا الموضوع يمكن أن يثير اهتمام أحد. قلة من الناس كانوا على معرفة بهم، وأظن أنه لم يعد هناك أحد يتذكرهم في هذه الأيام".

قال إرلندور: "قلت إن ميثلدور كانت منزعة جدا عندما عرفت بالأمر". "لم يخبرها يعقوب عن علاقته بإيغون، افترض أنه ليس أمرا مفاجئا. فهو لم يزر منزل العائلة، لذلك لم يكن على معرفة وطيدة بهم. حصل هذا الشيء بينه وبين إيغون في ديجوييفوجور. لا بد أن إيغون أصيبت بالهلع عندما عرفت بمن تزوجت ميثلدور".

"وميثلدور أيضا، بالطبع؟".

"لقد انهارت، أخبرتني بذلك بنفسها. عندما واجهت يعقوب بالأمر، لم ينكر علاقته بإيغون، ولكنه رفض رفضا قاطعا أن يعترف بالطفل".  
"أيمكن أن يكون ذلك قد قادها إلى عمل متهور؟".

"هل تقصد أنها انتحرت بسبب ذلك؟ لا أظن ذلك، فهي لم تكن من هذا النوع من الناس. لقد تلقت رسالة أختها قبل سنة من وفاتها، لذلك كان لديها وقت طويل للتعافي من تلك الصدمة. لا، أعتقد أنها كانت عازمة على الانفصال عنه".

"الانفصال عن يعقوب؟".

"نعم".

"بسبب هذا الأمر؟".

"هذا جل ما أستطيع التفكير فيه".

"أيمكن أن يكون هناك سبب آخر؟".

"لا أعرف سواه".

صمتت نينا، وأخذت تحديق إلى يديها المتصلبتين، تنهدت بعمق، وشرعت بشد شعرها الرمادي شاردة الذهن، وكأنها تفعل ذلك بدافع العادة، بدا جليا أنها كانت في أحلام يقظة.

مر الوقت، وعم الهدوء دار الرعاية. في الخارج، بالكاد كانت المنازل على الرصيف المقابل مرئية. تركزت عينا نينا على النافذة، ولكنها كانت تنظر إلى ما وراء الثلج والمباني والجبال إلى مكان أبعد من ذاك كله.

قالت شريفة الذهن: "أتساءل عما إن كنتُ سأعيش لأشهد الربيع".

لم يعرف إرلندور بماذا يجيبها، أراد أن يقول إنها ستعيش، لكنه لم يكن قادرا على إسناد كلامه على أية وقائع.

سألت نينا: "ألم نل نصيبنا من هذا الشتاء الذي لا ينتهي أبدا؟".

"أظنين أن إيغون أرسلت تلك الرسالة في محاولة متعمدة لتدمير زواج ميثلدور، بغرض الانتقام من يعقوب؟".

"ما الذي قد يدفعك إلى قول هذا؟".

"لديّ سبب يدفعني لأعتقد أنها كتبت سافل في مكان آخر. تبدو وكأنها حملت له ضغينة حقة".

"هل تريد أن ترى رسالتها؟".

"... أتقصدين أنها بحوزتك؟".

"أرtnي إياها ميثلدور، وطلبت إلي أن أحتفظ بها. خشيت أن يُتلفها يعقوب. هل ترى تلك الخزانة؟ هناك صندوق صغير في الدرج السفلي، أيمكنك أن تحضره لي؟ لم تعد قدماي تقويان على النهوض هذه الأيام".  
نهض إرلندور، وبحث عن الصندوق الخشبي في الخزانة وجلبه، فتحته نينا، وأخذت تبحث فيه حتى عثرت على مبتغاها، وضعت الصندوق جانبا، وحملت الرسالة بيدها، وأخذت تنظر إلى عنوان الإرسال قبل أن تسلّم الرسالة إلى إرلندور.

قالت نينا: "إنني أحتفظ بها منذ فترة طويلة".

فتح إرلندور المغلف بتأن، اقتصرت محتويات الرسالة على ورقة واحدة كتبت بخط أنثوي، وأرّخت في ريكيافيك قبل قرابة عام من اختفاء ميثلدور.  
عزيزتي ميثلدور،

ما سأخبرك إياه لم أكن أنوي البوح به، وما كنت لأفعل ذلك الآن لولا الظروف الاستثنائية التي وجدنا أنفسنا في خضمها، لا بد أنك تساءلت عن السبب الذي دفعني لمعارضة علاقتك بـ يعقوب منذ البداية. أخشى أن ما سأخبرك إياه ليس سارا، ولكنني أتمنى أن تغفري لي. لا أعرف الطريقة الفضلى للتعبير، لذلك سأكتفي بالقول من دون مقدمات إن يعقوب هو والد طفلي، إنه ينكر ذلك، ولكن هذه هي الحقيقة، حصل هذا عندما كنت في دجوبيفوغور خلال الصيف. أخبرته بالأمر حالما علمت بحملي، ولكنه شكك بما قلته، ووصفني بالعاهرة وأهانني، ولن أسامحه يوما على ما قاله.

لذلك انتقلت إلى المدينة هنا حيث قابلت هالدور، إنه رجل لطيف، وأحظى بحياة جيدة معه. لم أطلع أحدا على هذا السر سوى جوانا، وكانت أهلا للثقة. ابن يعقوب صبي قوي يشبه أباه.

لست أهوى الشرثرة، ولكنني شعرت بضرورة إخبارك بالحقيقة. هددني يعقوب، حتى أصبحت أخافه. منذ ذلك الوقت، سمعت أنه ضرب امرأة كان يواعدها في هوفن بعد أن انتابته نوبة غيرة شديدة. أخبرني أنه سيقوم بنشر شتى أنواع الأكاذيب القذرة حولي ما لم أدعه وشأنه. وأعلم أنه بدأ بذلك قبل مغادرتي حتى، وهددني بالضرب، واستخدم ألفاظا نابية لن أذكرها هنا.

عزيزتي مثلدور، بوسعك تخيل مدى صدمتي عندما سمعت بأمر ارتباطكما، لم أصدق ما تسمعه أذناي، ولربما ترددت لفترة أطول مما يجب قبل أن أخبرك بالقصة كاملة. لا أزال أشعر بالخزي لأنني سمحت له بأن يغويني، ما زلت حانقة على نفسي. أتمنى لو كان بمقدوري تقديم أية نصيحة لك، ولكنني لا أعرف ماذا أقول، ربما قد تغير، ولكنني أشك في ذلك. مثلدور، عزيزتي، أنا جد آسفة لأنني أخبرك أن يعقوب ليس رجلا محترما، فضلا عن أنه ليس رجلا طيبا.

أرجو أن تغفري لي هذه الرسالة المروعة.

أختك المحبة،

إيغون

طوى إرلندور الرسالة مجددا، ووضعها داخل الظرف بتأنٍ معيدا إياها إلى نينا.

سأل إرلندور: "هل أرتها ليعقوب؟".

أجابت نينا: "بالطبع فعلت ذلك، وأنكر الأمر كما أخبرتك، أنكر القصة برمتها".

"لا بد أن ميثلدور كانت في مأزق حقيقي. هل أرادت أن تنفصل عنه؟".

"أظن أن هذا الأمر أصبح جلياً بمرور الوقت".

"لكن ربما ليس بالطريقة التي قامت بها".

"لا أستطيع الجزم بذلك".

سأل إيرلندور: "فهمت أن يعقوب لم يحظ بسمعة طيبة في هذه الأرجاء،

أتظنين أنه يمكن إرجاع ذلك لهذه القصة؟ لكون هذا السر قد خرج إلى

العلن؟".

قالت نينا: "ليست لديّ أدنى فكرة. انظر، لقد سئمت من هذا الموضوع.

حان وقت رحيلك".

"انتظري لحظة، أين هو ابن يعقوب وإيغون الآن؟".

"كان يقطن هنا في الشرق. بلغني أنه يعيش في منزل لرعاية المسنين في

إيغلستاد منذ فقدانه النظر في إحدى عينيه. يدعى كغارتان تيمنا باسم والد

الفتيات".

صاح إيرلندور: "كغارتان هالدورسون!" ذاهبا في تفكيره إلى الرجل

العجوز في إيغلستاد الذي سمح له بالاطلاع على صندوق أمه.

قالت نينا شارحة: "أخذ اسم أسرة زوج والدته، بطبيعة الحال لم تكن

إيغون لتسمح بأن يُنسب الطفل ليعقوب، هل قابلته؟".

"أرسلني شخص أعرفه لرؤيته، وأصبح باستطاعتي الآن أن أفهم سبب

ذلك".

مكتبة

t.me/t\_pdf

استطاع في أثناء إحدى فترات صحوه أن يسترجع بذاكرته قراءته لطريقة بسيطة من شأنها أن تشخص حالة انخفاض حرارة الجسم. أصابه ذلك بإحساس غريب أنه قد مر بهذه التجربة في وقت سابق، بالرغم من أنه لم يتذكر أنه وضع هذه المعلومة قيد الاستخدام من قبل. حاول أن يجعل إصبع يده الصغير وإبهامه يتلامسان، ولكنه لم يستطع القيام بذلك. حاول مجددا ولكن لم تُبدِ يده أية استجابة. انعدمت مظاهر الحياة في أصابعه التي غدت تشبه المخالب بتصلبها، فلم يعد قادرا على تحريكها، أو جعلها تتلامس، حتى إنه لم يستطع رفع سبابته، لقد تجمد الأمر العصبي في مكان ما عبر السيالة القادمة من الدماغ باتجاه اليد، تخلى سريعا عن محاولته غير قادر على تذكر في أية مرحلة من حالة انخفاض حرارة الجسم يصبح المرء عاجزا عن القيام بهذه الحركة.

هناك ثلاث مراحل. قرأ الكثير عن حالة انخفاض حرارة الجسم وكيف أن بإمكانها أن تتسبب بفقدان الوعي، الأمر الذي يتبعه موت بطيء مرافقٌ لتوقف الدماغ تدريجيا عن العمل.

يتسبب خسارة الجسم لدرجة أو درجتين مئويتين من حرارته بحصول ارتعاشات لا إرادية مترافقة مع خدر في اليدين. لم يكن يستطيع الجزم فيما إن كانت حالته قد فاقت تلك المرحلة. حاول تركيز تفكيره المشوش على هذا السؤال وهو لا يزال يسعى جاهدا في محاولة ملامسة إصبع يده الأصغر وإبهامه، انقبضت الأوعية الدموية الموجودة في الطبقة الخارجية من الجلد محاولة الحد من خسارة الجسم لحرارته بوصفها آلية دفاع تقليدية، وتعد



قشعريرة البدن آلية أخرى من ذات النوع.

يتذكر إصابته بالقشعريرة، ولكن كأنما مر على ذلك عدة أسابيع.

استعاد بذاكرته أيضا رغبة غريبة تملكته في أن يمزق ثيابه، لكنه لم يعلم كم مر عليه وقت منذ ذلك الحين، إلا أنه متيقن من أن هذه الرغبة ترافقت مع تطور حالة انخفاض حرارة الجسم، وانتقالها من الدرجة الأولى إلى الثانية.

شعر بتدفق الحرارة إلى جلده وأطرافه الأمر الذي أعطاه شعورا مفاجئا بالحر الشديد. بالرغم من أن ذلك لم يعد كونه مجرد وهم. لقد قرأ عن حالات قام فيها الضحايا بالتجرد من ملابسهم متيقنين من أنهم يختنقون حرا. هناك

نظريتان تفسران هذا العارض: تفيد الأولى بإصابة جزء الدماغ المتخصص بتنظيم درجة حرارة الجسم بخلل وظيفي يدفعه للقيام بإرسال رسائل مغلوطة إلى الجلد، أما الثانية فتعزو ذلك إلى أن التوقف المفاجئ لعمل العضلات

التي أدت إلى انقباض الأوعية الدموية في محاولة منها للحد من فقدان الجسم لحرارته وضمان جريان الدم إلى الأعضاء الرئيسة كالدماغ يسبب تدفقا مفاجئا للدم إلى سطح الجلد ويُشعر الضحية بشعور مبالغت بالدفء الشديد.

في أثناء هذه المرحلة، تنخفض درجة حرارة الجسم بمقدار يصل إلى أربع درجات وهذا يحول كلا من الشفتين، والأذنين، والأصابع إلى اللون الأزرق.

خلال المرحلة الثالثة، تنخفض درجة حرارة الجسم إلى ما دون الاثنتين

والثلاثين درجة مئوية. تتوقف الارتعاشات، يفقد الضحية القدرة على الكلام أو التفكير وينتابه شعور بالنعس. يتحول الجلد إلى اللون الأزرق مترافقا مع انخفاض متزايد لإدراك الوظائف العقلية والحسية. في نهاية المطاف، تتوقف

الأعضاء عن العمل، ويحدث الموت السريري، لكن الموت الدماغي لا يتزامن مع الموت السريري لأن البرد يعطل تلف الخلايا ويؤدي إلى إبطاء الأذية الدماغية.

قرأ دراسات عدة عن قدرة الإنسان على احتمال البرد؛ عن ضحايا لتحطم سفن في الشتاء القطبي ممن تمكنوا من مقاومة أعتى أنواع الظروف والنجاة منها، عن أناس اعتبروا في عداد الأموات بعد فقدانهم في الداخل الأيسلندي المتجمد ومن ثم نجاتهم على عكس كل التوقعات. الآن بحوزته دليل، رأى مؤخرا بأمر عينه كيف بإمكان إرادة العيش أن تفوق كل التوقعات. جرب مجددا ملامسة إصبعه الصغير وإبهامه، ولكن من دون طائل. لم يعد يقوى حتى على الشعور بيده، ناهيك عن التحقق من تحولها إلى اللون الأزرق، وبدء إصابته بقضمات الصقيع.

هناك ارتباط وثيق بين بعض ما يعرف عن قدرة الإنسان على تحمل أعتى الظروف، وقضية الشخص المفقود الذي يقوم بالتحقيق فيها منذ أن أتى إلى شرقي البلاد. ازداد اطلاعه على الموضوع منذ أن نبش الكثير من الحقائق عن المحليين، وعن روابطهم العائلية الغربية، وصدقاتهم، وأكاذيبهم وعن مصير ميثلدور.

في السابق، رأى بحرا من النجوم يمتد فوق سماء الليل، لم يعد بمقدوره تمييز أي شيء الآن.

يعلم أن صوت الاحتكاك الذي يسمعه من الباطن هو محض خيال؛ الصرخات البعيدة التي تتناهى إلى مسامعه موجودة فقط في عقله. يعلم تماما ما هو مصدرها وهو ليس بخائف منها.

ها هو ذا يفقد الوعي مجددا.

تكالبت عليه أصوات أخرى: كلمات قالها منذ دهر وبقيت عالقة في ذهنه منذ ذلك الحين، كلمات لم يكن من المفترض به قولها، كلمات بدت غاية في التفاهة حينها، ولكن عواقبها كانت وخيمة.

قاد السيارة في طريق العودة سالكا الطريق نفسه، متجنباً مرة أخرى النفق بين فاسكرو وسفجوردور ورايدارفيديور. بالرغم من أن حركة السير أبطأ مما كانت عليه في الصباح، إلا أن سيارة الدفع الرباعي التي كان يقودها تمكنت من اجتياز الطريق من دون أية صعوبة، يعلم أن طريق النزول إلى البحر في تلك المناطق يُعرف باسم ماندرابسغيل أو وادي الموت، الأمر الذي كان ملائماً لطبيعة تضاريسه، استطاع أن يرى جزيرتي سكرودور وأندي تحته.

أخذ ضوء النهار يتلاشى، وألقت الأشعة المنبعثة من معمل الصهر طيفاً أثرياً فوق خليج رايدارفيديور. تساءل عما إن كان عليه زيارة هرونند الآن في الوقت الذي لا تزال فيه المعلومات التي حصل عليها من نينا حاضرة في ذهنه، ورأى أنه ما من سبب للتأجيل، بينما كان يتوجه بالسيارة إلى منزلها، لاحظ أنها لم تكن في موقعها المعتاد عند النافذة.

اقترب من الباب الأمامي، طرق عليه، انتظر قليلاً، ثم طرق مجدداً. لم تكن هرونند في المنزل ولم يجرؤ على اقتحامه مثل المرة الماضية، جال حول المنزل في محاولة منه لاستراق النظر عبر نوافذه. لم تكن هناك أية إضاءة، ولم يشعر بأية حركة. عندما عاد إلى الباب الأمامي محاولاً فتحه تبين له أنه لم يكن مقفلاً، دخل إلى المنزل بحذر وهو ينده باسم هرونند، لم يسمع رداً، فأغلق الباب خلفه متمسكاً طريقه إلى غرفة الجلوس حيث توضع الكرسي قرب النافذة. انتابه شعورٌ مفاجئ بالتردد خشية أن يبدو فظاً. لا بد أنها خرجت للتسوق ويُحتمل أن تعود في أية لحظة الآن، لم يرد أن تضبطه داخل منزلها.

عاد متوجها إلى باب المنزل، فتحه وكان يهّم بالمغادرة عندما ألقى نظرة خاطفة عبر الردهة إلى المطبخ. تحت الضوء الخافت القادم من ضوء الشارع، رأى ساقّي هروند ممتدتين فوق أرض المطبخ، هرع إلى المطبخ ليجدها مستلقية على جانبها مغمضة العينين، وضع يده فوق رقبتها متحسسا نبضا خفيفا، بسرعة عشر على هاتفها وطلب رقم الطوارئ، ثم أحضر ملاءة من غرفة الجلوس، ووضعها عليها، ولكنه خشي أن يفعل أي شيء آخر فلقد كانت فاقدة للوعي. لم يكن الباب مقفلا حين وصوله، ولكنه لم يلحظ أحدا قرب المنزل، لذلك لم يشك بأي أمر غير مألوف. جثا إلى جانبها بعد أن سمعها تطلق أنينا خفيفا.

سألها: "ما الذي حصل؟".

فتحت عينيها، ونظرت حولها بارتباك.

"هل أنتِ على ما يرام؟".

حاولت النهوض، ولكنه طلب إليها أن تبقى مستلقية، وأخبرها أنه طلب سيارة إسعاف، وأنها على وشك الوصول. سألها عما إن كانت تشعر بأي ألم في صدرها أو رأسها فأجابته بالنفي.

قالت بصوت أجش: "إنه السكري".

قال لها: "حاولي ألا تجهدني نفسك بالكلام، حرارتك مرتفعة جدا. أين

يمكنني الحصول على بعض السكر؟".

"في الخزانة".

نهض.

"أظن أنه يجدر بي.. الذهاب إلى المستشفى..".

وجد مكعبا من السكر وأطعمها إياه، وأحضر وسادة من الأريكة ووضعها تحت رأسها، محكما تغطيتها بالملاءة. خرج باحثا عن سيارة الإسعاف.

بالرغم من أن المستشفى الإقليمي في نيسكوبستادور يبعد عنهم ثلاثين كيلومترا، إلا أنه توقع وجود سيارة إسعاف في القرية بسبب أعمال البناء.

عندما عاد وجدها مستلقية في المكان نفسه، طلبت إليه أن يساعدها على النهوض، تردد في البدء، غير متأكد مما إن كان يجب عليه تحريكها. في النهاية، وبعد إلحاحها الشديد، ساعدها في الجلوس على كرسي المطبخ.

"وجب عليّ أن أعرف، يبدأ الأمر بما يشبه الزكام، ثم يزداد الوضع سوءا. كل ما يتطلبه الأمر مجرد خدش بسيط، ثم ينتهي بي المطاف مصابة بتسمم الدم".

"أتوقع أن تصل سيارة الإسعاف عما قريب، ماذا بإمكانك أن أفعل للمساعدة؟".

سألته خائفة القوى بصوت منخفض وأنفاس متقطعة: "لماذا عدت إلى هنا مجددا؟".

اقتراح إرلندور: "ربما يجب عليك الاستلقاء إلى حين وصولهم".  
أصرت بوهن: "أخبرني.. إلآم توصلت؟ لم تتوقف عن البحث أليس كذلك؟".

قال معترفا: "صحيح، لم أتوقف".

"آه.. هذا ما توقعته. ما آخر الأخبار؟".

سأل إرلندور: "هل من أحد يمكنني الاتصال به؟ هل لديك عائلة؟".

"انتقلوا جميعهم بعيدا".

"ولا أصدقاء حتى؟".

"سيكون هناك الكثير من الوقت لذلك. أخبرني ما الذي توصلت إليه؟".

أضأت كاشفات سيارة الإسعاف المنزل وانعكست أضواء زرقاء على الجدران. خرج إرلندور لملاقاة سيارة الإسعاف، ترجل منها رجلان يرتديان

بزتين سميكتين عاكستين للضوء وتبعاه إلى المنزل.

سألها أحدهما: "إنه السكري، أليس كذلك؟".

قالت محاولة الوقوف: "يا لي من مصدر إزعاج لعين!".

قال الرجل: "على رسلك".

"ألا تلتزمين بأخذ الحقن بانتظام؟".

قالت مشيرة إلى إرلندور: "نعم، كنت آخذها، لكنني أعتقد أن قدمي قد أصيبت. أصبْتُ بحرق بسبب باب الموقد أول أمس، ثم شعرت بتوعك شديد، وآخر ما أتذكره أنه وجدني فوق أرض المطبخ".

أحضر الرجلان نقالة، وضعاهما برفق عليها وحملها إلى الخارج، كان الثلج قد توقف عن التساقط، استلقت على النقالة محدقة بالنجوم إلى أن قاما بإدخالها إلى سيارة الإسعاف. وقف إرلندور متفرجا يراقبهما وهما يُغلقان الباب، ثم صعدا إلى مقصورة القيادة وقادا بعيدا. لم يكونا قد ابتعدا كثيرا عندما رأى الأضواء الخلفية تقترب من جديد باتجاه المنزل وهما يرجعان بالسيارة إلى الخلف. قفز أحد الرجلين خارج السيارة.

"هل باستطاعتي السؤال من تكون؟".

سأله إرلندور: "هل يهم ذلك؟".

"تريدك أن ترافقها إلى المستشفى".

"حقا!".

"هناك متسع لك".

"حسنا". قال إرلندور وهو يصعد إلى مؤخرة السيارة جالسا على طرف مقعد إلى جانب هروند التي بدا أنها غطت في النوم، ولكن ما إن انطلقوا بالسيارة من جديد حتى فتحت عينيها، وأخذت تتفحص وجهه.

قالت بصوت أجش: "لماذا لا تستسلم؟".

"أستسلم عن ماذا بالضبط؟".

"عن النيش في ماضٍ لا يخصك بشيء".

"تريديني أن أتوقف عن ذلك؟".

لم تردّ.

أخيرا قالت: "ما إن أصل إلى المستشفى حتى يعطونني المضادات الحيوية، جرعة كبيرة منها، ستقضي على الالتهاب الذي أصاب جسدي، هذا ما يقومون به عادة، وإلا سأموت، لا يهمني البقاء على قيد الحياة، فأنا عجوز متعبة ومريضة، ولن يفتقدني أحد، لكن الموت ليس مغريا لي، قد أكون عجوزا كسيحة، ولكنني لا أريد الموت، أنا حقا لا أريد ذلك".

انزلقت السيارة بعدما اصطدمت بمطبخ ثلجي كان يتوسط الشارع أمامهم. ارتمت إرلندور خارج مقعده، وكان على وشك الاصطدام بالباب الخلفي.

صاح السائق من مقصورة القيادة: "عذرا، الطريق أشبه بحلبة تزلج".

عاوت إلى الموضوع نفسه وسألته: "لماذا تُجري تحقيقا حول قصة ميثلدور؟ وما الذي توصلت إليه؟".

"لماذا لم تخبريني بأمر إيغون ويعقوب؟".

"لأن لا شأن لك، لماذا تنبش أمرا في طي النسيان؟ لماذا لا يستطيع

الناس أن يرقدوا بسلام؟".

قال إرلندور: "لا أنوي إزعاج أحد".

"مع من تحدثت مؤخرا؟".

"صديقة ميثلدور".

"نيناً؟".

"نعم".

"ما الذي عرفته؟ أريد أن أسمع ما لديك".

قال إرلندور: "ليس لدي شيء لست على معرفة به بالأصل. وأعتقد أيضا أن إيغون لم تخبر أحدا أنها كانت تنتظر مولودا من يعقوب وأنه رفض أن يعترف بالطفل، ابنيهما يكون الرجل الذي أرسلتني لرؤيته في إيغلستادر. عندما علمت إيغون لاحقا أن ميثلدور تزوجت من يعقوب، كتبت لها رسالة تخبرها بكامل القصة. بعد عام من ذلك ماتت ميثلدور".

"لقد أنجزت الكثير من العمل". علقت هروند.

استهل إرلندور القول: "يعتريني في بعض الأحيان شعور...".  
"ماذا؟".

"...مع أنني قد أكون مخطئا بشأن وقوفك في صفي بغض النظر عن كل شيء، إلا أنك أرشدتني طوال الوقت. بالرغم من ترددك باتخاذ قرار واضح حول ذلك، أنت تجددين صعوبة في الاعتراف بذلك الأمر، لذلك تتصرفين بطريقة نزقة، لأنك لا تظنين أنه من اللائق أن يقوم الغرباء بالبحث في أمور عائلتك. أعتقد أن كل اعتراضاتك مجرد حجج واهية، رغم أنني أتفهم ذلك. أعتقد أنك تدفعيني لإلقاء نظرة ثانية، فقد بحثت عن أجوبة لسنوات، والآن تدركين أن الوقت قد حان ليقوم شخص ما بالكشف عن الحقيقة وهنا يأتي دوري".

سألته بصوت واهٍ: "تعتقد أنك ضليع بكل شيء؟".

"حسنا، أعرف لماذا أرسلتني لرؤية كغارتان في إيغلستادر، ولكن لماذا أردتني أن أقابل عزرا؟".

ظن أنها غابت عن الوعي مجددا.

كانت عيناها مغمضتين، وهدأت وتيرة تنفسها بغرابة لتصبح أكثر سكونية. قاد الرجلان سيارة الإسعاف بحذر ليلا عبر الطريق المغطاة بالثلج. لم يعرف



ما إن كان يجدر به إعلامهما بحالتها هذه فهو لم يكن على اطلاع بمرض السكري.

فجأة قالت له: "قلت إنك شرطي".

"صحيح".

"لطالما شعرت...". أخذت نفسا عميقا، من الواضح أنها كانت خائفة

القوى.

"ماذا؟".

"لطالما شعرت... أن على الشرطة التحقيق بأمر اختفاء ميثلدور".

نامت هروند لبقية الطريق. توقفت سيارة الإسعاف خارج بلدة نيسكوبيستادر الصغيرة في وقت متأخر من ذلك المساء. رافق إرلندور هروند إلى الجناح المختص، وبقي إلى جوارها إلى أن بدأ الطبيب بإعطائها العلاج الذي سبق وأن أخذته عدة مرات فيما مضى واصفا لها جرعة من المضادات الحيوية الفعالة لعلاج الإنتان في ساقها. من شأن أتفه الخدوش السطحية أن تُحدث إنتاناً شديداً، الأمر الذي يقود بدوره إلى هذه المضاعفات الخطرة في حال عدم معالنته مبكراً.

أخبره الطبيب أنه يجب أن تبيت الليلة في المستشفى. لم ينتبه إرلندور إلى أنه ترك سيارته أمام منزلها، لم يملك أية فكرة عن الطريقة التي سيعود بها لاستعادتها. كان الوقت قد تأخر كثيراً لإيجاد وسيلة نقل إلى رايدارفيديور، وبجميع الأحوال أراد أن يتكلم معها عند استيقاظها في الصباح. سأل الطبيب عما إن كان هناك أي نُزل لائق في الجوار، فأرشدته إلى واحد قرب المستشفى، محذراً إياه من أنه قد لا يجد غرفة شاغرة بسبب أعمال البناء.

لكن الحظ حالفه، وحظي بسرير شاغر ليشارك الغرفة مع مهندسين مرهقين من العمل، ورجال مبيعات في أوج أعمالهم من ريكيافيك، ومستشاري إدارة أمريكيين، وعمال صينيين. فتح رجل أربعيني، من المهندسين الحديث معه مخبراً إياه أنه عمل في الماضي في إقامة حواجز ضد الانهيارات الثلجية في الخليجان الغربية وفي بلدة سيجلوفجوردور النائبة في الشمال، انحدرت عائلته من الخليجان الشرقية، من مزرعة متوارثة باسم يشبه

ستروكاهليد. تردى مستوى حديثه إلى أن أصبح هذرا عن الجلبة المثارة حول السد ومعمل الصهر، كان يتذمر عارضا وجهة نظر أخيه عندما اعتذر منه إرلندور بتهذيب متمنيا له ليلة طيبة.

في الصباح، عاد إلى المستشفى لرؤية هرونند، التي حظيت بقسط وافر من النوم وكانت أكثر إشراقا. جلست مستندة في السرير وقد ضمدت قدمها بشكل جيد.

بينما كان إرلندور يهم بالجلوس، قالت: "بدأت العقاقير تعطي مفعولها، شكرا لك على المساعدة، كم كنت غيبة لأنني لم أتصل بالطبيب في وقت أبكر، شكرا على مساعدتك. لا بد أني فقدت الوعي على أرضية المطبخ، بالرغم من أنني لا أتذكر الكثير حول ذلك".

قال إرلندور: "كان الوضع سيئا".

"ما كان يجب عليك القدوم كل تلك المسافة معي".

"إن ذلك أقل ما يمكنني القيام به".

عدّلت أغطية الفراش

"أتذكر بعضا من حديثنا في الأمس، لكن ليس كله".

"حسنا، إن فهمتك بشكل صحيح، فأنت تشكين بوجود تفسير آخر لموت ميثلدور غير الذي قدمه يعقوب في ذلك الوقت".

قالت كما لو أنها تزريح حملا عن كاهلها: "نعم، أنت محق".

"أعرف أنه من المريع أن أكون بهذه السخرية، لكن الأمر ضايقني لسنوات. لطالما اعتقدت أن عدم إيجاد جثتها أمر غريب. تم العثور على جميع الجنود البريطانيين بالرغم من أن بعضهم قد ضل طريقه لمسافات بعيدة. شعرتُ لوقت طويل أنه كان يجب عليهم العثور عليها هي الأخرى".

"انجرف أحد الجنود بعد وقوعه في النهر وصولا إلى البحر".

"أعلم ذلك، لا أستطيع إخراج هذه الفكرة من رأسي أيضا، ربما نالها نفس المصير وحملتها الأمواج بعيدا، لعلها في نهاية المطاف لم تلقَ حتفها في الجرود أصلا".

"تحدثت بالأمس مع نينا، ذكرت خلالها شائعة عن انتحار ميثلدور، هل فكرت في هذا الاحتمال؟".

"بالطبع. لكن المشكلة لا تزال نفسها. لماذا لم يُعثر على جثتها؟ لم يكن أحد قادرا على تقديم أية إجابات. وأشك في أن يقدمها أحد بعد كل هذه السنوات".

"هل أنت على تواصل مع ابن أختك كغارتان؟".

"لا. صحيح أنه ابن أختي لكننا لسنا مقربين من بعضنا بعضا. نحن على معرفة بوجود أحدنا الآخر، ولكن هذا كل ما في الأمر. بطبيعة الحال، هو لم يترعرع في هذه الأرجاء، انتقل شرقا في بداية شبابه، وانطوى على نفسه. حتى إنني لست على تواصل مع أي من أبناء إيغون الآخرين. فهم، على حدّ علمي، يقطنون جميعا في ريكيافيك".

"لماذا لم تخبريني عن إيغون ويعقوب؟".

ترددت هروند قليلا قبل الاجابة. "لماذا عليّ أن أخبرك؟". وفي النهاية قالت: "لم أكن على معرفة بك على الإطلاق وقتها، عندما أخبرتني أنك من الشرطة، بدأت باستحضار الماضي الدفين. ولكنني لم أستطع أن أحدد موقعي، لذلك أخشى أنني فقدت أعصابي عندما عدت في المرة الثانية. لم يكن هناك داع لذلك، وأتمنى أن تغفر لي فظاظتي".

قال إرلندور: "لا حاجة إلى ذلك، أعلم أنني مجرد دخيل".

"يجب أن تعرف أنه ليس من السهل عليّ التحدث عن الموضوع".

أوما إرلندور موافقا: "حسنا، كنت تعرفين بأمر إيغون ويعقوب؟".

قالت هروند: "لم أستوعب ما حصل حتى تقدم بي العمر، لم تكن أمي تحب الحديث عن الموضوع. لقد استنتجت الأمر بمفردى بعد أن جمّعت ما سمعته لاحقاً من تلميحات هنا وهمسات هناك، وقتها كان يعقوب وميثلدور قد فارقا الحياة، أظن أن رسالة إيغون قد دمرتها، وهذا يفسر ما حصل فيما بعد".

"أظنّين أنها عقد العزم على الانفصال عن يعقوب؟".

"أرجح ذلك".

"هل هنالك سبب يدعو للشك في أن إيغون لم تكن صادقة في ما قالتة؟".

"لماذا قد تفعل ذلك؟".

"خطر في بالي أن يعقوب قد لا يكون والد الطفل في نهاية المطاف، ربما هناك شخص آخر".

"أستبعد ذلك، بالرغم من عدم قراءتي للرسالة الشهيرة، الله وحده يعلم

ماذا حل بها".

قال إرلندور: "إنها بحوزة نينا، لعله يجدر بك التكلم إليها، تدّعي إيغون

فيها أن يعقوب هو والد طفلها".

"هل قرأتها؟".

هز إرلندور رأسه مؤكدا حصول ذلك.

قالت هروند: "لا أعتقد أن هناك شخصا آخر، بعدها تزوجت ميثلدور

من يعقوب بمحض المصادفة. لم يتعدّ الأمر كونه أحد تلك الأمور الغريبة،

مجرد مصادفة. إنها حال الحياة كما تعلم".

"ولكن هذا لا يعني أن يقع اللوم على يعقوب، فهو لم يخن ميثلدور. أيا

ما كان يدور بينه وبين إيغون فقد انتهى قبل وقت من انتقاله وميثلدور للعيش

معا. لكل شخص ماضيه".

"بالطبع".

"إن كانت ادعاءات إيغون بأن يعقوب هو والد الطفل غير صحيحة، فإن هناك أسبابا أخرى حملتها على تدمير زواج ميثلدور".  
علقت هروند: "لقد عاملها يعقوب بدناءة".  
"أعلم ذلك، ذكرت إيغون هذا الأمر في رسالتها".

"لا أعلم ما الذي ذكرته في رسالتها، ولكنه استخدم شتى أنواع التهديد عندما أخبرته إيغون بالأمر، وطلبت إليه الاعتراف بالطفل. هدهدا بالضرب، ومن المحتمل أنه فعل ذلك حقا، وحذرها بأنه سينشر.... أنها لم تكن سوى عاهرة رخيصة. أنا متأكدة من أنها هربت منه إلى ريكيافيك. كانت أمي واثقة بأنه ضربها، بالرغم من رفض إيغون المستمر الحديث عن ذلك".

دخلت الممرضة الغرفة، وسألت إيغون عن حاجتها إلى شيء، هزت هروند رأسها نافية. أخذت الممرضة إبريق الماء الفارغ عن المنضدة الجانبية وأخبرتها بأنها ستعيد تعبئته، وأضافت هامسة: "رني الجرس عندما تكونين بحاجة إلى أي شيء".

حالما خرجت الممرضة تابعت هروند حديثها: "عندما لم يعثر على ميثلدور، واجهت أمي يعقوب وسألته بشكل مباشر عما إن كان قد آذاها، أو ضربها، لكنه أنكر الأمر، مدعيا أنه لم يمس شعرة من أي منهما، وعندها لم تستطع أمي قول أي شيء".

علقت إرلندور: "لا بد أن ميثلدور صُغت عندما اكتشفت أن ابن أختها هو ابن زوجها".

قالت هروند: "كل ما أعرفه أن إيغون دمّرت الزواج برسالتها تلك، ربما سعت إلى ذلك منذ البداية".  
"ما الذي تقصدينه؟".

لم تجب بشيء.

نظرت إلى عينيه. كان هناك صوت طقطقة في أثناء عبور أحدهم مرتدياً لقبابه. في الخارج، صوت محرك شاحنة يُحدث جلبة في أثناء تشغيله. "ماذا عنيت عندما قلت إنه لا بد لهذا أن يفسر ما حصل بعدها؟".  
"ماذا؟"

"لمّحت إلى أن رسالة إيغون أثرت على مسار الأحداث لاحقاً، هل كنت تشيرين إلى اختفاء ميثلدور؟".  
قالت هروند: "لا، حصل هذا في وقت لاحق... لجأت ميثلدور إلى عزرا. أقامت علاقة مع صديق يعقوب".  
"عزرا؟"

"نعم، كانا قد بدأنا بالمواعدة سرا. ألم تقم بزيارته؟".  
"بلى، فعلت".  
"ألم يخبرك بذلك؟".  
"لا".

"حسناً، إنه ليس بالأمر المفاجئ. فهو لم يكن يتحدث عن الأمر، إلا مرة واحدة. لقد كتم السر طيلة سنوات. ما من شك في أنه سيأخذه معه إلى القبر".

التزم إرلندور الصمت ليستوعب كلمات هروند. تعالي صوت القبقاب في الممر مرة أخرى، وتلاشت جلبة محرك الشاحنة بالتدرج. حرّكت هروند اللحاف الأبيض. لاحظ إرلندور أن أحدهم قد جلب لها كتابا ذا غلافٍ بنيٍ متهالك. كان عنوان الكتاب شيئا يشبه الرجل والرماد.

قالت هروند بعد فترة من الصمت: "أفترض أنك تود معرفة المزيد".  
قال إرلندور: "هذا القرار يعود لك، على الأقل هكذا سار الأمر حتى الآن".

على حد علم هروند لم تجمع عزرا وميثلدور سوى علاقة سطحية، على الأقل في الفترة التي سبقت استلامها لرسالة أخرى. اعتاد عزرا أن يعمل على قارب صيد مع يعقوب، كانا على وفاق، بعد أن التقيا منذ عدة سنوات مضت في دجوييفوغور، بالرغم من أن هروند لم تكن على دراية محيطية بكل الحشيات، ولم تملك أدنى فكرة عن السبب الذي دفعهم للقدوم إلى إيسكيفنغندور بعد الحرب. لم يتزوج عزرا أبدا، ولم تجمعه علاقة مع أية امرأة من قبل على حد علم هروند. كان جليا أن يعقوب يملك خبرة أكبر في هذا المجال. كان عزرا شخصا منعزلا. لازمته هذه الصفة منذ شبابه ولم تتغير طبيعته. لم يعرف الناس عنه أي شيء عدا أنه لم يكن من السكان المحليين، بل كان ينحدر من الجهة الأخرى من البلاد. قبل أن يلتقي يعقوب في دجوييفوغور عاش في الغرب، في ستايكشهورلمور وبورغارنس، حيث يُحتمل أنه وُلد وترعرع، رغم أنه لم يخطر ببال أحد أن يطرح عليه مثل هذا السؤال.



اتجه شرقا بغية امتهان صيد الأسماك، حيث استقر وعمل في البحر. وبالرغم من كونه محبا للعزلة، قليل الحديث عن نفسه، والتعبير عن مشاعره أو التدخل في الشؤون المحلية، فقد حظي بشعبية جيدة. كان مجداً في عمله، جاهزا لتقديم المساعدة عند الطلب، عاش باستقامة واعتدال أيضا. بالرغم من بنيته الصلبة، لكن لم يكن يُصنف على أنه رجل وسيم بحاجبيه المنخفضين، وعينه الصغيرتين، ووجهه الذي ظهرت عليه التجاعيد باكرا، والندبة الغريبة على شفته السفلى التي اكتسبها نتيجة شجار بالرغم من أن أحدا لم يسأله عنها.

ألقي أحد المازحين دعابة مفادها أن وجهه يشبه سجادة مكومة في زاوية ما، ربما كان هذا السبب وراء خجله وحيائه عندما يتعلق الأمر بالنساء، إلى أن قابل ميثلدور. بدأت قصة تعارفهما، عندما بدأت ويعقوب برؤية أحدهما الآخر. بأسلوبه الخجل لاحظ وجودها من قبل، ولكن لم يعرفها عن كثب إلا عندما بدأ بالعمل مع يعقوب على قارب للصيد يزن ثلاثة أطنان يملكه رجل يدبر مصنعا للسمك في القرية. أطلق على القارب اسم سيغورلينا تيمنا باسم زوجة الرجل. اعتادا الانطلاق عند بزوغ الفجر والعودة إلى الميناء عند العصر أو قبيل المساء، أحيانا كانا يتوليان قيادة المركب عند انشغال القبطان بأمور أخرى. كان عزرا يستيقظ باكرا ويصطحب يعقوب في الوقت التي تكون فيه ميثلدور مستيقظة تنجز أعمالها، فيتجاذبا أطراف الحديث ريثما يُنهى يعقوب استعداده، لينطلق الرجلان إلى الميناء وتراقبهما من المدخل. لم يكن يعقوب يلتفت للوراء أبدا، لكن عزرا كان يختلس نظرة خاطفة من فوق كتفه محتفظا بصورة لميثلدور في مخيلته ليأخذها معه إلى البحر.

في إحدى المرات حين وصلا إلى البر، ذكر له يعقوب أن عليه الذهاب إلى دجويغو غور لبضعة أيام، دون أن يذكر سبب الزيارة، وأخبره أن عليه

إدارة المركب بالتعاون مع صاحب المركب خلال ذلك الوقت. في صباح اليوم التالي، لاحظ عزرا في أثناء مروره قرب المنزل أن ميثلدور كانت مستيقظة تنجز أعمالها الصباحية، وذلك بعد أن غادر يعقوب باكرا، لقد كانت مستيقظة لتودعه، لكنها لم تستطع معاودة النوم. بما أن الباب كان مفتوحا، ألقى عليها التحية، وتجاذبا أطراف حديث مقتضب كما جرت العادة.

في اليوم التالي، مرّ عزرا مرة أخرى بالقرب من المنزل، ورأى أن ميثلدور فتحت الباب وكأنها تنتظره. خرجت لتلقي عليه التحية، في هذه المرة بقي لفترة أطول من اليوم السابق، مستمتعا بحديثهما المطول.

كانت ميثلدور مثله تجهل الأسباب التي دفعت يعقوب للسفر إلى دجوبيفوغور. كان يناقش فكرة شراء حصة في مركب صيد، وظنت أنه ينتظر الفرصة المناسبة. أو ما عزرا برأسه، فقد اقترح عليه يعقوب ذات مرة أن يشتركا في شراء حصة في مركب صيد، لكنه عزرا لم يهتم بالأمر لأنه لم يكن يمتلك أية نقود.

قال يعقوب: "سنقرض المال يا صديقي".

فسأله عزرا: "برأيك من سيقرض مالا لأمثالنا؟".

وقف هو وميثلدور عند الباب في هدوء الصباح الباكر. سألهما عما إن كانت بحاجة إلى أي شيء، فردت بالنفي، شاكرا إياه على السؤال.

في لقائهما الثالث، مكث عزرا الوقت أطول من المرتين السابقتين، عندما مر بالبيت لم تكن ميثلدور قد استيقظت بعد، فانتظر في الخارج إلى أن سمع صوت حركة في الداخل، شجع نفسه، وطرق الباب، فابتسمت له عندما فتحت الباب وهي لا تزال مرتدية ثياب النوم.

قالت وهي تناوله كيسا صغيرا: "أعددت ليلة البارحة شيئا لتأكله عند الغداء، إنه لمن اللطيف منك أن تمر بي عند الصباح".

قبل الطعام بتفاجؤ واضح.

قال متمنيا ألا يُظهر رده عدم امتنانه: "لم يكن من داع لذلك".

قالت سعيدة بدهشته: "أوه لا، إنه ليس بالشيء المميز".

وضع الكيس في جيبه: "شكرا جزيلا لك، سيعود يعقوب غدا، أليس

كذلك؟".

ردت ميثلدور: "أتوقع وصوله هذا المساء، سيرافقك صباح الغد".

في اليوم الرابع توجه إلى منزل ميثلدور، لم يكن قد وصله أي خبر من

يعقوب، ولكنه افترض أنه عاد إلى المنزل في الليلة السابقة، لذلك قرع الباب

كعادته.

استدار باتجاه الميناء، كان الضباب يغطي الخليج، لكنه أمل أن يختفي خلال

الصباح. فُتح الباب لتظهر ميثلدور من خلفه. بدا واضحا أنها كانت تبكي.

سألها: "ما الخطب؟ ما الذي حصل؟".

هزت رأسها.

"هل أصاب يعقوب أي مكروه؟ هل هو هنا؟".

أجابت: "لا، إنه ليس هنا، ولا أعرف أين هو".

"ألم يكن يُفترض به أن يعود بالأمس؟".

"صحيح، ولكنه لم يأت، ولا أعرف متى سيأتي".

بدت مضطربة جدا، دلفت إلى المطبخ، وعادت برسالة لوّحت بها أمام

وجهه.

قالت مطالبة إياه بجواب: "هل كنت على علم بهذا؟".

"بشأن ماذا؟".

"بشأن أي نوع من الرجال هو". ردت عليه صافعة الباب في وجهه. وقف

عزرا في حيرة من أمره. تردد متسائلا عما إذا كان يجب عليه طرق الباب مرة

أخرى. كان القارب ينتظر، لم يكن بوسعه البقاء، فقد بدأ الجيران يستيقظون. قلب الموضوع في رأسه لفترة من الزمن، قبل أن يقرر في النهاية أن يمضي في سبيله. لكنه توقف بين الفينة والأخرى ليرى إن فتحت الباب مرة أخرى، لم تفتح الباب، لم يسبق له أن رآها مضطربة على هذا النحو، ولم يحتمل فكرة أن يتركها وحيدة في تلك الحالة.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، عندما عاد عزرا إلى البر، أول ما نظرت إليه عيناه كان المنزل، لكنه بدا معتما وخاليا. مشى إلى منزله، مشغول البال، فتح الباب الذي يترك عادة مفتوحا، كما جرت العادة بين سكان القرية. بينما كان يضع حقيبته، أجفله رؤية ميثلدور جالسة في الظلام إلى طاولة المطبخ. مديده ليشعل الضوء.

سألته: "هل تمانع في أن يبقى مطلقاً؟".

"حسناً".

قالت: "آسفة على الطريقة التي تصرفت بها هذا الصباح، لقد أقلقني هذا الأمر طوال اليوم".

قال، وهو ينظر حوله ليتحقق مما إن كان هناك أحد برفقتها: "لا تقلقي، أمل أنك تشعرين الآن ببعض التحسن".

"أنا كذلك".

"هل أنت بمفردك؟".

"نعم، أنا بمفردتي. أرغب في الحديث إليك. أيمكنني ذلك؟".

قال عزرا: "بالطبع، هل تشعرين بالجوع؟ هل ترغيبين في احتساء بعض القهوة؟".

قالت: "لا، شكرا، لا تكبد نفسك عناء ذلك، هذا ليس سبب قدومي إلى

هنا".

"لماذا أنت هنا إذن؟".

لم تُجب ميثلدور على الفور. جلس بجوارها، كان سعيدا بوجودها، سعيدا لأنها كانت تنتظره عند عودته إلى المنزل، على الرغم من أنه لم يملك أدنى فكرة عما كان يحصل.

سألها: "هل عاد يعقوب؟".

"نعم، قرابة الظهر".

"لكنه ليس برفقتك الآن؟".

قالت ميثلدور: "لا تقلق، لم يشاهدني أحد أدخل إلى هنا، ولا يهمني إن حصل ذلك. هذا آخر ما يهمني".

سألها: "ما الأمر يا ميثلدور؟ ما الذي حصل هذا الصباح؟".

"وصلتني البارحة رسالة من أختي إيغون". أخرجت الرسالة من جيبها. انتقلت إلى ريكيا فيك منذ مدة طويلة، ولم نكن نراسل كثيرا، أعرف أنها عارضت زواجي من يعقوب. ولم أعرف سبب ذلك إلى الآن. بإمكانك أن تقرأها إن أحببت".

أعطته الرسالة ليقرأها بدوره مرتين قبل أن يضعها على الطاولة.

"ماذا كان رد يعقوب على الموضوع؟".

قالت ميثلدور: "لا شيء، يقول إنه تعرف إلى إيغون من دجوييفوغور. هذا جل ما أقر به. لكنه نفى بشكل قطعي أن يكون الطفل من صلبه. قال إنه أخبرها بذلك من قبل، لكنها ظلت متمسكة بهذه الفكرة المجنونة، وادعى أنها فقدت صوابها".

"لم تكن لديك أية فكرة عن الأمر؟".

"لم يسبق لإيغون أن أخبرتني شيئا قبل الآن، عرفت أنها أنجبت طفلا في ريكيا فيك، ولكنني لم أربط الأمر بـ يعقوب".

"هل كان يعلم أنكما أختان حين تعرف إليك؟".

قالت ميشلدور: "كنت أعلم أنهما يعرفان بعضهما، هذا كل ما كنت أعرفه، لم أكن أعلم أي شيء عن وجود طفل أو أي نوع من العلاقة التي جمعت بينهما. لم يأتِ على ذكر العلاقة الغرامية إطلاقاً، ولا يزال يرفض الحديث حول الموضوع. يرفض حتى مجرد النقاش فيه. طلب إلي أن أغلق فمي، وضربني، وغادر المنزل كالإعصار، لا أعرف إلى أين ذهب".

"ضربك؟!".

"نعم، على رأسي".

"هل أنتِ على ما يرام؟".

"نعم، لقد صدمني ذلك قليلاً، هذا كل ما في الأمر".

"هل تصدقين أختك؟".

"نعم".

"ما الذي تنوين فعله؟".

مكتبة

t.me/t\_pdf

أجابته ميشلدور: "لا أعرف، لا أعرف ما الذي يجب عليّ فعله. أردت رؤيتك لأعرف ما إن كنت على دراية بالأمر. هل كنت على علم بأنه حظي بطفل من أختي؟".

أجابها عزرا: "لم تكن لديّ أية فكرة".

"لم يذكر الموضوع أمامك على الإطلاق؟".

"على الإطلاق".

"ربما لديه أطفال في كل الأصقاع، لكن لا علم لي بهم. لعله ضائع النساء في دجوبيفوغور طوال تلك الفترة؟".

مدت يدها لالتقاط الرسالة، ومن دون أن يفكر في ما يقوم به، وضع يده على يدها بحياء بحركة شبيهة غريزية. وبدلاً من أن تسحبها تبادلاً النظرات.

قال عندما أفلت يدها: "أنا آسف، أنت متضايقه".  
"لا عليك".

قال هامسا: "لم أمر بهذه التجربة من قبل".

قالت له: "لا تشعر بالخجل، أشعر بالسعادة عندما أكون بالقرب منك".  
نظر إليها مجددا وتعلقت العينان ببعضهما.  
"أنت رجل صالح يا عزرا".

"لا يسعك أن تتخيلي ما أشعر به عندما أنظر إليك".  
قالت له: "ربما بوسعي الإحساس بذلك".  
"لا تمانعين ذلك؟".

في قلب الظلمة رآها تهزّ رأسها نافية.

قال هامسا: "ماذا عن يعقوب؟".

قالت ميثلدور: "بإمكانه أن يذهب إلى الجحيم".

دخل الطبيب إلى غرفة هروند، ليتأكد من التقطير، وسألها عما إن كانت تشعر بتحسن. بعدها انصرف الطبيب برشاقة بعد أن ألقى نظرة فضولية على إرلندور الذي بقي صامتا، ولم يتفوه بكلمة. طلبت هروند إلى إرلندور أن يعدل لها غطاء السرير، وأن يملأ كأسها بالماء. صب لها الماء من الإبريق، ارتشفت هروند رشفة من كأسها، ثم وضعتها على الطاولة. وتابعت حديثها: "بعد سنوات، عرفت أُمي بما حدث من عزرا، بعد أن مات يعقوب، لم يتعمد عزرا أن يخبرها بالطبع، ولم يكن ليفعل شيئا لولا أنها أصرت عليه. لكنني أجزم بأنها لم تعرف إلا جزءا من الحقيقة. لطالما أحببته، لكنه شخص يخبئ في جعبته كثيرا من المفاجآت".

قال إرلندور: "لقد التقيت به مرة، وبطبيعة الحال لم يقل شيئا عن الأمر".  
 علقت هروند: "لا أظن أنه سيخبرك بهذا".  
 خشي إرلندور أن تكون متعبة، فسألها عن وجوب رحيله الآن، وقدمه في وقت لاحق، وبذلك يتيح لها أن تأخذ قسطا من الراحة.  
 هتفت هروند: "الراحة؟ لا أعرف كيف من المفترض أن أحصل على المزيد من الراحة أكثر مما أفعل الآن، وأنا مستلقية على ظهري في المستشفى".  
 "لا أريد أن أكون مصدر إزعاج".

"لست كذلك، لا يُتاح لي كثيرا أن أستغرق في الذكريات هكذا، وأي يكن الأمر، هناك دائما إمكانية أن تذكر لي أمرا جديدا. بالتأكيد فقد سرعت من الوتيرة المعتادة لما يجري".



لم يكن بإمكان إرلندور أن يُنكر أن هروند تبدو أفضل حالا، وأكثر نشاطا وإقبالا على الحديث مما سبق. تساءل عن مدى صلة هذا بالمضادات الحيوية. وبصرف النظر عن حادثة عدم انتظام ضربات القلب التي وقعت منذ بضع سنوات، إلا أنه لم يسبق له أن كان مريضا أبدا، لم يُمضِ أي يومٍ من حياته في السرير.

قال لها: "حسنا، كُلِّي آذان مصغية، ما الذي حدث بعد ذلك؟".

"لم يحدث شيء في الشهور القليلة التالية، بالرغم من أن العلاقة بين عزرا وميثلدور أصبحت أوثق مع مرور الوقت، إلا أنه استمر في صيد السمك مع يعقوب، ولكنه استمر في التغييب بداعي المرض. من الغريب أنهما استطاعا أن يُبقيا أمر علاقتهما سرا في مجتمع صغير كالذي عاشا فيه. كانا يعرفان أنهما يجب أن يُخبرا يعقوب في مرحلة ما، ومن الأفضل أن يعرف منهما على أن يعرف من أحدٍ آخر، ولكن ميثلدور كانت مترددة. كانت تخشى أن يُصعب عليهما الحياة، ويضع في طريقهما العقبات".

"هل تعتقدين أن ميثلدور شرعت في علاقتها مع عزرا لكي تنتقم من يعقوب؟".

"سألت نفسي السؤال ذاته، لقد تلقت الرسالة، وكانت ردة فعلها عنيفة، وأحبت رجلا آخر لكي تجد الراحة".

"ماذا كان رأي والدتك؟".

"لم تستطع أن تبتّ في هذا، ولكنها كانت تعرف أنه عندما تقوم ميثلدور بأمرٍ ما فهي تفعله بصدق وإخلاص. وبغض النظر عن الطرف الذي بدأ، إلا أنها أحبت عزرا بحق. إنه أفضل من يستطيع أن يعرف هذا، لأنه في النهاية هو من أخبر أُمي".

كان الجزء الصعب هو اللقاء سرا. لم يستطع عزرا التغييب عن العمل إلا في أيام محددة، ومن ناحية أخرى لم يرد أن يضغط على ميثلدور لتترك

يعقوب. أجملت ميشلدور أمر إخبار يعقوب مرتين. بالرغم من أنها شعرت أن لديها أسبابا كافية لكي تطلقه، إلا أن يعقوب أنكر أنه والد طفل أختها، أضف إلى ذلك أنها خشيت للغاية من ردة فعله إذا ما تركته. وبما أن عزرا وجد صعوبة متزايدة في الاستمرار بالعمل مع يعقوب إضافة إلى أنه يكره السرية والخداع، فقد اختلق عزرا لكي يتوقف عن العمل معه في القارب. لا يجب أن يُفصح أمر لقاءاته مع ميشلدور، ولكنه عَرَفَ أن هذا الأمر لا مفر منه، وسيحصل عاجلا أم آجلا. في إحدى الليالي، وبينما كان مُستلقيا ويفكر في مأزقهما، سمع طرقا خفيفا على الباب. عندما فتح الباب، اندفعت ميشلدور إلى الداخل، فأغلق الباب خلفها على عجل.

همست في أذنه: "اشتقت إليك كثيرا". طوقته بذراعيها. ضمّها إليه بقوة، وقبلها، ثم حملها إلى المطبخ وظلا يقبلان بعضهما إلى أن غادرت رغما عنها. عرض عليها عزرا: "دعينا نغادر الليلة معا، نغادر الآن".

اعترضت على كلامه: "لا نستطيع أن نغادر هكذا، عليّ التحدث إليه، علينا أن نتكلم معه، أنت صديقه في نهاية الأمر، وأريد منه أن يعترف أنه كان وغدا مع شقيقتي". حدق عزرا إليها في حين كانت تمسد جبينه. "لقد غادر يعقوب إلى رايدارفيدور، وينوي أن يمضي ليلته هناك".

قال لها: "حسنا، سنتكلم معه، سنخبره بالحقيقة. إذا كان هذا ما تريدينه، فلن أعترض. هذا أفضل. ولكن سنخبره معا، لا يجب أن تقومي بأي شيء بمفردك، سنواجهه معا".

"أنت تعلم كم يغار".

"أستطيع تصور ذلك، خاصة إن كان للأمر علاقة بك".

لم تأت في اليوم التالي، ولم يتحرك هو من المنزل منذ أن استيقظ بسبب عويل العاصفة التي ثارت فجأة، ولكن عند بداية المساء سمع قرعا عنيفا على

الباب. إنه يعقوب، كان في حالة شديدة الاهتياج. وضع عزرا في ذهنه أسوأ السيناريوهات، ولكن الأمر فاق توقعه. تكلم يعقوب لاهثاً: "ميتلدور خارج المنزل في العاصفة، أتيت إليك لأطلب المساعدة، المساعدة للعثور عليها". لم يُصدق عزرا ما سمعه. كان يفكر في مدى خطورة الخروج في طقس كهذا. لم يسبق له طوال الفترة التي عاش فيها أن رأى عاصفة بهذه الشدة، خشي أن تقتلع الرياح سقف منزله الخشبي. تابع يعقوب: "لقد ذهبت مشياً لزيارة أمها، أنا الآن بصدد تشكيل مجموعة للبحث عنها. هل بإمكانك القدوم والمساعدة؟".

أجاب عزرا: "بالطبع، هل تقول إنها الآن خارج المنزل في هذا الطقس؟".

سأله يعقوب: "ألم ترها أو تتحدث إليها على الإطلاق؟".

"لا".

"قالت إنها قد تأتي إلى منزلك لتطمئن عليك".

قال عزرا: "حقاً؟" وكاد أن يُفشي له أمر أنها لم تذكر له أي شيء بخصوص رحلة رايدارفيديور، إلا أنه أمسك لسانه في آخر لحظة.

تابع يعقوب: "قالت إنها تريد أن تخبرك بأمر ما على عجل".

رد عزرا: "لا يمكنني أن أتصور السبب". نظر إليه وعلى وجهه أمارات الاستغراب الزائف، في محاولةٍ للتظاهر أنه من غير المعتاد أن تأتي إليه ميتلدور لكي تخبره بأمرٍ ما على عجل، كما لو أنها لا تتردد إلى منزله على الدوام، وأنه ما من شيء بينهما، وأنها لم تخبره عن هجرانها ليعقوب، ولم يُخططا للهرب معاً، ولم يمارسا الحب هنا في المطبخ، حيث يقف يعقوب بالضبط. أجبر نفسه ليُظهر معالم الحيرة وليخفي جميع تلك الأكاذيب.

قال يعقوب: "حسناً، ربما سنعرف هذا".

ارتدى عزرا معطفه الوافي من المطر بسرعة وغادر مع يعقوب. لم يستطع أن يتبين أية علامة تدل على أن يعقوب يعرف بشأن علاقتهما. لو أنه

عرف أو انتابته الشكوك، فسيخفي هذه الحقيقة. بحسب ما تبين لعزرا، كان يعقوب قلقا بحق بشأن ميثلدور. عندما كانا يقرعان أبواب المنازل، لتشكيل مجموعة للبحث عنها، عَلِمَا أنه تم تشكيل فرقة إنقاذ بالفعل للبحث عن مجموعة من الجنود البريطانيين من رايدارفيديور الذين فشلوا في العودة بعد أن خرجوا للتزهر. قرع أحد المزارعين في فيتور هوس جرس الإنذار، وأُنقذ عدد من الرجال بالفعل. انضم عزرا ويعقوب لمجموعة البحث والإنقاذ، وسرعان ما انتشر الخبر حول أن يعقوب يظن أن زوجته اعتزمت عبور الأراضي الجرد بوصفها أقصر طريق لتزور والدتها في رايدارفيديور. اعتقد أنها اتجهت إلى طريق هاردسكافي وربما وصلت إليه قبل أن تبلغ العاصفة ذروتها. لا تزال الرياح تهب بقوة إعصار، كانت الظروف المناخية خطيرة بالنسبة إلى مجموعة الإنقاذ، ولكن هذا لم يردع عزرا أو يعقوب. صرخ عزرا ناديا يعقوب فور وصولهما إلى طريق هاردسكافي وهما يتمايلان: "لماذا لم تخبرني في وقتٍ أبكر؟". كانا يتقدمان بصعوبة بوجه الرياح العاتية. "كنت نائما، بقيت غائبا عن هذا العالم طول النهار، وعندما استيقظت عصرا كانت العاصفة قد بلغت شدتها كما تلاحظ، لو علمت ما ستؤول إليه أحوال الطقس فما كنت لأدعها تخرج".

"هل أنت متأكد من أنها لم تتمكن من العبور إلى الجهة الأخرى؟".  
"أجل، لقد أجريت اتصالا هاتفيا، إنهم يشكلون مجموعة إنقاذ أخرى في رايدارفيديور".

هتف عزرا: "يا إلهي، علينا العثور عليها".

رد يعقوب: "أنا متأكد من أنها ستنجو".

شقا طريقهما عبر المطر الغزير، وضاعت صرخات نداءهما في هدير العاصفة، ولكن قبل أن يقطعوا شوطا طويلا أُجبروا على العودة بفعل شدة

الرياح، وهذا ما حصل أيضا بالنسبة إلى مجموعة الإنقاذ في الجهة المقابلة. تدبرا أمرهما في المشي الشاق لبضع مئات من الأمتار قبل أن يستسلما وينتظرا أن تهدأ العاصفة كي لا يُعرضا حياتيهما للخطر. في اليوم التالي خفت شدة الرياح، والتقت مجموعتا الإنقاذ على الطريق دون أن يجدوا أي أثر لميثلدور. في الأيام القليلة التالية، استمروا في تمشيط الجرد، ولكن من دون أي جدوى.

طلبت هروند إلى إرلندور أن يساعدها لكي تعدل من جلستها قليلا. "هذه هي القصة، التي أخبرها عزرا لوالدي، وهي أخبرتني إياها بدورها، لهذا يجب أن تكون الرواية دقيقة للغاية. لقد وصفت لي كم بدا عزرا محطما بسبب اختفاء ميثلدور، وعن معاناته بسبب عدم قدرته على الوثوق بأحد ليوح له كم كانا يعينان لبعضهما بعضا".

قال إرلندور بتمعن: "كان عزرا يُدرك أن ميثلدور تخطط لهجر يعقوب في الوقت الذي اختفت فيه، ولكن ألم ينتبه أحد إلى أنهما كانا عاشقين؟". "لم ينتبه أحد، لقد أخفيا أمر علاقتهما تماما". "ولم يُخبر عزرا أحدا؟".

"على الإطلاق، بحسب ما قالت لي أمي. لم يكن يريد أن يتلطح اسم ميثلدور من خلال الكشف عن العلاقة التي كانت تجمعهما قبل أن تُصبح في عداد المفقودين، والمخاطرة بأن يتحدث الناس عنها بالسوء. بالنظر إلى الطريقة التي سارت وفقها الأمور، لم يرَ أن علاقتهما من شأن أي أحد. من الممكن أن أحدا ما لاحظ زيارتها إلى منزله وسمع الثرثرة بشأن ادعاء إيغون أن طفلها هو ابن يعقوب. لأنه في الوقت التي تعرضت فيه سمعة يعقوب لتلك الضربة القاصمة، ما كان من المناسب البدء بالحديث عن علاقتهما". "ومع ذلك، طارده الشائعات وخرّبت سمعته؟".

"أجل".

"ماذا بشأن عزرا؟ ما رأيه في هذا؟".

"بدا مقتنعا بأنها ماتت في العاصفة، برأيه لم يكن هناك أي تفسيرٍ آخر".  
"وهل صدقته والدتك؟".

"أجل، لم يكن لديها أي سبب لتشك فيه".

"ولكن ميشلدور أخبرته أن يعقوب غيور للغاية. لا بد أن يكون لدى عزرا شكوك بشأن إفصاحها بكل شيء مما سبب لها مأزقا".

قالت هروند: "هذا ممكن، ولكن إذا كان الأمر على هذا النحو، فهو لم يُخبر أمي. لسبب ما ظن عزرا أن يعقوب لن يؤذيها أبدا. لقد تقبل ما حدث، وحرّزَ على ميشلدور، ولا يزال في حدادٍ عليها حتى يومنا هذا".  
"ما الذي يجعله واثقا من ذلك؟".

"لا أدري، يعقوب هو الشخص الوحيد الذي بإمكانه الكشف عن مصيرها، وبموته ضاع أي أمل بحل هذا اللغز".

"ولكنك لم تقتنعي بتفسير يعقوب".

"ولا لدقيقة واحدة".

عادت أمه من أراضي المستنقعات في حالة من الإرهاق التام. اشتدت العاصفة الثلجية مجدداً، وجلبت معها عتمة مُطلقة، تساقط كثيرٌ من الثلج حتى استحال على فرقة الإنقاذ الاستمرار في البحث، اجتمعوا في باكسيل بانتظار انتهاء العاصفة. زال مفعول المُهدئ الذي أعطاه إياه الطبيب، ولكنه الآن أكثر هدوءاً، ويشغل سريراً في الغرفة التي يتقاسمها مع بيرغور، ولا تزال تتنابه نوبات من القشعريرة والارتجاف، كما لو أنه مُصاب بنزلة برد. اطمأن الطبيب عليه، وفحص يده ليرى آثار قزمة الصقيع، وتحسس جبينه، ثم أوماً برأسه، يبدو أنه راضٍ عن تحسنه، ثم قال إنه سيسترد عافيته قريباً. دخلت أمه، وجلست عند حافة السرير، لا يزال سروالها العازل للماء، وجزمتها ذات الأربطة، ورداؤها السميك مغطاة بالثلج والجليد، والماء يقطر من ملابسها على الأرض. إنها جاهزة لكي تعود للجبال في اللحظة التي يتحسن فيها الطقس، إذ لا يمكنها أن ترتاح، لقد أتت فقط لتزور ابنها زيارة قصيرة قبل أن تُعدّ وجبة لمجموعة الإنقاذ. أرادت أن تشارك معرفتها بالأراضي التي تقع في أعالي باكسيل مع قادة مجموعة الإنقاذ. سألته "كيف حالك يا حبيبي؟". كانت تشع بالحيوية، وبالتصميم والحاسم، ولكنها حاولت أن تبدو هادئة لتتجنب أن تثير انفعاله من جديد. سألتها بدورها: "كيف يسير الأمر؟".

أجابته بسرعة: "بشكل جيد حتى الآن، ولكننا بحاجة إلى استراحة، بعد ذلك سنكون قادرين على مواصلة البحث بضعفي القوة التي لدينا. هل تحدثت مع أبيك؟".

أوماً برأسه. لقد أمضى بعض الوقت في غرفة أبيه، ولكنهما بالكاد تبادلوا كلمة. لاحظ حقيقة أن أبويه لا يتحدثان مطلقاً. بذلت أمه جهداً قليلاً لتشجيع أباه على الخروج من الاكتئاب المُدمر الذي استحوذ عليه. "ستعثرين على بيغي، أليس كذلك؟".

طمأنته والدته: "أجل، سنعثر عليه، ولكنها مسألة وقت، تأكد من ذلك".  
"لا بُد أنه يشعر بالبرد".

قالت له أمه: "لا ينبغي أن نفكر بهذه الطريقة الآن. تذكر أنني سألتك مئات المرات سابقاً، ولكن هل بإمكانك أن تتذكر أي شيء قد يساعدنا؟ هل استطعت أن ترى أية علامات بارزة؟ هل لديك أية فكرة عن الاتجاه الذي كنت تسير فيه؟".

هزّ رأسه نافياً: "لم أر شيئاً بعد أن أضعنا أبي. فقط الثلج. بالكاد استطعت أن أفتح عيني، لا أعرف إذا ما كنت أسير صعوداً أم هبوطاً. في بعض الأحيان، اضطررت لأن أزحف، لم أر أية علامات مُميزة، لم أر أي شيء على الإطلاق".

"يقولون إن المكان الذي عشروا فيه عليك يشير إلى أن الرياح دفعتك بعيداً عن الطريق، يبدو أن العاصفة قد دفعتك إلى مكان أبعد مما نتخيل، كنت في مكان مرتفع للغاية، ولم نعثر عليك إلا مصادفة، بما أننا كُنّا نبحث في مكانٍ أعلى، هل تظن أن بيغي قد ذهب في ذلك الاتجاه؟".

"يُفترض أننا كنا معاً، كنت أمسك بيده طوال الطريق، وفجأة لم يعد بجانبني. صرخت وناديت باسمه طويلاً، ولكنني لم أعد أراه أو أسمع صوته حتى". لقد بذل قصارى جهده كي لا يبكي.

"أعرف هذا يا عزيزي، حمداً لله أننا عثرنا عليك". ثم ضمته بقوة.

قال لها: "أخذ بيغي سيارته الصغيرة معه".



"أية سيارة؟".

"السيارة التي جلبها له أبي".

"السيارة الحمراء الصغيرة؟".

"أجل".

"تلك التي كنت تريدها؟".

"أجابها بسرعة: "لم أكن أريدها".

"لكن أنتما تتشاجران بشأنها".

"طلبت إليه مبادلتها فقط، مقابل بعض الجنود".

"لكنه لم يكن يرغب في ذلك؟".

"لا".

"وكانت معه عندما غادرت المنزل؟".

"أجل".

أوشك أن يخبرها بما قاله لأبيه قبل أن يشرعوا بتلك الرحلة المشؤومة، أراد أن يُفضي لها بمكنونات قلبه، ولكنه لم يستطع، فاكتفى بذكر السيارة، ربما لأنه لا يزال يأمل بالعثور على الجميع بصحة جيدة، والعثور على بيغي وعندها لن يعود أي شيء مهما. كررت أمه على مسمعه: "لا تقلق سنعثر عليه ما إن تهدأ العاصفة، أخبرني أنها أوشكت على الانتهاء، عندها سنكون مستعدين، وسنعثر عليه، هناك أشخاص قادمون للمساعدة، وسننظم أنفسنا بطريقة أفضل، ثق بي سنعثر عليه". أوماً لها برأسه.

"حاول أن تستريح يا حبيبي، نم بقدر ما تستطيع، أنت بحاجة إلى النوم". غادرت وتركته وحيداً مع أفكاره، وبقي يسمع هدير الرياح في أذنيه، وتخيلها تضرب المنزل كما لو أنها ستقتلعه من أساساته، في حين أنه لا يستطيع مبارحة فراشه، ويتخيل نفسه وكأنه انتقل إلى العالم الآخر، قبل أن

يغفو في حالة ما بين النوم واليقظة، وما لبث أن بسط النوم سلطته عليه، وسيطرت عليه الكوابيس.

شاهد نفسه وحيدا في المنزل، غير محمي من الكوارث الطبيعية، وربما هو مُستلقٍ في الخارج على الأرض، تتأرجح الأبواب بشكلٍ طليق حول مفصلاتها، والنوافذ محطمة، وبدا المنزل وكأن الحياة قد غادرته، فقد خلا من أثائه، وألوانه، وخيمّ عليه الظلام، وقد انسابت المياه من الجدران فبدت وكأنها تبكي، وكان داخل المنزل مظلمًا وموحشا وميتا. عندما نظر إلى الأسفل، رأى رجلا مستلقيا على الأرض ينام في كيس للنوم وقد غطت بطانية الكيس، شعر بالرعب يسكن جنبات قلبه، فلم يسبق له أن رأى هذا الرجل. استيقظ هو على صوت صراخه، صرخ بكل ما أوتي من قوة، حتى كادت رثاه أن تنفجرا، وانتفخ وجهه وأصبح قرمزي اللون، أخذ يصرخ ويصرخ كما لو أن نجاته تتوقف على هذا، إلى أن أتت أمه مع الطبيب واستطاعا أن يعطياه حقنة مُهدئ أخرى.

في تلك الأثناء، لم تكن لدى إرلندور أية مشكلة في إيجاد وسيلة نقل تعيده من نيسكابستادور إلى منزل هرونند. وما إن حل المساء، حتى وصل بسيارته إلى المزرعة الخربة. أحضر مزيدا من البطانيات، وشعر بالسعادة عندما رأى مخيمه في غرفة الجلوس القديمة لا يزال جافا. أثار مصباح الغاز، وسرعان ما بدأ يشعر أن الغرفة حوله تصبح أكثر دفئا شيئا فشيئا، دخن سيجارتين وارثشف فنجان قهوة مركزة قبل أن يُحضر الطعام الذي اشتراه في طريق العودة إلى المنزل وتفاجأ عندما اكتشف أنه جائع، فالتهم لحم الضأن ومرقه الدسم مع البطاطا المهروسة وصحن صغير من الجيلاتين، بعد أن أنهى شرب فنجان قهوة ودخن سيجارتين أخريين. وأخذ يقرأ كتابا عن تاريخ الطلاب الأيسلنديين في كوبنهاغن في القرن التاسع عشر. بين الفينة والأخرى، كانت ابتسامة ترسم على شفتيه وفي إحدى المرات قهقهه. بينما كانت عيناه تتبعان الكلمات، عاد بذهنه إلى هرونند ومصير جميع أولئك الذين بقوا أحياء عندما غادر أحبائهم هذا العالم، فجأة ومن دون إنذار، تركوا الناجين يصارعون مشاعر الفاجعة والفقد وحتى مشاعر الذنب.

عندما يختفي أحداً ما، ينصب الاهتمام بأكمله على الشخص المفقود، على ظروف حياته والتفسيرات الممكنة لما حدث، ولكن تفكير إرلندور تعدى ذلك، لقد سبق له أن تحدث عن الأمر مرات عديدة على مدى السنوات مع صديقه ماريون برايم الذي عانى من فقد الأحباء أكثر مما عبر عن ألم هذا الفقدان. عَرَفَ ماريون كيف يستمع، وعرف، ربما أكثر من أي شخصٍ آخر،

معنى خسارة الأحباء. عزا إرلندور ذلك إلى طفولة ماريون وتجربته مع السل، التي أدت به إلى المكوث في المصححات لفترات طويلة في آيسلندا والدنمارك. لطالما أحجم ماريون عن الحديث عن تلك الفترة، ولكن بعد سنوات من تشجيع إرلندور له، أصبح يتحدث عن ذلك بين الحين والآخر، وهذا ما جعله يكوّن صورة عن تلك الفترة: فأصبح يعرف عن المرضى الذين افترشوا الردهات والممرات وهم يسعلون ويصقون دما، والعمليات الجراحية القاسية عندما تنهار الرئة المُصابة فيضطرون لإزالة الأضلاع. كانت تلك الحكايات مصبوغة بإحساس من الأسى الذي رده إلى كونه مرتبطا بخسارة حب ما، بالرغم من أن ماريون لم يذكر شيئا بخصوص هذا.

"ما الذي تعنيه بالضبط؟". سأله ماريون في إحدى المرات عندما حاول أن يشرح ردة فعله.

"أخبرك بوصفي شخصا محترفا، وضابط شرطة، أن هدفي الرئيسي هو أن أكتشف ماذا حدث، من اختفى، ولماذا".

قال له ماريون: "أجل، هذا واضح".  
ثم بدأت أتساءل: ماذا بشأن الآخرين؟  
"الآخرون؟".

"الذين يتركهم الشخص المفقود خلفه".  
"ماذا بشأنهم؟".

"إن الناس الذين أشفق عليهم هم الذين عليهم أن يتحملوا العواقب، أولئك الذين عليهم أن يكابدوا الحزن لبقية حياتهم، أولئك الذين أقلق بشأنهم".

"إن رجال الشرطة ليسوا مسؤولين عن أرواح البشرية إرلندور، ومن أجل هذه وُجد رجال الدين".

"لكنني لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير في هذا".

"وهل تحاول المساعدة؟".

"عندما أستطيع، ولكن هناك القليل جدا مما بوسع المرء أن يفعله".

حدق إرلندور بشروء إلى الخواء المظلم للمنزل، وأنصت إلى عويل الريح. ثم وضع الكتاب جانبا، واستمتع بنوم خالٍ من الأحلام وبدفء مصباح الغاز. جرفت الثلوج عن الطريق الذي يمر بوادي فاجريدالور في الوقت الذي قاد فيه إرلندور سيارته ظهيرة اليوم التالي. ركنَ سيارته خارج دار الرعاية في إيغلستادر، وفكّر في أولئك الذين يتذكرون قصة ميثلدور ويعقوب، معظمهم عجائز للغاية، مثل نينا وعزرا. سرعان ما ستُنسى حكاياتهم، مع حياتهم ومصائرهم، مع أحزانهم ومصائرهم. سيختفون جميعا في صمّ أبدي، وهم مستلقون تحت المرحج الأخضر للمقبرة، حيث لن تزورهم سوى الريح التي تعبت بالعشب. عرفه كغارتان على الفور بالرغم من ضعف نظره، وسأله عما إن عثر على شيء في صندوق والدته. أو ما إرلندور برأسه: لقد اكتشف رسالة مهمة من ميثلدور، وهي تقدم دليلا واعدا.

قال كغارتان: "حسنا، هذا جيد"، بعد أن جلسا معا في الردهة الفارغة. "عدت مجددا، أليس كذلك؟ لا أعرف ما الذي أستطيع أن أقدمه لك. هل قلت إنك تعمل على كتاب؟".

"لا أدري، دافعي الرئيسي هو أنني أريد أن أرضي فضولي. لقد تحدثت إلى مجموعة قليلة من المحليين وكانوا جميعا لطفاء للغاية. من الجيد والغريب في آن أنهم تذكروا كثيرا من التفاصيل".

وافقه كغارتان: "أجل، الناس هنا طيبون، لا أستطيع أن أقول شيئا سيئا عنهم". أو ما إرلندور مجددا برأسه. عندما قاد سيارته وسط الأراضي القطبية فكّر في كيفية طرح موضوع والد كغارتان بلباقة، وتساءل عما إذا كان الرجل

العجوز يعلم نسبه الحقيقي، في النهاية لديه لقب عائلي مختلف، وبلاستناد إلى ما قاله الناس، فإن يعقوب يمكن أن يكون موضوعا محررا للتطرق إليه مع أي أحد، وبالأخص مع الشخص الذي يُفترض أنه ابنه غير الشرعي.

بما أنه شخص غريب ولا تربطه به علاقة شخصية، فلم يكن لدى إرلندور أي حق ليتجول في أرجاء المكان ويستجوب الناس بشأن ما حدث في الماضي، أضف إلى ذلك أنه من الدناءة الحديث معهم وفق ادعاءات كاذبة. أراد أن يعترف: أسمى من استخدام الخداع والوسائل الماكرة عند التعامل مع الأشخاص الشرفاء.

قال إرلندور بعد أن صمت لبعض الوقت: "لست واثقا من أنني أستطيع أن أشرح سبب اهتمامي بموت ميثلدور أو اختفائها على نحوٍ ملائم، أُثير الموضوع حديثا عندما تحدثت مع رجل يُدعى بوااس، ولكن في الواقع فإن انبهارى بقصة ميثلدور ويعقوب وعائلتهما يعود إلى زمنٍ بعيد".

ركز كغارتان عينيه الضعيفتين عليه، وهو حائر بشأن ما يلمح إليه إرلندور. "أنا رجل شرطة من ريكيافيك، وأنا في إجازة هنا، عائلتي تنحدر من هذه المناطق، وسمعت عن ميثلدور للمرة الأولى عندما كنت صبيا صغيرا. لقد فتنتني قصتها، ولكني لا أحاول أن أكشف عن أحد، وما أقوم به ليس تحقيقا للشرطة بأي شكل من الأشكال".

سأله كغارتان: "لماذا لم تخبرني بهذا من قبل؟ لم تأتِ على ذكر هذا، أليس كذلك؟ وإذا قلت هذا فأنا لا أذكره، ظننتك مؤرخا".

ردّ إرلندور: "لا، لست مؤرخا، لكنني رأيت أنه من الأفضل أن تفهم هذا قبل أن نتحدث بأي شيء، إذا كنت راغبا في الحديث".

صمت كغارتان وهو يفكر في كلامه، وانتظره إرلندور بصبر. لم يستطع أن يخمن كيف ستكون ردة فعل الرجل العجوز.

أخيرا تحدث كغارتان: "وجب عليّ أن أتحمّل الكثير بسبب تاريخ عائلتي، ولكنني لا أعتقد أن هذا من شأن الشرطة. سأكون مُمتنا لك إذا اهتممت بأمورك الخاصة". تردد إرلندور، وهو حائر في كيفية السيطرة على الموقف، وتردده هذا جعل الفرصة تنزلق من بين يديه حين أردف كغارتان: "طاب يومك" ووقف.

قاطعته إرلندور بسرعة: "هناك فرصة لأن أعرف ما الذي حل بمثلدور، بمساعدتك أستطيع هذا". كرر كغارتان كلامه: "طاب يومك". وخرج من الردهة مرورا بالرواق باتجاه غرفته. تنهد إرلندور، وهو يشاهد ظهر كغارتان المتراجع. كانت اعتراضات الرجل في مكانها: ليس لدى إرلندور الحق في أن يتطفل على حياته، ولكن بالرغم من هذا لم يستطع أن يترك الأمر ينتهي على هذا النحو. حتى وإن لم يكن كغارتان يخفي أية حقيقة قد تساعد في الكشف عن تفاصيل إضافية حول مصير مثلدور، فإن هناك حقيقة تؤكد أنه خيط مهم في القصة.

أتى أحد أفراد دار الرعاية وسأله عما إن كان يحتاج إلى مساعدة، فأوضح له إرلندور أنه كان مغادرا، مشى عبر الرواق وتجاوز غرفة كغارتان، ترك الرجل العجوز باب غرفته مفتوحا بشكل جزئي. توقف إرلندور في الخارج، وفكّر قليلا في أن يختبر صبر العجوز أكثر، ولكنه في النهاية قرر أن يتركه وشأنه. أتاها صوت كغارتان من الداخل: "أما زلت هنا؟". دفع إرلندور الباب، فرأى كغارتان يجلس على السرير وعيناه على الأرض. قال له: "ليس هناك الكثير لفعله هنا باستثناء الإصغاء إلى صوت الخطوات".

ردّ إرلندور: "سأغادر، أردتك فقط أن تعرف أنني لا أقصد أن أتطفل. لست ذاك الشخص المهووس، ولست هنا بصفة رسمية، أنا ببساطة أبحث عن إجابات. تواصلت مع خالتك هروند".

"حسنا، أنا لا أعرفها".

تباطأ إرلندور عند الباب: "حسنا، سأستدل على الأمر".

سأل كغارتان: "ما الذي تظن أنه حدث لميثلدور؟".

أجاب إرلندور: "لا أدري"، وبدأ يتلمس طريقه بلطفٍ إلى داخل الغرفة.

"ربما ماتت بسبب العوامل الجوية عندما كانت في طريقها إلى رايدارفيديور".

عقب كغارتان: "لم ننسجم أنا وأمي، لذا غادرت المنزل حالما استطعت

الاعتماد على نفسي، أعلم أن هذا يبدو فظا، ولكن هذه هي الحقيقة".

"هل يعود ذلك جزئيا إلى أنك كنت مدركا لهوية والدك؟".

"أجل".

"متى اكتشفت أنه يعقوب؟".

"لماذا تريد أن تعرف؟".

ردّ إرلندور وهو يختار كلماته بعناية: "أحتاج إلى أن أفهم الصورة الكلية،

إن كل شيء يهم وخاصة التفاصيل التي تبدو تافهة".

قال كغارتان: "كنت أعرف منذ أن أصبحتُ في السن الذي يخولني لأن

أفهم، أشعر أنني دائما كنت أعرف. ولكنني رحلت إلى الشرق بعد أن مات

بوقتٍ طويل، لذا لم أقابله أبدا أو أسمع عنه عندما كنت طفلا، أفترض أن أحد

أسباب انتقاله هو أن والديّ اعتادا العيش في الشرق ودائما ما تحدثت أُمي

بشكل حسن عن الناس هنا".

"هل أخبرتك بشأن يعقوب؟".

أوما كغارتان برأسه: "أنكر على الدوام أبوته لي، لا أعرف السبب. ربما

بسبب ماضيه، لطالما تساءلت عن هذا، لا أظن أن أُمي تكذب، لم تكن تعرف

الكثير عنه، بالكاد استطاعت التلفظ باسمه، امتلأت نفسها بالمرارة، وحتى

بالكراهية. ليس هذا موضوعا سارا بالنسبة إليّ، كما يمكنك أن تتصور".



عقب إرلندور: "بإمكاني أن أتفهم ذلك، أنت تنسب نفسك إلى هولدرسون".

"كانت أمي محظوظة للغاية لأنها التقت رجلا محترما كهذا في ريكيفيك، لطالما كان لطيفا معي".

"هل تذكر أن والدتك تواصلت لاحقا مع يعقوب؟".

"لا، مطلقا، هذا غير وارد أبدا. لقد رفضها ورفض طفلها. لا أستطيع لومها".  
"ماذا بشأن ميثلدور؟ لقد كانتا تتراسلان".

"هل فعلتا هذا؟ لم أكن أعرف ذلك، ولكنها كانت يافعة للغاية عندما توفيت".

"لم تعرف بشأن علاقة والدتك مع يعقوب إلى أن كتبت لها رسالة أخبرتها فيها بالقصة كاملة، وقتها كان قد مضى وقت على زواجها بيعقوب، وبشكل طبيعي، ترتبت على الرسالة نتائج، ما الذي قالته أمك عندما اختفت ميثلدور؟ ما الذي حدث برأيها؟".

"هل اكتشفت شيئا جديدا؟".

ردّ إرلندور: "لا، لا شيء".

قال كغارتان وهو يحرق بخواء إلى خفّه الرث المصنوع من اللباد: "لم تكن تعرف أية تفاصيل إضافية عن البقية، وبشكل طبيعي فقد شعرت بالأسى والحزن - أستطيع أن أتذكر ذلك - ولكن بحسب المنطقة التي تعيش فيها في آيسلندا، وقد تقبل الناس ذلك، ذلك كان موقفهم في تلك الأيام، ولا أظنه تغير اليوم".

"كانت هناك شائعات".

"أجل، أعرف، وقد سمعت بعضها عندما أتيت إلى هنا. أليست جزءا من الظاهرة الكلية؟ كل هذه الشرثرة اللامتناهية؟ لم تُلَقِ أمي بالا إليها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أخواتها، وأستطيع أن أخمن أن يعقوب لم يكن... كيف

يجب أن أصيغ ذلك؟... رجلا يمكن الانسجام معه بسهولة. كانت العائلة حزينه لعدم قدرتها على إقامة جنازة لائقة لميثلدور. ذات مرة سمعت أمي تتمنى لو أنهم استطاعوا دفنها".

"ماذا كانت ردة فعل والدتك عندما غرق يعقوب؟"

لم تقل سوى: "مصير جيد". نظر كغارتان إلى وجه إيرلندور.

"بما أننا نتحدث عن ردود الأفعال...."

"أجل؟"

"ذات مرة بحثت عن إحدى شقيقات والدتي التي عاشت هنا. خطرت لي فكرة أنني أريد أن ألتقي بأقاربي".

"هل تقصد هرونند؟"

"أجل، هل تعرفها؟ كانت تلك المرة الأولى والوحيدة التي نلتقي بها. عاملتني ببرودة شديدة. قالت لي إنني لا بُد أن أرث مظهر أبي، ولم تكن كلماتها مجاملة، ادّعت أنها لم تستطع أن تلاحظ أن لدي ما يشبه عائلتها، ثم أخبرتني ألا أزعجها مجددا. أظن أنها كانت تأخذ الشائعات على محمل الجد".

"لن تعرف ذلك أبدا".

"أعلم أن هذا يبدو طفوليا.... ولكنني لطالما تألمت بسبب ذلك".

أطرق إيرلندور مفكرا.

"عثرت على نعي أبيك في الصندوق. ذكر صديقه أشياء جيدة للغاية".

"هل تقصد تلك الورقة المكتوب فيها (ابن الزنا)؟"

"أجل".

ابتسم كغارتان بمرارة: "هذا ما منحني إياه الحياة في البداية". ثم أشاح بوجهه عنه مجددا. "أريدك أن تغادر الآن من فضلك، ورجاء لا تُزعج نفسك بالقدوم مُجددا".

مع ساعات المساء الأولى، غادر إرلندور إيغلستادر. لم يكن يطيق صبرا ليووجه عزرا بادعاءات هروند حول علاقته مع ميثلدور، ولكنه قرر أن الوقت أصبح متأخرا ليزوره، وعزم على أن ينتظر إلى الصباح، كان السؤال الذي يشغل باله هو إن كان يعقوب قد عرف بسرهما، وإذا كان كذلك، فكيف كانت ردة فعله، هل اكتشف السر قبل اختفاء ميثلدور أم كان يجهل ما جرى؟ بعد عدة سنوات أخبر عزرا والدة هروند بقصة علاقتهما، ولكن بعد كثير من الاستعطاف والرجاء. هل أخبر شخصا آخر؟ من كان يعرف أيضا؟ أحس إرلندور بخوفٍ محدد، وظن أنه من غير المحتمل أن يكون عزرا متعاوناً. لكنه يعرف أن رغبته النهمّة في الحصول على الإجابات ستستحوذ على شكوكه. توقف في محطة الوقود في إيسكيفيدور، اشترى شطيرة وسجائر، وملاً الترمس بالقهوة، ثم وبشكلٍ غريزي ترك السيارة في المكان الذي ركنها فيه، وتمشى باتجاه المقبرة التي غالباً ما كان يزورها في رحلاته إلى هذه المنطقة. إنها تقع عند مشارف القرية: واحة من الصمت، يطوقها سور جميل، وهناك طبقة رقيقة من الثلج المعفر على الأرض، ولكن الكتابات المنقوشة لا تزال مقروءة، لطالما احترم بساطة هذا المكان وجماله المتناسق، والجو الخافت المليء بأرواح من غادروا الدنيا.

بعد سنواتٍ عديدة من الرحلة إلى الشرق مع تابوت أبيه، توفيت أمه بعد أن مكثت لفترة قصيرة في المستشفى. كان بجوار سريرها، ولم يتركها أبداً منذ أن تم قبولها في المستشفى. بالكاد تحدثا إلى بعضهما، ولكن عند النهاية

أدركت حضوره وكان ذلك كافيا. لطالما تحدثت عن دفنها بجانب قبر زوجها سفيين، في البقعة التي كانت بانتظارها في إيسكيفيدور. لذا سافر إرلندور مع التابوت وكرر الرحلة الأخيرة لأبيه الراحل، تم نقل جثمان أمه إلى مثواها الأخير بشاحنة، خلال السنوات الفاصلة بين موت والده ووالدته أصبحت الطرقات أفضل حالا، وشاء القدر أن يكون سائق الشاحنة التي نقلت تابوت أمه هو نفسه الذي نقل تابوت أبيه، وكان ثرائارا كسابق عهده.

سأله السائق: "ألم تكن والدتك معك في المرة الأخيرة؟". كان رجلا صفيقا ومستهترا، وجميع أفعاله مصحوبة بأقصى قدر من الضجة والإزعاج. كانوا يحملون التابوت إلى مؤخر الشاحنة عندما أبدى هذه الملاحظة. أجابه إرلندور: "أجل، وهذه المرة أيضا".

"آه؟" بدا السائق محتارا.

أبدى إرلندور صمتا عنيدا إلى أن فهم السائق أخيرا معنى كلامه.

سأله: "أنت تعني...؟". وبدا مُحرجا وغير قادر على إكمال سؤاله. قاد الشاحنة بتعقل أكبر عبر الطرقات الوعرة والمفروشة بالحصى بشكل أكثر مما سبق، وبقي صامتين طوال الطريق تقريبا. كان الكاهن الذي قام بالمراسم في الكنيسة رجلا دمثا. لم يسبق لإرلندور أن قابله أبدا، ولكنهما تحدثا عن المحطات الرئيسة في حياة والدته عبر الهاتف. كان عدد الذين قدموا لتقديم العزاء قليلا، فقط ثلثة من الناس الذين عرفوا أبويه أو أقارب غير مباشرين، لقد كانوا غرباء افتراضيين بالنسبة إلى إرلندور. في النهاية، أنزل التابوت بمراسم بطيئة إلى الحفرة.

كانت أمه قد قالت له: "احرص على أن تعتني بنفسك"، في تلك الأثناء كانت تهذي، وفشلت في التعرف إليه: كانت تلك لحظة قصيرة من الصفاء الذهني.

أوماً إرلندور برأسه.

"أنت لا تعتني بنفسك كما يجب".

أجابها: "لا تقلقي بشأني".

"وداعاً... يا ولدي الحبيب..."

نامت بعد أن خرجت تلك الكلمات من شفيتها، لتستيقظ بعدها مجدداً بفترة قصيرة، لترى إرلندور جالسا إلى جانبها، حاولت أن تبسم، ثم سألته إذا عشر على أخيه.

"عندما تعثر عليه ادفنه إلى جانبنا".

بعد أقل من دقيقة رحلت عن العالم.

مشى بتؤدة عبر المقبرة الصغيرة، تاركا آثار أقدام على الثلج الطري. كانت الشاهدة التي وضعها فوق قبر أبيه من حجر البازلت، وحُفر على وجهها المصقول اسمهما ومجموعة من التواريخ. وفي أسفل الحجر صلاة بسيطة أو دعاء، اعتماداً على رأيك، للرحمة "ارقدا بسلام". لا يزال إرلندور يحتفظ بالصليب القديم الذي انتصب سابقاً فوق قبر والده في ريكيافيك. لم يعرف كيف يتخلص منه، بالرغم من كل السنوات التي مرت فهو لم يستطع أبداً أن يحمل نفسه على أن يفعل هذا. نمت الأشنيات على شاهدة القبر أمامه، واستقرت الطيور هناك، في تلك الأثناء، سادت العواصف الشمالية، وداعت النسمات الجنوبية البازلت الباهت الضبابي. إن الزمن لا يوفر أحداً، هكذا فُكّر إرلندور وهو يمرر يده على الحجر البارد كالجليد. لطالما ربطه الحجر بهذا المكان. كان أن نقل هذا الحجر سابقاً بسيارته من ريكيافيك، وسار على الطرقات غير المُعبدة على طول الطريق إلى الشرق.

استغرقت الرحلة يومين، مع إقامة ليلة في بلدة أكويري الشمالية، وبالنظر إلى رغبته الدائمة في أن يضع شاهدة مشتركة لقبري والديه، فهو لم يُنصب أبداً

أي صليب مؤقت فوق قبر أمه. إن سبب تأخر إقامة الشاهدة المشتركة هو تلكؤه واستغراقه الكثير من الوقت قبل أن يدفعه الذنب أخيرا إلى أن يتصل بنحات الأحجار، لكن هناك سبب لتقصيره.

في أعماقه تهيب العودة، إن إيقاظ مشاعر الحنين لعائلته القديمة مؤلم للغاية. عندما حمل نفسه أخيرا على القيام بالرحلة، كان الأمر كما لو أنه كسر تعويذة، ثم بدأ يزورهم في فترات غير منتظمة، تطول وتقصر، لقد تقبل أنه لن يستطيع أبدا أن يفر من ماضيه. حاول عبر السنوات بلا فائدة أن يسترجع ذكريات حياتهم قبل أن تعصف بهم المأساة.

بعد أن اختفى بيرغور اندثر الماضي، كما لو أن حياتهم لم تبدأ بالفعل حتى تلك الأثناء. امتد الزمن لتصبح الأيام سنينا، بدأت ذكرياته عن الحياة قبل الكارثة بالرجوع بوتيرة مُتسارعة. كان بعضها لمحات سريعة وجد صعوبة في تثبيتها في سياق أو زمن مُحدد، وبعضها الآخر كان أكثر وضوحا. المناسبات مثل الكرسمس: أبوه يعتمر قبعة الكرسمس والشجرة التي زينوها معا، والاستماع إلى المسلسلات الإذاعية في الراديو في أمسيات الشتاء. رحلة القارب إلى جزيرة بابيي، وخوفه من الماء. وفي أيام الصيف، الركوب على الحصان، وأمه تمسك باللجام، حصاد القش، الرجال يشربون القهوة ويدخنون خارج المنزل، وهو يلعب مع بيرغور في القش ذي الرائحة الحلوة في الحظيرة.

استثارت بعض هذه الذكريات فيه إحساسا عميقا بالفقد والخسارة الذي عاوده مرارا وتكرارا. بينما كان يقف أمام قبر أبويه، سمع النغمات البعيدة اللازمة الأغاني الحزينة التي عرف أنها صادرة من كمان أبيه، ورأى أمه تقف عند باب غرفة الجلوس وعيناها نصف مغمضتين. كان يوما صيفيا طويلا، وكانا نائمين على الأريكة، ووجهاهما محمرين، تحركت يد أبيه بإحساسٍ

عالٍ على الكمان. أمالت أمه رأسها فيما كانت تستمع، وتنظر إلى زوجها.

قالت له: "اعزف الآن لحنا مُبهجا".

اعترض على اقتراحها: "الصبيان نائمون".

"يمكنك أن تعزف بهدوء".

غير سرعة الإيقاع، وشرع في أداءٍ صامت مُفعم بحيوية الفالس، أصغت أمه وهي مبتسمةٌ عند الباب، ثم مشت إليه وسحبته من ساقيه، وضع أبوه الكمان جانبا ورقصا معا في الغرفة الهادئة. كان بيرغور غائبا عن هذا العالم، ولكن إرلندور أيقظه كي يشاهدا والديهما خلسة وهما يتبادلان الخطوات بصمتٍ، ويلفان أذرعهما حول بعضهما. كانا يتحدثان همسا كي لا يُزعجا الصبيين، وكتمت أمه ضحكة. لم يكن من الصعب إضحاكها، ورث بيرغور عنها الكثير، كانا متشابهين في كثير من التفاصيل، نفس قسماات الوجه، نفس الابتسامة السمحة. لطالما تمتع بيرغور بمزاج جيد، على عكس أخيه الذي مال إلى الانفعال والنزق والغطرسة والتطلب، ولم يكن من السهل أن يبتسم، وقد ورث عن أبيه المظهر والمزاج. ترافقت هذه الذكرى مع الراححة الصيفية للعشب المقصوص حديثا وموجة الحر الآيسلندية الخانقة. في وقتٍ أبكر من ذلك اليوم، لعب وبيرغور بالقرب من النهر وتمشيا على طول ضفته وغمرا أيديهما في الماء، ليرشا برودته المنعشة على وجهيهما. إنه الصيف الأخير الذي أمضاه أفراد الأسرة الأربعة معا. داعب إرلندور البازيلت الذي بدا عليه تأثير العوامل الجوية جليا، وهبت نسمة رياح جليدية عبر المنحدر واخرقت معطفه المُبطن. ألقى نظرة على الجبال، وشد معطفه أكثر حوله، ليعود مسرعا إلى محطة الوقود. توقعت الأرصاد الجوية هبوطا في درجات الحرارة في شرق آيسلندا، وكانت تلك الريح الشديدة تأكيدا على حلول المنخفض.

"لماذا تستلقي هنا؟".

حدق في الظلام إلى مصدر صوت المسافر الذي كان غائبا في الظلام.

سأله: "أما زلت هنا؟".

أتاه الرد: "ما أزال هنا".

"لماذا؟ ما الذي تريده مني؟".

"سأذهب عندما تذهب".

سأله: "من أين أتيت؟".

أجابه المسافر: "من مكان بعيد للغاية، ولكنني سأعود هذا المساء".



بدأ يستيقظ من نوم عميق، وقد أزعجه صوت سيارة. إنه نهار يوم جديد، شعر بتعب عينيه وبالحيرة، وقد تمكن من الوصول قبيل الفجر. أُغلق الباب بقوة، وسمع الثلج يصر تحت خطواتٍ قادمة، كان الزائر وحيداً، زحف إرلندور خارجاً من كيس النوم، تكوم الثلج في إحدى زوايا الغرفة، وبدأ المكان غير مُهيأ لاستقبال الزوار على نحوٍ بائس.

"هل من أحد في المنزل؟". صاح صوتٌ يمكن تمييزه بسرعة. ظهر وجه بواس خارج النافذة المحطمة.

مكتبة  
t.me/t\_pdf

سأله: "هل أزعجتك؟".  
"لا، على الإطلاق".

قال الصياد وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "جلبت لك بعض القهوة والفظائر الدانماركية، ظننت أنك قد ترحب ببعض الصحبة".  
دعاه إرلندور: "تفضل بالدخول".

علّق بواس: "أنت لطيف للغاية". دخل إلى المنزل الذي لا أبواب له، وانضم إلى إرلندور، إلى حيث ما كان في السابق غرفة جلوس. أحضر معه ترمس قهوة وكيسا ورقيا انبعثت منه رائحة شهية. "أحضرت معي كويين احتياطاً، لم أعلم بالضبط مدى الراحة التي تعيش فيها هنا". أجابه إرلندور: "أستطيع النجاة". وأخذ منه كوب القهوة. أخذ بواس وسائل النوم؛ الأغطية وكيس النوم ومصباح الغاز. كانت أدوات التخيم مُعدة على نحوٍ كافٍ وإن لم تكن مثل جناح في فندق الهيلتون. صنع إرلندور منفضة سجائر كبيرة من

ممخضة للحليب وجدها في المكان، وضعها في إحدى الزوايا، وملاً قعرها بالماء، ورمى أعقاب سجائره فيها، بجوارها هناك كرسي قابل للطّي والقليل من الكتب المكومة على بقعة جافة من الأرض. علق بواس: "أرى أنك جعلت المكان جميلاً وأقرب للبيت. لديك ميل للتشرد، أليس كذلك؟ هل تفكر في أن تصبح متشرداً؟". ابتسم إرلندور وتناول قزمة من المعجنات الدانماركية. كانت القهوة مركزة للغاية وساخنة بشكلٍ حارق، ارتشف منها رشفة بحذر كي لا يحرق لسانه، وشكر بواس: "ليس سيئة للغاية، شكراً على القهوة".

"على الرحب والسعة، هل رأيت أية أشباح؟".

"هناك دائماً البعض منها في المكان".

عقب بواس: "اعتاد الصبية على الادعاء أن هذا المكان مسكون. في الماضي اكتفى الأولاد باللعب في الخارج، وتكونت لديهم قناعة بأن هذا المكان مسكون، كان ذلك منذ سنوات. كانوا يأتون إلى هنا، يشعلون النار ويروون قصص الأشباح. هناك بعض الحماقات أيضاً، إضافة إلى الشرب المحظور على أعمارهم".

ردّ إرلندور: "لقد خربشوا كتابات على الجدران".

"أجل، إشارات العشاق القديمة نفسها. ولكن لم يعد أحد يأتي إلى هنا، على حدّ علمي. بغض النظر عنك".

قال إرلندور: "أجل، وهذا لا يحدث كثيراً".

"بالرغم من أنها بقعة جميلة، هل تفكر في البقاء هنا؟".

"لست متأكداً".

"ألا تشعر بالبرد؟".

"لا، ليس كثيراً".

قال بواس: "سامح فضولي، لا أقصد أن أتطفل. على أية حال، تحدثت بالمسألة التي طلبت إلي أن أنقلها لبعض الصيادين المحليين. تعرف، بشأن جحور الثعالب وأعشاش الغربان التي قد تساعدنا في العثور على أخيك. ولكن لم نصل إلى شيء، يؤسفني أن أقول هذا".

ردّ إرلندور: "لا، لم أتوقع ذلك أيضا، ولكن شكرا لاهتمامك بالموضوع".

سأله بواس: "ماذا بشأن قضيتك، كيف يسير الأمر؟".

"قضيتي؟ أنت تتحدث عن ميثلدور؟".

أوما بواس برأسه.

"إنها بالكاد قضية. لا أعرف ماذا أقول، بالرغم من أنه يبدو أن عزرا قد يكون قادرا على تزويدي ببعض التفاصيل".

عقب بواس: "كيف ذلك؟". بفضول كما كان دائما.

"لديّ انطباع أنه سيكون هناك حديث آخر مع هروند". أجاب إرلندور غير راغب في الإفصاح عن أمور ليس من الضروري قولها. لم تكن لديه أية نية في إثارة موضوع علاقة عزرا مع ميثلدور، بالرغم من أن هناك احتمالا بمعرفة بواس سلفا بشأنها. لكن هذا الأمر يبقى أمرا خصوصيا، ولم يرغب إرلندور في إثارة الشائعات. أضاف: "إنها مجرد فكرة". آملا في أن يعيق قدرة بواس على تحسس الأخبار.

"هل تظن أن هناك شيئا ما مريبا بشأن هذا الأمر؟".

أجابه إرلندور لكي يقلب الطاولة على بواس: "يبدو لي أنك تظن هذا، وإلا لن تكون ردة فعلك بالطريقة التي كانت حول أسئلتني عن ميثلدور. في النهاية، أنت من أرشدني إلى هروند في المقام الأول، عندما قلت لك إنني من الشرطة".

تراجع بواس: "لا أعرف أكثر مما أخبرتك به، أنا فقط أخبرك بالقصة من منظوري، ليست لديّ فكرة عما حدث أو ما لم يحدث".

علّق إيرلندور: "حسنا، إنها حادثة محيرة وهذا كل ما في الأمر؟".

أجاب بواس: "هذا كل ما في الأمر، هل ستقابل عزرا مجددا؟".

أجابه إيرلندور: "لست متأكدا". وقد أصبح متأكدا من أن بواس لم يأت حاملا الهدايا بسبب طيبة قلبه. كان من المسلي بالنسبة إليه أن المزارع العجوز قد ادعى عدم الاهتمام بالقضية، في حين فشل على نحوٍ مُطلق في إخفاء فضوله الشديد.

اقترح عليه بواس: "يمكنني مرافقتك إذا أحببت".

"شكرا لك، ولكنني لا أريد أن أضيع وقتك".

رد بواس في الحال: "لا تقلق بشأن هذا، أنا أعرف العجوز، وربما أتمكن من إقناعه وحثه على الكلام".

عقب إيرلندور: "أشك في أن هذا سينجح، بما أنني قابلته مسبقا. مع كل الاحترام الواجب، على أية حال، إن كنت سأقابلة مجددا".

قال بواس، وهو يستعد للمغادرة: "حسنا، أخبرني إذا كان باستطاعتي المساعدة". بدا جليا أنه لن يحرز أي تقدم مع إيرلندور.

"أكرر شكري على القهوة والمعجنات". رافقه إيرلندور إلى الباب، لكي يبدو للعالم أجمع كما لو أن باكسيل أصبحت موطنه مجددا.

هذه المرة لم يكن هناك صوت قرع من الورشة أسفل منزل عزرا، ولم يفتح أحد الباب عندما قرعه إرلندور. بعد أن طرق على الباب ثلاث مرات، وضع أذنه على الباب، كانت سيارة عزرا موجودة، ومن الواضح أنه لم يغادر منذ زيارته الأخيرة، والثلج أيضا شكل طبقة سميكة على غطاء المحرك وسطح السيارة. هناك آثار أقدام من المنزل إلى السيارة من جهة مقعد السائق ثم إلى الورشة، واستنتج إرلندور أنها لم تكن حديثة العهد.

تجول في الورشة حيث رأى في زيارته السابقة عزرا وهو يطرق السمك المقدد. أرخى الوصلة المفصلية الخشبية للمشبك، ودفع الباب إلى الداخل فأصدر صوت صرير. لم يتغير شيء: هناك الحجر، ومقعد بلا مسند لليدين أو ظهر وكومة من الأسماك غير المُعدة. غصت الورشة بخردة مكومة عبر زمنٍ طويل: أدوات ومعدات للبتنة، مناجل قديمة، محرك لجرار زراعي، أغطية لإطارات السيارات ومصدات صدئة لمركبة قديمة. هناك كومة من الجذوع المنتصبة في إحدى الزوايا، وزوج من بذلات العمل الرثة عُلق على مسامير على الحائط.

اقرب إرلندور من السمك المقدد، وأخذ قطعة سمك صغيرة، ومضغها وهو يفكر بهدوء في أثناء تفحصه الورشة. يبدو أن عزرا لم يغادر المنزل في الساعات الأربعة والعشرين الماضية. عندما وصل إرلندور، لم ير آثارا لعجلات مطاطية من الطريق. حمل المطرقة التي استخدمها عزرا لضرب السمك، ووزنها في يده. أمسك المطرقة، ومشى عائدا إلى المنزل، طرق الباب

مجددا... ما من إجابة. كان مقفلا عندما حاول أن يفتحه، وتذكر أنه كان مفتوحا من قبل. هزّ المقبض، وأيقن أن الرجل العجوز في الداخل.

نادى باسم عزرا عبر النافذة، ومجددا من دون فائدة. تردد صوت تغريد العصفير التي تجمعت حول المنزل، عاد إلى باب المنزل الأمامي، كان النصف العلوي منه مكوّنا من مربعات زجاجية صغيرة، مغطاة من الداخل بستارة. أو شك إرلندور على رفع المطرقة ليكسر أقرب مربع زجاجي للقفل عندما فُتح الباب وظهر عزرا.

صاح عزرا وهو يحدق إلى إرلندور: "ما الذي تفعله بهذه المطرقة بحق الجحيم؟".

"أنا....". لم يستطع إرلندور أن يكمل جملته. لقد كان الاستقبال العدائي مناقضا لاستقبال المرة السابقة.

صاح الرجل العجوز بغضب: "ماذا تريد؟".

"أردت التحدث إليك".

"ماذا ستفعل بهذه المطرقة؟ لم تكن تفكر في اقتحام المكان أليس كذلك؟".  
"توقعت أنك في المنزل، وخشيت أن تكون قد تعرضت إلى حادث، هل أنت بخير؟".

أجابه عزرا: "شكرا لاهتمامك، ولكن من الواضح أنني بخير، والآن انصرف ودعني وشأني".

"لماذا أنت....".

أغلق عزرا الباب في وجه إرلندور، واهتمت قطع الزجاج الصغيرة. وقف إرلندور بهدوء، وهو لا يزال يحمل المطرقة. استدار ومشى باتجاه الورشة، ووضع المطرقة على طاولة العمل، لم يكذب على عزرا، بحسب خبرته في الشرطة والحادثة التي وقعت مؤخرا مع هرونند، فهو يعلم أن العجائز قد

يصابون بجميع أنواع الوعكات الصحية من دون أي سابق إنذار. مجدداً، ألقى نظرة فاحصة على الورشة، ولاحظ وجود زوج من المزالج الخشبية البالية مع أحزمة جلدية ودعامات خيزران طويلة، لم يشاهد مثله منذ سنوات، ولا بد أنه قديم للغاية، مرريده وهو ينظر إليه بإعجاب. صدر صوت جلبة من جهة الباب، وظهر عزرا بتعبير قبيح على وجهه وهو يحمل بندقية صيد بيده ويوجه فوهتها نحو الأرض. هذه المرة ارتدى عزرا ثياباً مختلفة، مع خفين في قدميه، وسترة وسروال مثبت بحمالات ضيقة.

قال له: "اغرب عن وجهي".

"لا تكن أحمق".

كرر عزرا: "اذهب". ورفع البندقية.

"ما الذي حدث؟ مِم أنت خائف؟".

"اغرب عن وجهي، أنت تنتهك ممتلكاتي".

سأله إرلندور: "مع من كنت تتحدث؟ ما الذي تغير؟ ظننت أنه بإمكاننا

أن نتحدث".

"اتصلت بي نينا، وحذرتني من تطفلك، لا أريدك أن تدس أنفك في شؤوني".

ردّ إرلندور: "هذا مُنصف، أستطيع أن أتفهم ذلك".

"جيد، الآن بإمكانك أن تنصرف وتعود إلى ريكيا فيك".

"ألا تريد أن تعثر عليها؟ ألا يساورك الفضول حتى لكي تعرف مصيرها؟

بشأن ما حدث فعلاً؟".

صاح عزرا بغضب: "دعني وشأني، توقف عن التطفل واغرب عن

وجهي!".

"أخبرني بشيء أولاً، هل كان يعقوب يعرف بشأنكما؟".

صاح عزرا: "بالله عليك! ألا تستسلم؟ استسلم وانصرف!".

ورفع بندقيته وصوّب على إرلندور.

قال إرلندور: "حسنا، تمالك نفسك، لا تصعب الأمور عليك. سأغادر. ولكنك تعلم أنني سأبلغ عن هذا، ليس بإمكانك أن تلوح بالأسلحة في وجوه الناس. سأحدث مع الشرطة في إيسكيفيدور. سيأتون ويصادرون البندقية، وقد يتصلون بوحدة الأسلحة النارية في ريكيافيك الذين سيسارعون إلى هنا. الشيء التالي الذي سيحدث هو أن مندوبي الصحافة سيمضون يوما ميدانيا، ستجد أخبارك في جميع نشرات الأخبار في الساعة مساءً".

رد عزرا: "من تحسب نفسك بحق الجحيم؟". لكن نبرة صوته أصبحت أخفض، وقد استحوذ عليه الشك والذهول من الرجل الواقف في ورشته، جراته وقحة، يعبث بمزاجه ويهدد.

كرر: "من تحسب نفسك بحق الجحيم؟".

لم يُجبه إرلندور.

"أنا أحذرك، لن أتردد أبدا في استعمالها". ولوح مهددا بالبندقية. "أنا أعني ما أقول، لن أتردد!".

وقف إرلندور من دون أن يتحرك، وراقب الرجل العجوز.

صاح عزرا: "ألا يهملك إن بقيت على قيد الحياة أو قُتلت؟".

"لو كنت تظن أن إطلاق النار عليّ سيحل الأمر، فما كنت لتتردد، لماذا لا تدخل إلى المنزل قبل أن يصيبك البرد؟ ليس جيدا لصحتك أن تقف في الخارج وأنت ترتدي مثل هذه الثياب".

غض عزرا نظره عن إرلندور، ولم يبذُ أنه مستعد للاستسلام.

"ما الذي تظن بحق الجحيم أنك تعرفه عني؟ إلى ماذا تلمح؟ أنت لا تعرف شيئا. أنت لا تفهم شيئا. أريدك أن تذهب. لا أريد التحدث إليك، ألا تستطيع أن تستوعب ذلك؟".



"أخبرني عن ميثلدور".

"ما من شيء لأخبرك بشأنه، أخبرتك نينا بمجموعة أكاذيب، لا تصغي إلى أية كلمة مما أخبرتك إياه".

"تحدثت إلى هرونند. أخبرتني عما قلته لوالدتها، أعلم بشأن علاقتك مع ميثلدور، أعلم أنك خنت يعقوب".

ردد عزر بازدرء: "خنت يعقوب!". انخفضت البندقية قليلا. كرر ثانية:

"خنت يعقوب، أنت تتكلم كما لو أنه كان الطرف المظلوم".  
"هذا ما أعرفه".

"المشكلة أنك تظن أنك تعرف ولكنك بخلاف ذلك".

"حسنا، تحدث ودعني أعرف عن يعقوب".

"ليس لديّ ما أقوله لك".

"أنت أخبرت والدة ميثلدور بكل شيء".

"أخبرتها بشكل سري. لقد توصلت إليّ، لم تتوقف عن القدوم إليّ، لم أقصد أن يشيع الأمر أبدا. لقد وعدتني بأنها لن تُخبر أحدا".

"كيف اكتشفت الأمر؟".

"بشأني؟"

"بشأنك أنت وابتها؟".

"ذكرت لها ميثلدور بشكلٍ عابر أننا صديقان على نحوٍ جيد، وهي استنتجت وحدها".

"إذا كان في الأمر أي عزاءٍ لك، لا أصدق أنها أخبرت أحدا باستثناء ابنتها.

أظن أن الأمر توقف عند هرونند".

"من الأفضل أن يبقى الوضع هكذا".

"هل أنت متأكد؟ لقد مضى زمنٌ طويلٌ".

فجأة قال عزرا: "الثرثرة اللعينة، ماذا قالوا بشأن يعقوب؟".

"لا شيء على وجه التحديد".

"ثرثرة وشائعات!".

سأله إيرلندور: "ماذا بشأن يعقوب؟" وهو يتحسس منقذا ليجعل الموقف لصالحه. "أي نوع من الرجال كان؟ هل انخرطت أنت وزوجته في علاقة؟ لقد أخفت والدة ميثلدور قصتكما على أية حال، أليس صحيحا؟".

صاح عزرا: "صحيح؟ بالطبع، هل ستحور الأمور على هذا النحو؟ هل ستجعلني كاذبا؟".

"لماذا لم تخبرني؟".

"هل تلمح إلى أنني كذبت على والدة ميثلدور؟".

"أنا أسألك، هل لك يدٌ في اختفائها؟".

"أنا؟!".

"هل سؤالي في غير محله؟ كنت تراها سرا، وكانت هي متزوجة من صديقك".

"الآن، انظر إليّ...".

"لماذا لا تشرح لي الأمر يا عزرا؟".

سأله عزرا بغضب: "حسنا، تريد أن تعرف كيف خدعنا يعقوب؟ تريد أن تعرف كيف خدعنا الأحمق المسكين؟ تعال معي، سأروي لك كيف خدعنا يعقوب. ثم ستصرف وتتركني بسلام".

لم تتعد قبضة عزرا عن البندقية، لكنه وضعها على ركبتيه، وجلس قبالة إيرلندور في المطبخ، وأبقى إصبعه على الزناد، مرر يده على الماسورة عندما كان يسرد روايته بصوتٍ خفيض. وجد صعوبة في توصيف القصة، ربما لأنه لم يتحدث بشأنها منذ عقود، وكان مُتردداً بالقيام بهذا الآن، ربما لأنه لم يتجاوز ما جرى حتى الآن، بالرغم من أن زمنا طويلا قد مر، كانت الرواية واضحة للغاية، كل تفصيل وكل محادثة وكل حوار، كما لو أنها حدثت للتو. تخللت حكايته فترات صمتٍ طويلة، وحرص إيرلندور على ألا يقاطعه. ببطء، وبألم، بدأت القصة تتشكل. لم يكن يريد عزرا أن يستعجل، وكان إيرلندور راضيا بأن يتركه يملي الوتيرة وإيقاع الحديث.

أكد الرجل معظم ما عرفته هروند من أمها عن الكيفية التي بدأت بها العلاقة. كانت الرسالة هي نقطة التحول، بدأت تظهر الشروخ في زواج ميثلدور. قال عزرا: "كان يعقوب صديقا لي، لا أذكر أنني قلت هذا لك مُسبقا، ولا أعلم مدى معرفتك بما جرى. التقيت به في دغويغدور بعد فترة قصيرة من انتقالي من هنا إلى فيوردس. ساعدني في أثناء موسمي الأول، كنت الفتى الجديد في مكان غريب، وقد تابعت معه على نحوٍ جيد. بحسب ما أعرفه فقد أحبه الناس الآخرون أيضا. لم يتميز في الحقيقة عن الجميع، وإن كان محبوبا من قبل السيدات. لا أدري كيف أصف ذلك. لقد كان له أسلوبه مع النساء".

"ربما هذا يفسر سمعته السيئة".

"حتى وإن كانت السيدات متزوجاتٍ، لم يكن يقيم اعتبارا لذلك، في إحدى المرات شاهدته يخوض شجارا بسبب هذا".

"هل يختلف هذا بشيء عن علاقتك مع ميثلدور؟".

أجاب عزرا بحدة: "لم أكن مثله على الإطلاق. ما من مجال للمقارنة".

"هل تتذكر شقيقة ميثلدور؛ إيغون من الوقت الذي قضيته في دغويغدور؟".

أجاب عزرا: "لا على الإطلاق. سألتني ميثلدور ذلك أيضا. أرثني صورة

لها. أخبرتها أن يعقوب كان محبوبا من قبل النساء، انتقلت إلى إيسكيفيدور

قبل أن ينتقل هو بوقتٍ طويل. عندما أتى إلى إيسكيفيدور كان قد التقى

بميثلدور. عملنا معا على قارب الصيد نفسه وهكذا التقيت بها، بعد أن

تزوجا. اعتدت أن أزورهما لاصطحب يعقوب باكرا في الصباح. وهكذا

تعرفت إلى ميثلدور".

قال إيرلندور: "حاول العديد من الأشخاص أن يصفوا لي يعقوب،

ولكنني لم أستطع أن أفهمه، أخبرني أحدهم أنه كان يعاني من رهاب الأماكن

المغلقة. هل يذكرك هذا بشيء؟".

"حسنا، كل ما أعرفه كانت قد أخبرتني به ميثلدور؛ وهو أنه لم يكن

يستطيع النوم إذا كان باب غرفة النوم مقفلا، كان يتركه مفتوحا دائما وينام في

الجانب الأقرب من الباب".

استطرد إيرلندور: "لا بد أن ميثلدور أُصيبت بصدمة كبيرة عندما عرفت

بأمر علاقته مع شقيقتها".

أصبح عزرا أكثر هدوءا بشكلٍ ملحوظ، ولكن قبضته ظلت محكمة على

البندقية، وتبخر تحديه إلى حد كبير، كما لو أنه تصالح مع فكرة عدم التخلص

من إيرلندور.

تنهد عزرا: "يا لها من فتاة مسكينة!".

"بوسع المرء أن يتعاطف مع مآزقها".

قال عزرا بهدوء: "يتعاطف معها؟!"، كما لو أنه يكلم نفسه. "كيف بإمكانك أن تبدأ بفهم ما حدث؟ ليست لديك أدنى فكرة عما أنت بصدده".  
لم يقل إرلندور أي شيء.

كرر عزرا: "ليست لديك فكرة".

مضى أكثر من شهرين على اختفاء ميثلدور، وفشل البحث في العثور على أي أثرٍ لها. نال الأسى والحزن من عزرا منذ اللحظة التي أخبره فيها يعقوب أنها كانت في الخارج عندما هبت العاصفة، ولكنه كان معزولا في حسرته، لم يكن بوسعه أن يشاركه سره، فكّر في الحديث مع الكاهن، ولكنه لم يكن متدينا أبدا، وكان الكاهن المحلي رجلا غريبا. لذا بقي في منزله وبكاها في صمت. أتى الحزن على مراحل، وتخللته مشاعر من الغضب والخوف والعجز، وإحساس مُحير بأنه أصبح بلا هدف، ولكن الأسوأ بينها كان نوبات تبادل الاتهامات التي لم يستطع أن يلوم أحدا فيها باستثناء نفسه. كان عليه أن يعتني بها على نحوٍ أفضل، كان عليه أن يكون موجودا لينقذها من مصيرها. ما الدور الذي أداه في موتها؟ لقد استدرجها وأغواها لتبتعد عن زوجها. أهذا هو السبب الذي دفعها للخروج من المنزل في أثناء العاصفة؟ لقد عذبه إحساس الذنب، وإن كان قد حاول أن يخفف من ندمه من خلال إقناع نفسه بأنه لم يكن بوسعه أن يفعل شيئا لينقذها، كانت ستخرج في تلك الرحلة المشؤومة مهما يكن، ربما كان مُقدرا لها أن تموت بتلك الطريقة. ولكن لا! لا بُد أن رحلتها ذات صلة بعلاقتهما، بحبهما المحرم، بكل تلك السرية والاحتيايل. لماذا، لماذا لم يعترفا في الحال ويرحلا معا؟

كان يعقوب الشخص الوحيد الذي يمكنه الإجابة عن تساؤلاته، ولكنه لم يستطع أن يستجمع شجاعته ليحاول معه، وذلك خوفا على حياته، لم يكن

يثق بنفسه، ربما كان يخشى أن يسمع الحقيقة. كان الوقت في آذار، بدأ النهار يزداد طولاً، ورائحة الربيع مُفعمَةٌ في الجو. أخيراً التقيا، حتى ذلك الوقت، تجنب عزرا أي اتصال مع يعقوب، كان في حدادٍ على ميثلدور، ولم يكف عن التفكير فيها طوال الوقت، لم يكف عن التفكير في تلك الساعات القليلة التي تشاركاها معاً، كانا يخططان لمستقبلهما، وفكرا في الانتقال إلى مكانٍ آخر، ربما لأنه من المحال البقاء والعيش بالقرب من يعقوب.

لم ينتبه عزرا للسؤال. كانت أفكاره في مكان بعيد للغاية، يستعيد ذكريات ذلك اللقاء المشؤوم في المقبرة مع يعقوب وكل ما حصل بعد ذلك، لم يكن هناك مناص من هذه المواجهة، بالرغم من أن المصادفة هي التي اختارت الزمن والمكان. بدا ذلك اليوم مُهددا ومتوعدا، لا مفر منه كأنه الموت. توقف عزرا عن الكلام في منتصف الجملة. جال القط في المطبخ، وحدث بشك إلى إيرلندور قبل أن يقرر أنه من الأمان أن يصعد إلى سلتة. كرر إيرلندور سؤاله ثلاث مرات، قبل أن يكافئه عزرا أخيرا بردة فعل. أفاق عزرا من أحلام يقظته وقال: "ما الذي قتلته؟".

أجابه إيرلندور: "ما الذي حدث بعد ذلك؟".

"دعاني إلى منزله".

"هل ليبت الدعوة؟".

لم يجبه عزرا. كرر إيرلندور سؤاله: "هل ليبت الدعوة؟".

استأنف عزرا أخيرا كلامه: "كانت هناك نبرة قبيحة في صوته عندما

دعاني. ولكن في النهاية يعقوب رجل دنيء وخسيس".

أخرج يعقوب علبة سجائره وقدمها لعزرا الذي رفضها. سأله يعقوب:

"أما زلت لا تدخن؟".

أجاب عزرا وهو يحاول الابتسام: "لم أتعلق بالتدخين أبدا".

"أشترى السجائر الإنجليزية، ماركة بال مال، سجائر جيدة لعينة. توفي

ستياني، أتوقع أنك تعرف".

"أجل سمعت بهذا. الجنازة غدا، أليس كذلك؟".

"أجل، يجب أن أنهي عملي هنا بحلول ذلك الوقت. من حسن الحظ أن الطقس جيد".

حدق عزرا باتجاه الشمس: "حسنا، من الأفضل أن أغادر". واستدار بنية متابعة طريقه.

علّق يعقوب: "كان أكثر حظا من محبوبتي ميثلدور". تجمد عزرا: "ما الذي قلته؟".

"سُعدت بلقائك"، قالها يعقوب بنبرة طرد، ولكن عزرا لم يتحرك.  
"ما الذي قلته بشأن ميثلدور؟".

لم تكن كلماته هي ما جعل عزرا يتوقف، إنها عادية، ليست ذات أهمية خاصة. لدى يعقوب كامل الحق في التعبير عن عواطفه. ولكن النبوة التي قيلت بها هي ما جعلت أذني عزرا تنتصبان. لم يكن من الصعوبة بمكان تفسير معناها، ربما كان متيقظا لكل تعبير مجازي بخصوص ميثلدور، وخاصة أن يعقوب معنيّ بالأمر. لم يكن هناك سؤال، لم يحاول يعقوب حتى أن يخفي الأمر. كانت نبرته اتهامية.

استأنف يعقوب بنفس النبوة: "هناك الكثير مما أريد أن أزيحه عن صدري بشأن ميثلدور، كنت أرغب في الحديث معك من قبل، لكن لديّ شعور بأنك كنت تتجنبني".

اعترض عزرا بسرعة: "لا، ليس كذلك"، ربما اعترض بسرعة أكثر من اللازم. تساءل في قرارة نفسه عما إذا انتبه يعقوب إلى انفعاله، وتسارعت دقات قلبه. "حسنا، بدا الأمر على ذلك النحو. كل تلك الأوقات التي كنت فيها مريضا. ثم تركت العمل في القارب فجأة، وحصلت على عمل في البر. كما لو أنني كنت أضايقك، كما لو أننا لم نعد صديقين". هل كان يعقوب



يقلب الطاولة عمدا عليه؟ عزرا هو من أخطأ بحق يعقوب؛ هو وميثلدور أخفيا أمر علاقتهما عن يعقوب، خان صداقته وثقته. ربما كان الابتعاد عن يعقوب خطأ. من الواضح أنه كان يتجنب يعقوب. لم يتواصل أبدا مع صديقه ويعرض عليه دعمه ومساعدته بعد أن فُقدت ميثلدور. لقد اختفى ببساطة من حياة يعقوب، كما اختفت زوجته. بعد الإمعان في التفكير، لا بُد أن هذا السلوك قد أثار الشكوك.

قال يعقوب "حسنا، من الجيد معرفة هذا".

سأله عزرا: "ما الذي كنت تريد أن تقوله بشأن ميثلدور؟".  
"أعد ما قلته".

"قلت إن هناك أمورا كثيرة تريد أن تزيحها عن صدرك".

أجاب يعقوب: "هذا صحيح، كنت أفكر في إقامة حفل تأبين، أو، حسنا، لا يمكن أن نسميه تأبينا، يجب أن يتم اعتبارها متوفية رسميا. ويمكن أن يستغرق ذلك زمنا طويلا. عليهم أن يتأكدوا تماما في ظروف كهذه، أتفهمني؟ ولكن لن يُعثر عليها، ليس بعد هذه المدة الطويلة".

اعترض عزرا: "ليس من المستحيل العثور عليها، ربما عندما يذوب الثلج".

"هناك مسألة أخرى لم أُطلع أحدا بشأنها. لا أعلم القدر الذي يجب أن أفصح عنه. إنه... إن الأمر محرج قليلا. حقيقة لا أعرف كيف أصفه أو إلى من أتحدث عنه، إن الأشخاص الذين أثق بهم قلائل للغاية".  
"ما الأمر؟".

أجاب يعقوب: "إنه بشأن ميثلدور، كانت منعزلة على نفسها قبل أن تختفي".

"منعزلة على نفسها؟!".

"أجل، والسبب يعود في جزء منه إلى أمور شخصية. أنت تعرف، تلك المشاكل التي تظهر فجأة في الزواج. ربما ستفهم ذلك، إذا قُدر لك أن تكون لك امرأة يا عزرا".

مُجددا، رصد عزرا تلك النعمة، وانتقاء الكلمات: "امرأة ملكك".

استأنف يعقوب: "وهناك أسباب أخرى أيضا". تبع كلماته توقفٌ طويل.

أخيرا، سأله عزرا: "ما الذي تعنيه بأسباب أخرى؟". عندما بدا أن يعقوب

لا ينوي الاستمرار في الكلام.

"ليس لديّ أي دليل ملموس، ولكن لا أفترض أن الرجال الذين في مكاني لن يتصرفوا إلى أن يكون الدليل محشورا تحت أنوفهم. تماما أسفل أنوفهم، هل تدرك ما أعنيه؟".

"رجال في مكانك؟".

"أزواج مخدوعون يا عزرا، أنا أتكلم على الأزواج المخدوعين. هل تدرك

ما يعني ذلك؟ أن تكون زوجا مخدوعا؟". بدا عزرا واجما. نقر يعقوب سيجارته.

"ذلك يعني أن يعاشر أحدهم زوجتك من دون علمك. قد يكون أشخاص آخرون

مدركين لذلك، ولكن أنت، لا، أنت جاهل تماما بذلك. ثم تقرر زوجتك في أحد

الأيام أن ترحل، بهذه البساطة، كما لو أن هذا ليس من شأن زوجها اللعين".

حاول عزرا أن يُخفي اضطرابه، ولكن لم تكن لديه أية فكرة فيما إذا نجح

في ذلك. أراد أن يهرب، ولكنه لم يكن واثقا في قدرة قدميه على حمله،

تحولت ركبته إلى هلاميتين، لم يكن مستعدا لخوض هذا النقاش، ولم

يستطع أن يفكر في كيفية الاستجابة لذلك.

"هل تقول إن ميثلدور...؟". لم يستطع عزرا أن يُنهي جملته.

"لديّ شكوك، هذا كل ما في الأمر، إنها تسيطر على ذهني، ولكنني لن

أعرف الحقيقة أبدا. ليس بعد ما حدث، ليس الآن". رمى يعقوب عقب

سيجارته أسفل قدميه، وتابع: "لا، بالتأكيد لن يُعثر عليها الآن". قال هذا وعيناه مُثبتتان على عزرا الذي استشف مجددا اللوم في نظرة يعقوب، وفي كلماته وفي سلوكه بشكل عام.

استأنف يعقوب: "زرني في المنزل، هناك شيء ما ربما تعرفه".  
"ما هو؟".

ردّ يعقوب: "زرني، عليّ أن أنهي واجباتي هنا، سيكون لنا حديث. عادة ما أكون وحيدا في المساء". تأرجح عزرا في كرسيه. بدا عليه الغضب مُجددا. مازالت الذكرى محفورة بشدة. لقد تذكر كل كلمة قالها يعقوب.  
"لم أكن أعرف ما الذي عليّ قوله، لم أُرِد الذهب ورؤيته، ولكن بالطبع لم أستطع الإقرار بهذا، لهذا تسللت وذيلي بين قدمي".

راقب إرلندور الرجل العجوز فحسب، لاحظ كم كانت الذكريات تخنقه، كم كان من القاسي عليه أن يعيشها مجددا، قد تكون تاريخا قديما، ولكنها شكلت حياته، ربما أكثر مما يتصور. تطلب الأمر رجلا غريبا، مراقبا مستقلا، ليدرك التأثير المدمر لتلك الأحداث القديمة.

سأله إرلندور في النهاية: "ألم تجد أن هذه المحادثة كانت غريبة بعض الشيء؟".

أجاب عزرا: "أجل في البداية. كنت مرتبكا. ولكن تبين لي لاحقا أنه من المؤكد أنه يعرف، لا بُد أنه يعرف بشأني أنا وميثلدور، لقد ألقى بكل تلك التلميحات، لأنه كان يعرف كل شيء يجب معرفته. لأنها أخبرته!"  
"هل قابلته مجددا؟".

"أجل". أجاب عزرا كما لو أنه يتحدث إلى نفسه. "في النهاية، ذهبت لرؤيته، وعرفت الحقيقة كاملة".

لقد عذب الخوف والشك والقلق عزرا منذ أن عصفت به اختفاء ميثلدور بقسوةٍ مُتجددة في الأيام التي تلت محادثته الغريبة مع يعقوب. عاجلا أم آجلا عليه أن يذهب ويواجهه. هناك سر قذر غير معلن بينهما، وعليه أن يواجهه مهما بدت هذه الفكرة مرعبة بالنسبة إليه. كان عدم اليقين من مدى معرفة يعقوب قد عذبه، منذ أن اختفت ميثلدور في كانون الثاني الفائت. ليس هناك من طريقة لمعرفة ما قالت له ليعقوب إلا بسؤاله مباشرة. ربما لم يكن يعرف شيئا، وربما يعرف كل شيء.

كانت أقصى مخاوف عزرا أن تكون علاقته بميثلدور هي السبب في خروجها إلى العاصفة بعد أن أدى ذلك إلى شجار. لازمته هذه الفكرة منذ أن اختفت ميثلدور في العاصفة. عزم عزرا ثلاث مرات على الذهاب إلى منزل يعقوب، وفي كل مرة كان يتراجع ويعود أدراجه. لقد أزعجه سلوك الرجل وأنذره. تجول عزرا من دون توقف حول منزله، وهو يفكر في السبب الذي دفع يعقوب لأن يتحدث معه بتلك النبرة، لماذا تحدث بشأن الأزواج المخدوعين، وأصر على شرح معنى الكلمة، كما لو أنه يسخر منه؟ في إحدى الأمسيات اعتزم على اتخاذ القرار الصعب؛ تمشى نزولا عبر التلة، كما اعتاد أن يفعل كل صباح عندما يلتقي بيعقوب ليعمل معه. في ذلك الوقت، بالرغم من خجله وقلة خبرته، فقد نفسه أمام ميثلدور. كان مسرورا ومندهشا من ردة فعلها. لقد جعلت تحسسه الخجل سهلا للغاية حتى بدا أن حبهما كان طبيعيا ومحتوما. لم يمر يوم من دون أن يتذكر ابتسامتها، وحركة يدها، ونظرة عينيها، ومشيتها، وصوت ضحكتها.

لقد افتقدتها بشدة وبكى على مصيرها - على قدرهما كليهما - خلال الليالي الطويلة الوحيدة. رأى المصباح مُنارا في غرفة جلوس يعقوب، وقرع باب بيته. أصبحت الريح باردة، وهبت رياحٌ جافة شديدة على القرية من الشمال. طرق الباب مُجددا ففتحه.

رحّب به يعقوب ودعاه للدخول: "أهلا يا صديقي، كنت أتوقع قدومك". فاجأته كلمة "صديقي" التي تبين أنها قيلت لكي تبدو مزيفة. أرشده يعقوب إلى غرفة الجلوس، وأمسك بقنينة خمر برينيفين فور جلوسهما وملاً قدهين، وشرب قدحه دفعة واحدة، وأعاد ملاءه مجددا. من الجليّ أنه كان يشرب، وتذكر كيف يمكن أن يصبح بغیضا وعدائيا. شرب عزرا باعتدال، وعلى الفور ندم على قراره بالقدوم. كان عليه أن يختار توقيتا آخر من اليوم، عندما يكون من غير المحتمل أن يُسرف يعقوب في الشرب. عندما ألقى نظرة حوله، لاحظ أن حالة المنزل كانت مزرية للغاية أكثر مما كانت في السابق، كانت الملابس القذرة مبعثرة في الغرفة، وهناك بقايا طعام وأوانٍ غير مُنظفة.

قال يعقوب مرحّبا: "من الجيد رؤيتك".

سأله عزرا: "كيف أصبحت الآن؟".

رد يعقوب: "سيئا للغاية، أنا في حالة يرثى لها، دعني أخبرك يا عزرا، أنه لم يعد في الحياة بهجة أبدا".

"يمكنني أن أتصور أنك اخترت وقتا صعبا للغاية".

"صعب؟ لا يمكنك أن تتخيل حتى مدى صعوبته يا عزرا. صعب لدرجة لعينة. دعني أخبرك يا عزرا، دعني أخبرك، هذا ليس وقتا مناسباً للضحك والمرح، أن تخسر زوجة محبوبه مثل ميشلدور".

"أعتذر، إن أتيت في وقتٍ غير مناسب. ربما عليّ العودة في وقتٍ لاحق،

عليّ..."

"ماذا؟ ستغادر الآن؟ استرح واشرب. لم أكن أفعل أي شيء، فقط جلست أستمع إلى الراديو. لم تأتِ في وقت غير مناسب". بقي عزرا صامتا. عقّب يعقوب: "لست ثملا، أنا فقط أشعر بالوحدة". أيّده عزرا. "بالطبع".

استجمع يعقوب شتات نفسه، وشد كتفيه وبدأ بالكلام، وهو ينتقي كلماته بعناية. "أنا متفاجئ قليلا بأنك أردت القدوم إلى هنا لرؤيتي". كان عزرا مُتيقظا: "أردت؟ أردت أن أقدم لك تعازي-" "حقا؟ يا له من لطفٍ منك". "أردت أن أعرف كيف حالك، وكيف تتكيف مع ما جرى". "ولكن هذا ليس كل شيء، أليس كذلك؟". "أنا...".

"أنت تشعر بالفضول تجاه مصير ميثلدور، أليس كذلك؟". "بشأن ميثلدور؟".

"لا تدّعي أنك مغفل".

"لم أكن لأحلم -"

"هل تظن أنني لا أعرف؟".

"تعرف ماذا؟".

"عزرا هل تظن أنني لم أعرف بشأنك أنت وميثلدور؟".

أصبح يعقوب مُتزننا فجأة. تعابير وجهه قاسية ولا ترحم مع فظاظة استثنائية ومن دون سابق إنذار، تأكدت الآن مخاوف عزرا. لقد كان يتخوف من هذه اللحظة، ولكن الآن وعندما ظهرت الحقيقة، أحس بشيء من الارتياح. قال عزرا: "أردنا الحديث معك، لهذا السبب أنا هنا، لم نكن نريد أن نجرحك. لقد حدث الأمر من دون قصد".

ردد يعقوب: "لم تريد أن تجرحاني؟ لم تريد أن تجرحاني؟".

"قررنا أن نخبرك".

"ولكنكما لم تفعلًا".

"لا، كانت ميشلدور تخطط لذلك". أدرك عزرا على الفور كم بدا مشيراً للشفقة، كما لو أنها كانت مسؤوليتها. صحَّح عزرا ما قاله: "لم تكن تريد أن أكون معها".

سأل يعقوب: "هل تعرفُ كيف عرفت؟ هل تعرف كيف اكتشفت أنني كنت زوجاً مخدوعاً؟".  
"لا".

"كيف تظن الأمر؟ كيف تظن أن يكون الأمر عندما تعاشر زوجتك رجلاً آخر؟ صديقك، بالله عليك! كيف تظن سيكون الأمر؟".  
أصبح فم عزرا جافاً. لا يزال عزرا صامتاً:  
"كنت صديقي، أليس كذلك؟ ألم تكن صديقي؟". أصر يعقوب. أوماً عزرا برأسه.

تابع يعقوب: "لاحظت تصرفاتكما عندما كنت تأتي في الصباح لاصطحابي. هل تظن أنني لم أر كيف كنت تحددق إليها؟ رأيتك منجذباً إليها، ورأيت كيف أعجبها ذلك".

عقب عزرا: "أخبرتني هي بشأن أختها والطفل، كانت غاضبة -"، صرخ يعقوب "تلك محض أكاذيب! الطفل ليس ابني! أختها تكذب. لقد عاشرت تلك العاهرة بضع مرات، عاشرتها لكن ذاك الطفل ليس طفلي، لم أكن أعرف أبداً أنهما شقيقتان".

قال عزرا: "لقد فُطر قلب ميشلدور، ذاك أحد الأسباب الذي يفسر تقربها مني. كانت غاضبة".

بدا يعقوب في حالةٍ يُرثى لها، ذقنه غير حليقة، وشعره أشعث، وبتتعل جوربا واحدا، وقميصه ذو المربعات يتدلى خارج سرواله. بالنظر إلى أن يعقوب لم يكن في حالة ذهنية جيدة، فقد أحس عزرا أنه من غير العقلاني مواصلة الحديث معه. أخيرا، أحس بالراحة لأنه عرف موقفه، ولكن الوضع الحالي ليعقوب سيجعل الأمور أكثر سوءا. نهض لكي يغادر. "ربما من الأفضل أن نناقش هذا في وقتٍ لاحق". تجهم يعقوب في وجهه وصرخ: "لن تذهب إلى أي مكان حتى أقول ما عندي".

"لا أظن الوقت مناسباً للحديث-"

صرخ يعقوب: "اخرس! اخرس واجلس!".

حدقا إلى بعضهما إلى أن سلم عزرا أمره أخيرا وجلس أمامه.

أكمل يعقوب: "هل تعرف كيف حصلت على الدليل بشأن علاقتكما

القدرة؟ هل أخبرتك؟".

"لا لم تخبرني".

"كنت أشك. تشاجرت وميثلدور بشأن شقيقتها وابنها. لم أنكر هذا. لقد

غيرت علاقتنا، وظننت أننا سنتجاوز الأمر. إلى أن رأيت شيئا ما فيك. أنت!

إن السبب الذي جعلني أستغرق وقتا طويلا لأدرك ما جرى هو أنها أحبتك

أنت. بالله عليك يا عزرا! لم يسبق لأية امرأة أن نظرت إليك مرتين. ما الشيء

اللعين الذي رأيته فيك؟". ربما استحق كل ما قاله له يعقوب. في النهاية فقد

أتى إلى منزله لهذا السبب، ليستمع إلى الاتهامات والإهانات، ليتحمل وطأة

غضبه. "قد يكون أي شخص لعين، ولكن ليس أنت، أي أحد باستثناءك أنت

يا عزرا. ما الذي سيظنه الناس بشأنني إذا عاشرت زوجتي مسخا مثلك لم

يسبق له أن كان بجوار امرأة من قبل في حياته؟ ما الذي سيقوله الناس عني؟".

لم يُجب عزرا عن هذا السؤال. "ذهبت إلى رايدارفيدور وتظاهرت أنني



سأمضي ليلتي هناك، أتذكر؟ عرض علي فيغو زوج نينا أن يقلني".

ما زال عزرا صامتا. صرخ فيه يعقوب: "أتذكر يا بن العاهرة؟"، أو ما عزرا برأسه، "أجل أتذكر".

"حسنا، ذهبت، ولكنني عدت لاحقا في ذاك المساء، ورأيتهما تتسلل إلى بيتك في الظلام، رأيتهما معا. تجولت حول منزلك مثل الأحمق ورأيت كل شيء".

ردّ عزرا: "لماذا لم تضع لنا حدا؟ لماذا لم تتكلم؟". تجمد يعقوب في مكانه: "عزرا، أظن الأمر بهذه السهولة؟". وعاد صوته ليرتفع مجددا. "مجرد عملية اعتيادية، لماذا لم تضع لنا حدا، لماذا لم تتكلم؟ أي نوع من هذه الأسئلة تلك؟ ما الذي يفترض أن أقوله؟ لا تعاشر زوجتي؟". عاد يصرخ مجددا: "ما الذي يفترض أن أقوله يا عزرا؟".

"أستطيع أن أفهم أنك كنت غاضبا".

همس يعقوب: "غاضب؟". بشكل أكثر هدوءا الآن. "ليست لديك أية فكرة، لكنني كتمت غضبي. كتمته إلى أن أصبحت بحاجة إليه. انصرفت إلى منزلي، وتركت غضبي يغلي إلى أن ظننت أنني سأختنق به. لن يُفلت أحد عندما يعاملني بهذه الطريقة، لقد أخبرتها بكلمات صريحة وواضحة أنني لن أسمح بأن تتم معاملتي بهذه الطريقة". سأل عزرا بتردد: "لهذا السبب ذهبت إلى رايدارفيدور؟ هل كان ذاك بسببنا؟". كان مرتعبا من الإجابة.

"ذاك صحيح يا عزرا. لهذا السبب ذهبت" وشرب من قنينة الخمر مباشرة. "لهذا السبب وجب عليها أن تذهب في رحلة طويلة".

وضع عزرا البندقية جانبا في حين كان يحكي حكايته. لم يكن إرلندور واثقا من أنه مدرك لما فعل، لأن عزرا كان مستغرقا للغاية في ذكرى اللقاء مع يعقوب الذي مضى عليه أكثر من ستين عاما. استمع بصمت إلى حكاية الرجل العجوز. أصبح المطبخ أكثر ظلمة، وخشي إرلندور على الرجل العجوز من أن يصاب بنزلة برد، وهو جالس هناك ويرتدي سترته، وخفاه مبللان بسبب الثلج في الخارج. سأله عن حاجته إلى ثوب أو بطانية، لكن الرجل العجوز لم يُجب. لذا نهض إرلندور، وعثر على بطانية، وضعها على كتفي عزرا، وأخذ منه البندقية، وضعها على مسافة آمنة، وأزال منها الرصاصة الوحيدة التي كانت فيها. لم يعلق عزرا بأية كلمة. مضى الوقت فيما هما جالسان بصمت. لم يقطع ذاك الصمت سوى زقزقة طيور الدوري التي أتت لتناول البذور التي نثرها عزرا على الأرض المغطاة خلف المنزل. سأله إرلندور عما إن كان يريد بعض القهوة، ولكنه لم يُجبه أيضا. أصبح الصمت مطولا. أخيرا، قال عزرا: " لا أعرف ما إذا كان يجب أن أتابع ". وقد طغى الحزن على صوته. "ليست لديّ أدنى فكرة لماذا أنبش هذا الآن ". أو شك إرلندور على أن يعلق ويسأله عما إذا كان يفضل أن يحرر نفسه من هذه الذكريات المقموعة منذ زمنٍ طويل ولكنه أمسك لسانه. لم يكن في موقع يسمح له بإصدار الأحكام. سأله: " بسبب ميثلدور؟ ". كان عزرا يحدق خارج النافذة، ولكنه التفت الآن إلى إرلندور: "أتظن ذلك؟".

"طيلة هذه السنوات لم تتوقف عن التفكير فيها".

"أجل، هذا صحيح، ولكن هناك سبب لهذا".

"لأنها اختفت".

"أجل، لأنها اختفت. ولكنني لم أتجاوز ما حدث أبداً، ولا أظن أنني سأتمكن من ذلك".

قال إرلندور: "يُفقد الناس في ظروف كهذه طوال الوقت".

كرر عزرا كلماته: "يُفقد الناس في ظروف كهذه، لو أن الأمر بتلك البساطة". فجأة بدا أنه استعاد إحساسه بالوقت الحاضر، ولاحظ أن إرلندور قد أخذ منه البندقية، ووضعها جانبا، ووضع بطانية على كتفيه.

قال له: "ربما كذب يعقوب عليّ، لا أعرف. لقد فات الأوان على معرفة هذا الآن. لم يُعثر على ميثلدور أبداً. فكرت في هذا الأمر منذ ذاك الحين. ربما كان يستمتع بتعذيبي، ربما استمتع برؤيتي وأنا أعاني. ربما انتقم مني بتلك الطريقة. لقد هددني أنه سيفعل ما هو أسوأ إذا لم أبقِ فمي مقفلاً، وصدقته. فعلت ما طلبه إليّ. أبقى فمي مغلقاً".

أخفض يعقوب زجاجته بعنف محدقا إلى عزرا، ومسح فمه بظهر يده.

"هل تريد معرفة ما حصل؟".

"نعم".

"بالطبع، لديك الحق في ذلك".

"ماذا حصل؟ ما الذي تتحدث عنه؟".

"أنا أتحدث عن ميثلدور، عزرا. زوجتي الحبيبة ميثلدور. أليس هذا سبب قدومك إلى هنا؟ لم تأتِ بالتأكيد من أجل مواساتي. حسناً، سأخبرك. فقط تحلّ بالصبر وسأخبرك بالقصة بأكملها. لأنني أريدك أن تعرف ما حصل. لديك الحق في ذلك مثلي تماماً. وربما أكثر. لقد كنت زوجها فحسب، لكنك أنت من عاشرها، تمكنت من -".

صاح عزرا: "لن أستمع إلى المزيد من هذا الهراء، لا تجرؤ على التحدث عنها بتلك الطريقة".

تساءل يعقوب: "هراء؟".

بدأ بالتحدث بأسلوب يائس عن تدهور زواجهما تدريجيا بعد أن تلقت ميثلدور رسالة من أختها. لم ينجح أبدا في إقناعها بأنه لم يكن والد الطفل أو أنه كان يجهل أنها وإيغون أختان. استخدمت الآن سلوكه السابق دليلا على أنه كان يريد تجنب أي اتصال مع عائلتها منذ البداية. لم يُرد يعقوب إحداث أية جلبة بسبب زفافهما - دون أية مراسم كنسية أو حفل استقبال. لقد تزوجا بشكل هادئ في منزل القسيس في إيسكيفنغدور. اهتمته بأنه غير مخلص لها أيضا، وأقسمت إنها لن تقع ضحية له.

قال يعقوب: "وعلمت بعدها أنها تخونني معك".

سأله عزرا: "هل كنت تعلم أن ميثلدور وإيغون أختان عندما بدأت بمواعدها؟".

تنحج يعقوب: "حاولت إخبارها".

"ماذا؟".

"كانت أختها ستنافس عاهرة بابل على اللقب. يستحيل أن يكون ذلك الطفل ابني ولن أعترف به أبدا".

أوشك الليل أن يخيم فوق رايدارفيدور. انتظر يعقوب ميثلدور، كان قد عاد إلى المنزل في وقت متأخر من ذلك المساء، لاحظ وجود ضوء في المطبخ، وقرر أن يتربص بالقرب من المنزل. بدأ يشك في رغبتها في الانتقام منه. تغير سلوكها على مدى الأشهر القليلة الماضية: فقد أصبحت أكثر برودة، وابتعدت عنه، ولم تُبدِ اهتماما كبيرا به، وبالكاد كانت ترد عندما يتحدث إليها.

استغرق الأمر وقتا طويلا وجهدا كبيرا لإقناع ميثلدور بأنه لم يرتكب أي خطأ؛ أصر على أنه بالكاد يعرف شقيقتها ولم يكن على دراية تامة بأنهما شقيقتان؛ لم تكن له أية علاقة بالطفل الذي ادعت أنه والده. بدا أن ميثلدور قد قبلت تبريره، وإن كان على مضض، ساعدته حقيقة أنها وإيغون لم تكونا مقربتين من بعضهما. حرص على عدم الإشارة إلى شقيقتها على الإطلاق، كان يتذكرها جيدا من دجوييفجور فقد عاشها هناك. لكنها لم تكتف بذلك، وقد لاحقته دون كلل حتى طلب إليها أن تغرب عن وجهه؛ لم يكن مهتما بها. عند رؤيته لضوء المطبخ يُطفأ، تساءل عما إذا كان الفخ البسيط الذي أعده لزوجته سيرتد عليه. كان مستعدا للتخلي عن كل أمل في القبض عليها متلبسة عندما لاحظ أن الباب الأسود قد فتح. تسللت ميثلدور نحو الحديقة، واختفت في ظلام الليل. لحق بها وبقي على بعد مسافة آمنة حتى وصلت إلى منزل عزرا، حيث طرقت على الباب. فتح عزرا الباب ودخلت إلى المنزل. كان المنزل مظلما. يعرف يعقوب تصميم المنزل الداخلي، تسلل بعد فترة

زمنية طويلة إلى المبنى وألقى نظرة حذرة عبر النوافذ، واحدة تلو الأخرى، حتى وصل إلى غرفة النوم. كان بإمكانه فقط رؤية جسدين يتلويان على السرير في الضوء الخافت.

لم يشعر بالغضب على الفور. وبدلاً من ذلك، سجل ببرود برهانا لما كان يشتبه به. لم يكن ينبغي عليه أن يتفاجأ لمعرفة باختيارها سرير عزرا فقد كان زائراً متكرراً لمنزلها، عمل مع يعقوب، وليست لديه زوجة أو أطفال، لم يكن على علاقة بامرأة حسب معرفة يعقوب. كلما ضغط على عزرا بالأسئلة، راوغ في ردوده. لقد حاول أن يسخر منه حيال ذلك خلال الأيام الطويلة التي كان فيها صيد الأسماك بطيئاً، لكن عزرا رفض الإجابة. اعتبره يعقوب صديقاً حميماً، الرجل الذي أتمنه على حياته في البحر.

لا، لم يشعر بالغضب على الفور، على العكس تماماً. غادر منزل عزرا، وسار ببطء إلى المنزل، وكان أكثر انشغالا بشعوره بالقلق بدلاً من شعوره بالاستياء. لم يفكر في اقتحام المكان، وأخذٍ مثل دور بعيداً أو مهاجمة عزرا. شعر بطريقة غريبة أن مثل هذا السلوك سيمتهن كرامته. لم تكن لديه أية نية في الدخول متوسلاً لأي معروف. لم يرغب في سماع أية أعذار تافهة، لم يرغب في الاستماع إلى أي نواح لعين.

بدلاً من ذلك، انتظرها. جلس على كرسي في غرفة الجلوس، كلما انقضى الوقت، قضت مثل دور المزيد من الوقت في سرير عزرا، وازداد غضبه. فكر في أكثر من مئة مشهد مختلف عما سيقوله، طريقة تصرفه، واشتات غضباً مع مرور الوقت. اجتاحت جسده موجة من الحر، وأدرك ما يعنونه عندما يصفون شخصاً بأنه يحترق غضباً.

بدأ الدم يغلي في عروقه. نهض على قدميه وجاب الغرفة ذهاباً وإياباً، ثم جلس على الكرسي مجدداً، محاولاً السيطرة على نفسه، لكن ثارت في داخله

اتهامات بحق ميثلدور لأنها خاتته، لخيانتها زواجهما، وحياتهما معا. نهض على قدميه مرة أخرى، وتجول في الغرفة. ثم كان هناك عزرا. لم يكن يعرف كيف سيقوم بذلك، لكنه سيحرص على أن يتذكر عزرا هذه الخيانة لبقية حياته.

لقد اجتاحه سيل من الكراهية لدرجة أنه لم يسمعها عندما تسللت أخيرا إلى المنزل في صباح اليوم التالي، وأغلقت الباب بهدوء خلفها. رآته على الفور فارتعبت، علمت أنه يعرف حالما التقت أعينهما. بسرعة ومضية، التفتت وحاولت فتح الباب والهرب إلى عزرا وإلى بر الأمان، لكنه أمسك بها وأسقطها أرضا.

همس بصوته الأجش الحاقدا: "إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟". وأغلق الباب بعنف.

حاولت ميثلدور النهوض، لكنه منعها. وقف مباعدا قدميه فوق بطنها، ووضع يده القوية حول عنقها النحيل وضغط عليها، وهزها بكل قوته، فارتطم رأسها بالأرض.

زمجر يعقوب: "إليه؟ هل كنت ستهربين إليه؟ هل تعتقدين حقا أن بإمكانه مساعدتك الآن؟".

لم تتمكن ميثلدور مطلقا من نطق كلمة واحدة في وجه غضبه الشديد وتهجمه التعسفي. أحكم قبضته حتى شعر في النهاية بجسدها يستسلم، تدلى رأسها، ثقيلًا وهامدا بشكل غريب، وارتطم بالأرض بخمول، أرخى قبضته المطوقة رقبتها، حدق إلى جسدها الساكن، غافلا عن مرور الوقت. تلاشت حدة جنونه العمياء شيئا فشيئا، وعاد إلى رشده. نهض على قدميه، نظر إلى ميثلدور وهو يلهث كما لو كان يركض في سباق، لم يستوعب كليا ما فعله في البداية، تكلم إليها ولكزها بقدمه، ثم أدرك تدريجيا أنها ماتت، تدلى رأسها

على نحو غريب، لم يكن متأكدا مما إذا كان قد خنقها أم كسر عنقها. كل ما يعرفه هو أنها لم تعد حية.

في حالة صدمة، بحث عن كرسي وجلس، محاولا التقاط أنفاسه. لم يعلم كم من الوقت قد انقضى عندما أيقظه هدير الريح من هيجانه. توجه نحو النافذة ونظر إلى الجرود وبدأ بوضع خطة.

صاح عزرا: "أنت مجرم". ونهض بسرعة مبتعدا عن يعقوب باشمئزاز: "لم أرغب في تصديق ذلك. لم أصدق أنك قادر على فعل شيء كذلك، أنك تمتلك المقدرة في داخلك".

حدق إليه يعقوب بثبات، وقال على نحو بارد: "إنها غلطتك، عزرا. كانت ستبقى على قيد الحياة لو لم تسرقها مني".

اتجه عزرا نحو الباب وفتحه قائلا: "هذه كذبة لعينة".

صاح يعقوب من خلفه: "لا تفعل شيئا غيبا. ستصعب الأمر على نفسك يا عزرا".

صفق عزرا الباب وراءه. جلس يعقوب على كرسيه. تخيل جثة ميثلدور على الأرض، وتذكر مدى ثقلها عندما رفعها. انتظر وعيناه موجهتان نحو الباب. بعد وقت طويل، فُتح مرة أخرى وعاد عزرا. أغلق الباب خلفه بعناية عند دخوله المنزل.

سأل وهو يسير باتجاه يعقوب: "لم أخبرني؟ لم اعترفت لي؟ كيف يمكنك جعل الأمور أسوأ بالنسبة إلي؟ ولم أنت هادئ للغاية بحق الجحيم؟". اعتلت وجه يعقوب ابتسامة قبيحة وقال: "أيها الوغد المشير للشفقة". "ماذا فعلت؟".

"سيكون من السهل للغاية إثبات التهمة عليك يا عزرا".  
"ماذا تعني؟".



أجاب يعقوب: "سيكون الأمر أسوأ بالنسبة إليك إن أخبرت أحدهم. سأتهمك بقتلها. سأخبرهم عن تصرفاتك الغريبة وكيف كانت ميثلدور تخطط لإنهاء علاقتكما الخسيصة، وعن شعورها بالقلق لأنها عرفت أنك ستتسبب بمشكلة. كانت ستقوم بذلك عند عودتها من رايدارفيدور، لكنني لست متأكدا الآن مما إن كانت قد وصلت إلى أبعد من الجرد، ربما صادفتك وأخبرتكم بما كانت تفكر فيه، لكنك انقلبت عليها وضربتها حتى الموت".

حدق عزرا إلى يعقوب، وقال بصوت منخفض: "لن يصدقك أحد".  
"ماذا عنك يا عزرا؟ من سيصدقك؟".

تمكن عزرا أخيرا من طرح السؤال: "أين هي؟".  
"لا شأن لك".

"كيف أمكنك فعل هذا بها؟".

أجاب يعقوب: "السؤال كيف أمكنك أنت القيام بذلك يا عزرا؟ أنت من فعل ذلك. يجدر بك تذكر ذلك في المرة المقبلة التي تحاول فيها سرقة زوجة أحدهم".

"أين هي؟".

"اخرج من هنا".

"أخبرني عما فعلته بها".

"اخرج - أخبرتك بما فيه الكفاية".

صاح عزرا: "أخبرني أين هي أيها القدر".

صرخ يعقوب وهو ينهض، وقد تلاشى تمالكه الغريب لنفسه: "اخرج".

اخرج من هنا ولا تدعني أرى وجهك اللعين مجددا".

هجم عزرا عليه فجأة، واصطدم الرجلان بالأرض، انهال عزرا باللكمات على يعقوب، الذي حاول في المقابل تمزيق وجهه. تعاركا قبل أن يتمكن

يعقوب أخيرا من السيطرة على الموقف. سدد لكمة وحشية إلى وجه عزرا.  
هسهس بإرهاق: "تذكر ذلك أيها الوغد. حصل كل ذلك بسببك، لا تنس  
ذلك أبدا، أيها الوغد".

نهض. وقف عزرا على قدميه، مسح الدم عن فمه وتحسس فكه بعناية.  
آلمه وجهه بأكمله.

قال: "لن تفلت بفعلتك".

أجابه يعقوب: "أنت أضحوكة. اخرج من هنا. هيا اغرب عن وجهي".  
همس عزرا مجددا وهو يتراجع نحو الباب: "لن تنجو، لن تفلت  
بفعلتك".

حلّ صمت عميق، غادرت الطيور الحديقة. ازداد عمقُ الغسق المحيط بالرجلين في المطبخ في حين تابع القط نومه في سلته. بدا أن قوة عزرا قد تضاءلت مع طلوع ضوء النهار، وانكمش جسمه على الكرسي. قال إرلندور: "حسنا، أبقيت فمك مغلقاً".

أجاب عزرا: "نعم، لم أخبر أحدا، كنت جباناً للغاية".

"لم يكن يجدر بك البقاء صامتاً عن جريمة كتلك، مهما كنت متورطاً. التستر عن شيء كهذا لا يفيد أحداً".

"أعلم ذلك، لست بحاجة إلى سماعه منك".

"وهكذا مرت السنوات؟".

"نعم، لقد مرت".

أدرك إرلندور مدى مأساوية هذا الأمر بالنسبة إلى الرجل العجوز بعد أن أمضى حياته يحمي سره. طيلة ستين عاماً، أخفى جريمة يعقوب، حتى بعد وفاة الرجل، خشية أن يُدان. لقد اختار الطريق السهل وأنقذ نفسه، ورغم ذلك شعر إرلندور ببعض التعاطف مع محنته. لو نفذ يعقوب تهديده، فلربما كانت الأمور ستسير على نحو سيئ بالنسبة إلى عزرا. ففي النهاية، كان موقفه صعباً، بعد أن خان صديقه وسرق زوجته. كان بإمكان رجل حاقد مثل يعقوب توجيه أصابع الاتهام في أي وقت، وإجبار عزرا على الدفاع عن نفسه ضد تهمة خطيرة. قال عزرا: "فقدتُ أعصابي. يمكنك القول إنني شعرت بالرعب. لم أستطع تحمل فكرة كشف علاقتنا والحكم عليها بأنها قدرة. شعرت بالخوف

من أن ينشر يعقوب قصصا عني، ويتهمني، ويصفني بالقاتل، أرغمني على الصمت. صار حني بالحقيقة، ولكن فقط بعد تأكده من شعوري بالذنب لدرجة أنني سأكتفي بالصمت. حسنا، لقد حصل على ما يريد". صمت عزرا لفترة وجيزة وتابع: "ريح. لقد هزمتنا نحن الاثنان".

"ماذا فعل بالجثة؟"

"لم يخبرني. ادعى أنه زرع دليلا على ميثلدور ليؤطرني وقال إن بإمكانه إخبار السلطات في أي وقت يريده. لم أكن أعرف ما كان وحتى الآن لا أعرف إن كان يكذب، ولكن هذا ما قاله وكنت في حالة بائسة جعلتني أصدقه".

"حسنا، حتى الآن لا تعلم أين هي؟"

"لم أتمكن من معرفة ذلك أبدا".

"إذن، خسرت ميثلدور أولا، ثم ألقى هذا العبء عليك".

"يعقوب... إنه وغد شرير".

"واضطرت لمتابعة حياتك، وأنت تعيش بالقرب منه".

"نعم، كان ذلك صعبا. بالطبع لم أتعامل معه، أو على الأقل تجنبت قدر الإمكان، وانتقل هو لفترة من الزمن. ربما انتابه الخوف من فكرة ذهابي إلى الشرطة مثل خوفاي من فكرة نشره الأكاذيب عني. كان الأمر أشبه بالحرب الباردة بيننا. قال...".

تردد عزرا.

"ماذا؟"

"قال إنه سوف يحرص على معاناتي أيضا. أراد أن يتأكد من معاقبتي. ونجح في ذلك".

"هل أغرتك فكرة الانتقال، العودة إلى الغرب، أو ريكيا فيك؟ كان من السهل تحقيق ذلك خلال الحرب. كان يمكنك حينها الانخراط مع الحشود".

خفت صوت عزرا ليصبح أشبه بالتمتمة: "لم أجرؤ على الرحيل. خصوصا وأنا أعلم أن ميثلدور كانت هنا في مكان ما. لم أستطع تحمل تركها. لأنه لم يُعثر على جثتها أبدا، يبدو الأمر كما لو أنها لم تغادر أبدا. هل بوسعك فهم ما أقوله؟ أعلم أن الأمر أشبه بالهراء، ولكنني أشعر كما لو أنها لا تزال هنا معي. أشعر بوجودها كلما تجولت في الشوارع، أو نظرت نحو البحر أو الجبال. إنها في كل مكان. إنها في كل مكان حولي". توقف عن الحديث مؤقتا ثم أضاف: "سوف أموت قريبا على أي حال، وبعد ذلك سيتهي الأمر".

سأل إيرلندور مرة أخرى: "أليست لديك أية فكرة عن مكانها؟".

هزّ عزرا رأسه.

"هل أنت متأكد؟".

"أتظنني أكذب؟".

أجاب إيرلندور: "لا، لا أعتقد أنك تكذب. لكنك قلت بنفسك إن

يعقوب هددك بالصاق التهمة بك، لذا من مصلحتك ألا يُعثر عليها قط".

صاح عزرا: "أنتم رجال الشرطة معتادون على الاشتباه بالجميع، تشكون بالجميع من حولكم. أراهن على أنك تعتقد أنني كنت أكذب طوال الوقت، وتظن أنني تخلصت من ميثلدور بنفسني، وأستخدم يعقوب فقط كبش فداء. هل هذا ما يدور في ذهنك؟ أنني قلبت القصة رأسا على عقب؟".

"أنت تتصرف -" لم يتمكن إيرلندور من متابعة كلامه.

قاطعته عزرا قائلاً: "لم يكن بوسعي القيام بشيء. أثقل كاهلي هذا الأمر مثل حكم الإعدام. لكن لا يمكن تغيير ما فعله. فقد ماتت ميثلدور، رحلت عن عالمنا. لم يكن ليغير إدخال الشرطة في الموضوع من ذلك".

"إذن صدقت قصة يعقوب؟"

"نعم".

"أخبرتني سابقاً أنك كنت واثقاً من عدم مقدرته على إيذاء ميثلدور. هل كان ذلك جزءاً من الخدعة؟".

أوماً عزرا.

"ولم تشك في أقواله؟".

"شككت؟ شككت بماذا؟ أنه قتل ميثلدور؟ لم أشك لثانية. أعلم أنه أخبرني بالحقيقة حول ذلك على الأقل".

"لكنك لم تمتلك أي دليل. ربما توفيت في العاصفة، واستخدمت تلك الحقيقة لتعذيبك بسبب علاقتكما الغرامية. هل فكرت في ذلك؟".

كرر عزرا بعناد وهو يتجههم في وجه إرلندور: "أنا متأكد من أنه قال الحقيقة".

"شعرت بالذنب. هل وضعت عينيك على ميثلدور قبل أن تؤتي هي بحركة؟ هل هذا هو السبب؟".

"وضعت عيني عليها؟!".

"هل ألقيت ببعض التلميحات؟".

"ماذا تقصد؟".

"هل غازلتها؟ أخبرتها أنك مهتم بها؟".

"بالتأكيد لا".

"لم تفعل شيئاً حيال ذلك؟".

أجاب عزرا ببطء: "لا، إن شعرت بذلك -"

"لكنك لم ترفضها عندما لجأت إليك؟".

"لا".

"هل هذا هو السبب؟ شعرت بتأنيب الضمير لأنك سرقتها من زوجها، واستغل يعقوب ذلك؟".

لم يُجب عزرا.

قال إرلندور: "لا بد أنك شعرت براحة عند معرفتك بوفاته".

لم يسمح له عزرا باستفزازه.

"أو ربما العكس؟ لأنه الوحيد الذي يعلم مكان جثة ميثلدور؟".

"تماما".

"وأخذ معه السر إلى قبره".

"هذا صحيح".

"هل كنت هنا عندما حصل الأمر؛ أقصد عندما غرق يعقوب؟"

"نعم، أذكر ذلك جيدا".

"خزنت جثته في مشرحة القرية".

"قبل نقله إلى دجوييفجور من أجل الجنازة. ثم انتهى الأمر بعدها".

"هل رأيت جثته؟".

"نعم، كنت أعمل في المشرحة حينها".

"ولم تكتشف قط ما فعله بميثلدور؟"

"لم أستطع إرغامه على الإفصاح عن الأمر. هذا جَلّ ما تمنيت معرفته،

لكنني لن أتمكن من معرفة ذلك الآن".

نظر إرلندور باتجاه الجرود التي غطاها الظلام الآن.

همس عزرا: "ففي نهاية الأمر ماتت بسببي. أنا الملام. اضطررت

للتعايش مع تلك الحقيقة منذ ذلك الحين".

في صبيحة اليوم المقرر لانتقالهم إلى ريكيافيك، قطع الجرود للمرة الأخيرة لمساعدة والده في حزم الأمتعة. وللمرة الأولى لم يكن يبحث عن أدلة، بل ودّع العالم الذي يحتوي على سعادته وأحزانه. انطلق مع بزوغ الفجر، وحرص على عدم إيقاظ والديه. إنه يوم صيفي جميل، لكن والدته لا تحبّ تجوله بمفرده. مرت ستان فقط منذ أن فقدت ابنها الأصغر، ويجب أن تحرص على ألا يخاطر ابنها الأكبر بنفسه بتلك الطريقة، لكن هذا ليس السبب الوحيد لانتقالهم؛ هناك أسباب أخرى.

بقي والده صامتا في أثناء نقله ممتلكاتهم إلى الشاحنة الصغيرة. إنها شاحنة جديدة بيعت إلى مشتر في ريكيافيك. لقد وافقا على تسليمها بشرط أن يُسمح لهما باستخدامها للانتقال إلى المنزل. ستُنقل الأساسيات فقط إلى الجنوب: الأسرة، والطاولات، والكراسي، وإرث الأسرة. تم التخلي عن الباقي أو رميه. يمكن استبدال بعض الحاجيات الشخصية الأخرى بمجرد وصولهم إلى المدينة. باعوا الماشية أيضا، إضافة إلى الجزازة وعربة القش، لكن ستأخذ والدته معها ماكينة الخياطة لأنها ستكون مفيدة أينما انتهى بهم الأمر. وقع عبء محاولة تلطيف الجو عليها دائما، لكنه شعر في كثير من الأحيان أن ذلك تطلب منها مجهودا، وتخطى الأمر في بعض الأوقات قدراتها، مثل وقت مجيء زوج وزوجة شابين لاستلام سرير بيرغور. لقد قررا التبرع به لعائلة محتاجة، وأبقت والدته نفسها مشغولة في المطبخ عندما وصل الثنائي الخجول لأخذه. قالت والدته: "ليست هناك جدوى من أخذه معنا. أيا



يكن الأمر، هما بحاجة إليه أكثر منا". لكن هناك حاجيات أخرى لبيرغور سترفض التخلي عنها طيلة حياتها.

لم يعرف إرلندور بالضبط متى اتخذ والداه القرار بالانتقال. كانت المرة الأولى التي سمع فيها والديه يتناقشان بالموضوع منذ حوالي ستة أشهر. كانت فكرة والدته، إنها تريد الابتعاد عن القرية، لكن لا يكفيها الهروب إلى المضيق البحري التالي أو البلد المجاور - تذكرها كل ميزة من المناظر الطبيعية الريفية بالابن الذي فقدته. إنها ترغب في الابتعاد قدر الإمكان، ويُفضل أن يكون ذلك في مكان يمكنها أن تنهض فيه من حالة السبات، وتبدأ في العيش مرة أخرى؛ حياة جديدة ومحفزة عكس أي شيء عاشوه من قبل. هذا المكان هو ريكيافيك.

لم يكن لدى والده الكثير ليقوله حيال الموضوع، وافق على الخطوة من دون أي تعليق تقريبا. أصبح رجلا مختلفا منذ عودته من الجرود، وهذا ليس فقط لأنه فقد ابنه، لقد حدّق في وجه الموت، وكان لنجاته بأعجوبة تأثير عميق عليه مثل فقدانه ابنه، كما لو أنه تصالح مع حقيقة أنه يجب أن يموت.

تحدث الوالدان إلى إرلندور، الذي عارض الخطة بشدة. شعر أنهما يخونان بيرغور بالمغادرة، كما لو كانا يتخليان عنه. علّقت والدته على ذلك بأنه هراء؛ سيكون دائما معهما، ولن يخرج أبدا من أفكارهما. أخبرته أنهما بحاجة إلى تغيير، بيئة جديدة، من دون أن يكون الشعور بالفقدان هو رفيقهما اليومي.

إنه لا يملك خيارا. ماذا يعرف صبي في الثانية عشرة من العمر عن ريكيافيك؟ هناك مزيد من السيارات ومتاجر أكبر مما يستطيع تخيله، ومساكن ضخمة تُعرف بالمجمعات، حيث يعيش الناس مكدمسين فوق بعضهم بعضا. هناك مبانٍ أكثر مما يستطيع عدّه وأحياء فقيرة حيث يعيش الفقراء في ملاجئ موبوءة بالفئران خلفها جيش الاحتلال، لكن هناك شوارع عريضة أيضا

ورجال شرطة ينظمون حركة المرور، والكثير من دور السينما والمسارح، وحشد من الناس يتصارعون، وما تشير إليه والدته بمحلات الأزياء، وفي ريكيفيك تبقى المدارس مفتوحة طوال فصل الشتاء مع ما يصل عدده إلى مئات التلاميذ. إنه أمر مرعب. لا تجذبه المدينة على الإطلاق. لقد سمع أن هناك بعضا ممن يحلمون بالانتقال إلى هناك، لكنه ليس منهم.

ثم أتى ذلك اليوم الصيفي الذي أغلقوا فيه باب منزلهم للمرة الأخيرة، ودّعت والدته المكان، ثم صعدوا إلى الشاحنة الصغيرة، وتوجهوا إلى الشارع الرئيسي. جلس في الوسط بين والديه اللذين لم يتبادلا كلمة واحدة في الوقت الذي كانت فيه باكسيل تتلاشى ببطء خلفهم. رافقهم الصمت طوال الطريق حتى وصلوا إلى إيغلستاد حيث توقف والده في المرآب وأعلن بصوت عال على نحو طبيعي: "علي تعبئة الوقود". قالت والدته إنها ستمدد ساقها في غضون ذلك. تبعها إرلندور على بعد خطوات قليلة لأنه أصبح كبيرا ولا يمكنه إمساك يدها علنا. توقفت عند جانب الطريق، وتأملت نهر لاغارفلجورت حيث يتسع إلى بحيرة بيضاء لبنية اللون قبل أن يتدفق إلى البحر في المسار الذي اتبعه منذ خمسة آلاف سنة. بدأت بالبكاء في نهاية الأمر، بهدوء لدرجة أنه بالكاد لاحظ ذلك.

أمسك بيدها.

"من فضلك، لا تبكي".

همست أمه: "لا تقلق".

هذه لحظاتهم الأخيرة في المنطقة. قريبا سيغادرون إلى الأبد. يستحسن قول ذلك الآن.

قالت أمه وهي تسحب منديلا صغيرا من جيبتها: "أعتقد أن انتقالنا هو قرار صائب، لكن لا يمكنك التأكد من ذلك مطلقا. لا أعلم حقا ما أقدمتكما به".

"لن تنسي أبداً".

قالت: "لا، بالتأكيد لن أفعل".

وقفا هناك معا، حدقا إلى المياه، واستعاد ما قاله لوالده قبل انطلاقهم إلى الأراضي البور. كل ذلك بسبب تلك الألعاب الغبية والشجار على السيارة الحمراء الصغيرة. لم يخبر والدته بما قاله، ولا يزال الذنب يتملكه منذ ذلك الحين، متغلبا على جميع الأحزان الأخرى، حتى بعد مرور كل هذا الوقت - عامين كاملين من حياته القصيرة. يبدو أن والده نسي أن إرلندور هو الذي أوحى إليه بالفكرة، وأصر على ذلك. أو ربما يتذكر لكنه لا يريد التحدث عن الموضوع. إنه رجل قليل الكلام ولا يشير مطلقا إلى ما حدث. يكمن مستقبل إرلندور على نحو أبعد من البحيرة، وأبعد مما يمكن لعينه أن ترى أو لمخيلته أن تتصور.

التفت نحو والدته، وعادت به ذكرياته إلى منزله، وتذكر جميع التفاصيل. كانت الموسيقا تُبث على الراديو في المطبخ، وكان والده قد بدأ بارتداء ملابسه للخروج. في الليلة السابقة، قال والده إن عليه العثور على تلك النعاج قبل أن تتجمد حتى الموت، لأنها لن تعرف طريق العودة إلى المنزل بمفردها. عند قدوم الصباح، وقف عند مدخل غرفة النوم، مرتديا معطفه، وقال إن إرلندور سيرافقه. وجبَ عليه ارتداء ملابس دافئة فقد كان الطقس باردا في الخارج.

رفع إرلندور رأسه.

قال بصورة تلقائية: "على بيرغور القدوم أيضا".

صمت والده لبعض الوقت، من الواضح أنه لم يخطر له اصطحاب ابنه الأصغر، فقد كانت أفكار كثيرة تجول في رأسه. "حسنا، بإمكانه القدوم".

مكتبة

t.me/t\_pdf

حسم الأمر، لم يقل شيئاً آخر، رُفضت اعتراضات والدتهما: سيذهب الصبيان مع والدهما. شعر إرلندور بالسعادة.

لكن سعادته لم تستمر طويلاً، ترددت الكلمات في ذهنه منذ عودته من الجرود واكتشافه أن بيرغور كان مفقوداً. لم يستطع تصديق أنه قال ذلك. هل كان ذلك خطأه؟ انتابه شعور فظيع بالذنب، اختلط مع شعور غريب تسلل إليه أولاً ثم نما بلا هوادة: إنه لا يستحق أن يُنقذ بدلاً من بيرغور. تصلب جسده وبدأ يرتعش وعجز عن التوقف، دخل في حالة صدمة، وتم استدعاء الطبيب. حسناً يجب على بيرغور القدوم أيضاً.

ناداهما والده - إنه مستعد للانطلاق مجدداً - وأشارت إليه والدته بأنهما قادمان. كانت على وشك الالتفاف عندما أمسك بها إرلندور بقوة، مانعاً إياها من الذهاب.

سألته: "ما الخطب؟".

حدق إليها بثبات، خفق قلبه بقوة داخل صدره، شعر بالرعب من عواقب ما هو على وشك قوله. لقد تصارع مع أفكاره مراراً وتكراراً خلال أيام الشتاء المظلمة وليالي الأرق الطويلة، لكنه لا يزال غير قادر على التنبؤ بردة فعلها. كانت المشكلة أكبر مما يمكن لعقله الفتى تحمله.

قالت: "هيا، علينا المغادرة".

لكنه أمسك بيدها بقوة. لم تعلم أن ذهاب بيرغور معهما هو غلطته. استقرت الكلمات على حافة لسانه، كل ما عليه فعله هو نطقها. تجمعت الدموع في طرفي عينيه. سرّحت أمه الشعر على جبهته لأنها شعرت أن هنالك خطباً ما.

سألته: "ما الخطب يا حبيبي؟".

لم يعلم ما عليه قوله.

"ألا تريد الانتقال إلى ريكيا فيك؟".

جلس والده داخل الشاحنة، وقد شغل المحرك، كان يراقبهما من خلال النافذة. وحدث إليهما أيضا الرجل بجانب المضخة. بدا أن العالم بأكمله ينظر باتجاههما.

"إرلندور؟".

لاحظ نظرة القلق العميقة التي اعتلت وجه والدته. آخر ما يريده هو إضافة مخاوف إلى مخاوفها. ليس عندما استعادت حياتهم درجة من السلام والتقبل.

قرع والده بوق السيارة.

مرّت اللحظات. تمالك نفسه ومسح دموع عينيه.

قال: "أنا بخير. دخل بعض الغبار في عيني فحسب".

عادا إلى الشاحنة. اختفى المسؤول عن المضخة، ونظر والده إلى الأمام مباشرة، وأمسك عجلة القيادة بكلتا يديه. ستكون تلك رحلة شاقة على طرق وعرة.

جلس إرلندور بصمت بين والديه وهم يعبرون الجسر فوق النهر.

سوف يتحمل ذنبه بصمت من الآن فصاعدا.

أخبره عزرا عن مزارعٍ أهملَ بواس ذكره قي أثناء تعداده السكان المحليين الذين عرفوا كل ما يتعلق بجحور الثعالب. وفقا لعزرا، فإن السبب وراء عدم ذكره له هو أن بواس كره الرجل لدرجة أنه بالكاد تمكن من نطق اسمه. يعود هذا العداء إلى نزاع على حدود قطعة أرض ورثها بواس. انتهى النزاع في المحكمة، ليخسر بواس على نحو مخيب فأقسم إنه لن يتحدث أبدا إلى خصمه مرة أخرى، وهو وعد التزم به لربع قرن على الأقل.

استقبله المزارع لودفيك بترحيب فظ، وهو رجل في سن إرلندور، ربما ذلك بسبب العداء الطويل الأمد مع بواس أو لأنه قاطعه عن العمل. كان لودفيك في إحدى حظائره، يكدح مع حازمة القش المفككة. وأوضح أنها قد تعطلت في الصيف، ولكنه استلم قطع التبديل قبل بضعة أيام فقط. أي نوع من الخدمات هذا؟ أرشدت زوجته إرلندور إلى العليّة، وطلبت إليه تذكير زوجها بتمارين الجوقة في وقت لاحق من ذلك اليوم. نقل إرلندور الرسالة.

صاح الرجل: "تمارين الجوقة، لن أذهب إلى أية تمارين جوقة لعينة". لم تكن لدى إرلندور إجابة عن هذا، ولم يستطع معرفة ما إن كان الرجل يتوقع منه إبلاغ زوجته. بدأ لودفيك يلقي خطابا حول بغضه للجوقات بشكل عام، ولكن بشكل خاص للمؤدين الذكور في الجوقات، مع مطالبهم السخيفة في استهلاك الوقت للتمارين والجولات. لم يمانع بقية أعضائها بذلك لأنهم حمقى ولم يكن لديهم شيء أفضل لفعله من تنظيم اجتماعات لا نهاية لها، ولكن كانت لديه مزرعة ليديرها.

سأل: "هل سبق وغنيت في جوقة من قبل؟ تبدو في العمر المناسب".

أجاب إرلندور: "لا، لم أفعل قط".

سأل لودفيك مرة أخرى: "هل أتيت هنا للصيد؟". مغيرا الموضوع بسلاسة.

أجاب إرلندور: "لا، أنا... في الحقيقة، أردت استشارتك بشأن الثعالب،

فقد سمعت أنك صياد متمرس".

"الثعالب؟ يجدر بك التحدث مع رجل يدعى بواس. هل قابلته من

قبل؟".

"لقد تحدثت إليه بالفعل".

"ذلك الرجل صاخب، أليس كذلك؟".

أجاب إرلندور بدبلوماسية: "يمكنك قول ذلك. لكنه كان مفيدا جدا

بالنسبة إليّ". لم يرغب في أن يستمر الرجل بدمّ بواس أمامه أكثر من ذلك".

قال لودفيك بازدراء: "إنه مجرد أحمق".

"حسنا، لم أشعر أنه كذلك".

سأل لودفيك بعد أن انتهى من إزالة القطعة التي فصلها عن الحازمة

ومسح يديه بقطعة قماش ذهنية: "إذن، ماذا تعرف عن الثعالب؟ أنت لست من

هذه المنطقة، أليس كذلك؟ هل أتيت من ريكيافيك؟".

أوما إرلندور. تساءل - من دون جدوى - حول كيفية صياغة سؤاله دون

أن يبدو جاهلا تماما أو يكشف الكثير حول نفسه.

علق لودفيك: "ليست هناك ثعالب كثيرة".

"لا، ولا أعلم شيئا عنها أيضا، لذا اقترح عليّ عزرا التكلّم معك".

لفت الاسم انتباه لودفيك: "عزرا؟ هل تعرفه؟".

أجاب إرلندور: "نعم، في الحقيقة أعرفه جيدا". ولم يشعر أن ذلك مبالغ

به. لعله يعرف عزرا أكثر من أي شخص آخر في العالم.

سأل لودفيك بنبرة هادئة: "حسنا، إذن هو من أخبرك عني؟ كيف حاله؟".  
"إنه بخير".

"عزرا من أطف الناس على سطح الأرض. مستعد دائما للمساعدة،  
مهما تكن المشكلة كبيرة أو صغيرة. إذن، ما الذي ترغب في معرفته؟".

"أردت سؤالك عما إذا كنت قد وجدت أي شيء مثير للاهتمام في  
جحور الثعالب أو سمعت قصصا حول أشخاص آخرين عثروا على أشياء...  
أشياء ربما جرتها الحيوانات معها إلى جحورها. كما تعلم، الأشياء التي قد  
تلتقطها من المزارع والقرى أو من الجرود".  
حدق إليه لودفيك باستهزاء.

أجاب: "بالطبع، يمكنك العثور على مختلف الأشياء في الجحور. هناك  
مثل قديم يقول: يترصد الثعلب في مخبئه، يقضم العظمة البيضاء".  
أوما إرلندور برأسه.

"هل تبحث عن شيء معين؟".

"أنا مهتم بالأشياء ذات الصلة بالإنسان: بقايا ملابس، أحذية، أو جزم؛  
هذا النوع من المخلفات التي نتجاهلها ونتركها ملقاة على الأرض".

قال لودفيك: "نعم، يحصل ذلك. لكن الثعلب ليس بلص كبير مثل  
الغراب".

"هل عثرت من قبل على حذاء أو أي شيء من هذا القبيل في جحر  
ثعلب؟".

"حذاء؟ ما نوعه؟".

أجاب إرلندور: "حسنا، ليس بالضرورة أن يكون حذاء. لكن هذا النوع  
من الأشياء".

"نوع معين من الأشياء؟".



"لا، لا شيء محدد. أي شيء يمكن أن يفقده شخص ويلتقطه ثعلب. أردت فقط أن أسألك لعلك سمعت بعض القصص من صيادين آخرين. لقد أصبحت مهتما بالثعلب في الآونة الأخيرة. إذا تذكرت أية أمثلة، فسيكون ذلك مفيدا للغاية. حتى إن كانت عظاما غريبة".

أجاب لودفيك: "لم يحصل أي شيء من هذا في السنوات الأخيرة".  
"في الماضي؟".

"لم يخطر ببالي شيء، لكن يمكنك محاولة التحدث إلى دانييل كريستمونديسون. يعيش في سيديسفجوردور؛ وغد قديم اعتاد إرشاد الصيادين في المنطقة".

"دانييل؟".

"نعم، قد يكون قادرا على مساعدتك. على فرض أن ذلك الوغد المسن لا يزال على قيد الحياة".

قال إرلندور: "هذا كل شيء". شكر لودفيك على مساعدته، وقال إنه لن يزعجه أكثر من ذلك. شعر بالراحة لأنه تمكن من إنهاء تلك المحادثة، توجه نحو الباب. انتابه شعور بعدم الراحة لأنه اضطر لمناقشة الموضوع مع غريب. قال لودفيك، وقد بدا مهتما فجأة: "هناك حقيقة لا يعرفها كثيرون حول الثعلب. لا أعرف إذا كنت تفكر في الشيء نفسه".

توقف إرلندور عن المشي وسأل: "ماذا؟".

"الثعلب قمام".

"حقا؟".

"ليس نيقا عندما يتعلق الأمر بطعامه، ويمكنه جر البقايا إلى جحره، إذا كان هذا ما تسأل بشأنه. يمكنه أن يحمل أوزانا ثقيلة؛ رأيت ثعلبا ذات مرة يحمل في فمه الربع الأمامي من حمل".

"تقصد الحملان أم النعاج أم...؟"

قال لودفيك: "أيا كان، الطيور أيضا. لكن الثعلب ليس قَمَما حقيقيا. لا يترك الصيد والقتل للحيوانات الأخرى - إنه حيوان مفترس متمرس. لكنه يأكل لحم الجيفة. غالبا ما نعرثر على عظام الحملان، حتى الحملان البالغة، التي أعادها معه إلى جحره. لكنني لست متأكدا مما تقصده بالعظام غير الاعتيادية. هل تعني عظام الحيوانات أم الإنسان؟".

هز إرلندور رأسه. كرر القول: "هذا كل شيء". وتوجه نحو الباب مجددا. سمع ما فيه الكفاية، وقد دامت الزيارة أكثر مما خطط لها. لم يرغب في سماع كلمة أخرى: كانت فكرة كون الثعلب قَمَما مروعة للغاية.

تابع لودفيك كلامه: "لم أعثر على أية أذرع أو أرجل، إن كان هذا ما تقصده بكلامك. لكن لا يُستبعد أن يتناول الثعلب هذا النوع من الأطعمة، إن توفي شخص بسبب تعرضه لمخاطر الجبال، وحدث ذلك غالبا في الماضي. حتى إنني سمعت بعض القصص".

غادر إرلندور، تاركا خلفه لودفيك محتارا. أسرع في العودة إلى سيارته. تكوّنت في ذهنه صورة فظيعة بسبب كلمات المزارع القليلة. وكان على استعداد لفعل أي شيء ليتمكن من إخراج تلك الصورة من ذهنه.

مكتبة  
t.me/t\_pdf

في ذلك المساء، جلس في المزرعة المهجورة، يدفع نفسه على مصباح الغاز، ويحتسي القهوة الساخنة، ويتناول على مضض بعض القضمات من شطيرة لحم الضأن المدخن التي كان قد ابتاعها من محل وجبات سريعة. لم تكن لديه شهية كبيرة، وسرعان ما تخلّى عن الشطيرة، وأشعل سيجارة بدلا من ذلك، حاول عدم التفكير في لقاءه مع لودفيك، وأخبر نفسه أن التوجّس بشأن عادات الثعالب لن يفيد.

في الوقت نفسه، لم يستطع نسيان قصة عزرا. شعر إرلندور بأنه يميل إلى تصديق رواية الرجل: كان على المرء فقط أن يستمع إلى عزرا لمدة دقيقة، ليشعر بعذابه، الشكوك الرهيبة التي اضطر للتعايش معها لفترة طويلة، والشعور العميق بالذنب الذي عانى منه طوال حياته. بدا من المؤكد أن يعقوب قد قتلَ ميثلدور وأخذ معه سر مكان جثتها إلى القبر. بالنسبة إلى عزرا، لم يحظ بخاتمة للقصة أبدا، وكان من الواضح جدا أن جروحه لم تلتئم، حتى بعد مرور أكثر من ستين عاما. لقد أصبح عجوزا، واستنادا إلى تلميحه المستمر باقتراب وفاته، فإنه لم يعد من المتوقع أن يعيش لسمع نهاية القصة في حالة العثور على ميثلدور. اعترف عزرا بأنه تخلّى عن فكرة إيجادها منذ عقود.

أعاد إرلندور ملء القدح وشرب ببطء. لا شك في أن يعقوب نجح في الفرار من جريمته. والأكثر من ذلك، أنه رتب الأمر حتى يتمكن من الاعتراف لعزرا، وتعذيبه بتلك المعلومة، واتهامه وتقييد يديه في الوقت نفسه. لقد

استغل الظروف حوله، العاصفة، والكارثة التي حلت بالجنود البريطانيين. لقد أظهر جرأة لا تُصدق في الطريقة التي كذب بها بشأن سفر ميثلدور، وعرف تماما كيف يضغط على نقطة ضعف عزرا: علاقته مع ميثلدور وخيانة صديقه. كانت الثغرة الأكبر في شهادة عزرا هو أنه لم يُستدعَ أي شخص لتأكيد ذلك. لم يكن هناك شهود. لم يشارك ما حدث مع أي شخص، وهو الآن الشخص الوحيد الذي علم بالحقائق. سيؤخذ بشهادته أو يتم رفضها بحسب مصداقيته. فكر إيرلندور في إيقافه عند هذه النقطة: فقد افترض أنه قد نجح إلى حد ما في تحقيقه. ومع ذلك، بصراحة، لم يكن يحقق في اختفاء ميثلدور؛ بل كان يرضي فضوله، مدركا أنه لا يمكن محاسبة أي شخص في هذه المرحلة المتأخرة. كانت القضية عرضة لمؤامرة صمت مدى الحياة.

لقد أثرت قصة ميثلدور في إيرلندور رغم ذلك، وشعر أنه متعلق بمصيرها بطريقة ما، وأعطاه هذا الشعور نوعا من الترابط مع القضية، بالرغم من أنه لم يعرف حقا سبب ذلك. ربما يكمن السبب في محنة عزرا المحزنة: حُكم عليه بالعيش على حطام حبه المفقود. إذا كان ما قاله صحيحا، فقد عرف نصف القصة فقط. إيرلندور يعرف كيف تكون الحياة غير محتملة في ظل هذه الظروف.

فكّر في انتقام يعقوب؛ كيف حاصر عزرا وورطه، بالرغم من أن عزرا لم يفعل شيئا ليستحق ذلك. ارتكب يعقوب جريمة عاطفية، ونفذها من دون سبق إصرار. تُرتكب هذه الجرائم عموما خلال نوبات من الجنون. لكن ما يحصل بعد ذلك يكون فعل انتقام متعمد: لقد رتب يعقوب ذلك حتى يُحمل الشخص الذي يلقي باللوم عليه بأي يوم من السعادة في حياته.

أو ربما كانت قصة الحب هي ما شغلت ذهن إيرلندور. لم تتمكن العلاقة العاطفية بين ميثلدور وعزرا من الازدهار، فقد قُضي عليها بوحشية.

خلال فترة ما بعد الظهر، اشتدت الرياح. أعاد إرلندور النظر في كل ما اكتشفه عبر تعقب الناس وطرحه الأسئلة حول ميثلدور، وعزرا، ويعقوب. لم تتبع أفكاره أي مسار مترابط: اختلطت قصص الأفراد الذين التقى بهم وظروفهم مع ضباب شرق المضائق والعاصفة الثلجية، ومع وجوده في المزرعة المدمرة، ورحلاته سيرا على الأقدام وبالسيارة، وإبحار سفن الشحن إلى رايدارفيدور، وعلامات التنمية الصناعية دائمة الجودة، اندمجت كل هذه العناصر في ذهنه إلى أن تذكر ثلاثة تفاصيل بسيطة لم تنل اهتماما كبيرا منه في ذلك الوقت.

كان أحدها هو الإشارة إلى مكان عمل عزرا السابق. والثاني هو تعليق دُكر في أثناء المحادثة، لم يدقق إرلندور به جيدا. ولكن كان نسيان ذلك ممكنا تماما بسبب الرياح التي تعصف على السطح. بعد أن استمع إلى الضوضاء لفترة من الوقت، محتارا بما ذكرته به، باغته الفكرة فجأة: سمع أحدهم ضجة قادمة من نعش يعقوب. التفصيل الثالث كان تذكيرا بما قاله عزرا عندما كان يتحدثان عن وفاة يعقوب وعن تخزين جثته طوال الليل في المشرحة التي عمل فيها عزرا. كان تصریحا بريئا عن مكان ميثلدور، لكنه لم يحمل أية أهمية في ذلك الوقت: لم أستطع إجباره على الكلام.

همس إرلندور لنفسه في الظلام: "هل ذلك معقول؟".

نهض عن كرسيه بانفعال مفاجئ.

سأل بصوت عال: "هل كان يتحدث عن المشرحة؟".

غافلا عن مرور الوقت، تصارع إرلندور مع هذه الدلائل الثلاثة البسيطة ظاهريا، محاولا العثور على رابط يجمع فيما بينها وأصبح أكثر حيرة إلى أن أطفأ سيجارته الأخيرة في النهاية، وقرر أنه لا يوجد أمامه خيار سوى التطفل على هرون مرة أخرى.

استيقظ في منتصف الليل مرعوبا بسبب كابوس وأخذ يجول بعينه في الأرجاء. لم يتمكن سوى من رؤية الظلام وراء حلقة النور في القنديل، لكن لا يزال بإمكانه الشعور بوجود الصبي من حلمه. في البداية، لم يكن متأكدا مما إن كان نائما ويحلم، أم أنه كان شيئا آخر. تملكه الخوف فجأة، وتلاه شعور عارم بالراحة عندما أدرك أنه كان مجرد كابوس. من الغريب أنه شعر وكأنه صدى أو عيش حلم كان يراوده في أكثر فترات شبابه البائسة التي لم ينسها أبدا.

عندما استيقظ من حلمه العنيف، استلقى على جنبه، وحيدا في المنزل داخل كيس النوم خاصته، مغطى ببطانية. المنزل مكشوف، الجو مظلم وغريب. كان يستدير في كل مرة شعر فيها بوجود أحدهم خلفه، محدقا إلى الظلام، إلى أن تمكن من رؤية صبي كئيب، والتقت أعينهما معا. تلاشت الرؤيا.

رقد إرلندور في الظلام، متأملا الحلم الذي أيقظه منذ فترة طويلة مع هذا الشعور الرهيب. لقد عرف الصبي في الحلم: إنه هو نفسه.

وصل إرلندور عند الظهر إلى المستشفى في نسكاوبستادور لرؤية هرونند. لم يرغب في إزعاجها، فجلس على كرسي بجانب سريرها وانتظرها حتى تستيقظ. لم يستطع التخلص تماما من القشعريرة التي أصابته عندما استيقظ في وقت مبكر من ذلك الصباح، وشرب ما تبقى من القهوة الباردة في الترمس. أسرع في التوجه إلى السيارة ليدفئ نفسه على جهاز التدفئة قبل التوجه إلى القرية لزيارة المسيح. كان ذلك روتينه الصباحي معظم فترة إقامته. لكنه استخدم الحمامات فقط، ولم تطأ قدماه المسيح. احترم الموظفون خصوصيته متمنين له صباحا جيدا من دون التطفل عليه أو التحدث معه. وقف هذه المرة لفترة أطول من المعتاد تحت الماء الساخن، في محاولة لتنشيط الدورة الدموية في جسده. بعد انتهائه من ارتداء ثيابه مرة أخرى، توجه إلى محطة الوقود لتناول طعام الفطور، وأعاد ملء الترمس قبل التوجه إلى نسكاوبستادور.

بالرغم من تصارعه مع الفرضية التي ابتكرها خلال الليل، إلا أنه تحمس للغاية عندما خطرت له للمرة لأولى، ولكن كلما فكّر في الأمر، شعر أنه غير قابل للتصديق. إذا كان هذا صحيحا، فذلك يعني التخلي عن العديد من مفاهيمه المسبقة، بما في ذلك حدسه المتعلق بعزرا. من ناحية أخرى، عرف ما يكفي عن البرد وتأثيره على وظائف الجسم، ولا سيما القلب والدورة الدموية، ليقدر أن بإمكانها التباطؤ إلى حد التوقف دون أن يؤدي ذلك إلى الوفاة أو حدوث ضرر، طالما تم التدخل خلال فترة مناسبة من الزمن.

فتحت هروند عينيها، وأدركت أن لديها زائرا. جلست باستقامة في سريرها.

قالت: "أنت مجددا؟".

أكد لها إرلندور: "لن أزعجك طويلا".

قالت: "لا بأس. الناس لا يصطفون لرؤيتي".

اعترف: "زيارتي ليست إثارية تماما".

"توقعت ذلك. لم أفقد قواي العقلية بعد. ما الأمر؟".

"تراودني العديد من الأفكار".

قالت هروند: "ولا أفترض أنها ستكون الأخيرة".

"قابلت عزرا مجددا، وتحديثنا مطولا. إنه رجل تعيس - وهو كذلك من فترة طويلة من الزمن".

"نعم، يمكنني تخيل ذلك".

"تحدثنا كثيرا عن صديقه يعقوب".

"هل أخبرك بالمزيد حول ميثلدور؟".

توقف إرلندور عن الكلام. وثق به عزرا أكثر من أي شخص آخر، ولم تكن لدى إرلندور نية خيانة ثقته. سيكون من الأفضل كتمان الحقيقة أو التهرب من الأسئلة، بغض النظر عن الشخص الذي طرحها.

"تكلم كثيرا عن ميثلدور وعن مدى اشتياقه إليها. كان مغرما بها. هل أقام علاقة مع أية امرأة أخرى في حياته؟".

أجابت هروند: "لا، أبدا. عزرا شخص انعزالي للغاية. هل علم المزيد بشأن ما حلّ بشقيقتي؟".

أجاب إرلندور: "لا شيء يمكننا التأكد منه حتى الآن. لكن ربما ستوضح الأمور مع مرور الوقت".



"حسنا، إن لم تكن تنوي إخباري بالتفاصيل، فلم أتيت إلى هنا؟".

قال إرلندور: "بسبب عزرا. هل أنت من أخبرني أنه عمل في المشرحة في إيسكيفنغدور بعد تخليه عن الصيد؟ بعد توقفه عن الإبحار برفقة يعقوب؟".  
قطبت هروند حاجبيها: "ربما ذلك. علمت أنه عمل هناك بعد الحرب، إن كان هذا ما تقصده بسؤالك".

"إذن، عمل هناك عند حصول الحادثة؟ عندما غرق القارب وعلى متنه يعقوب ورفيقه؟ كان هناك رجلان، أليس كذلك؟".

"نعم، حصل ذلك في عام 1949. تحطم قاربهما في طريق العودة إلى المنزل بسبب عاصفة عنيفة. غرق كلاهما".  
"ووضعت الجثتان في المشرحة؟".

"نعم، يُرجح ذلك".

"حيث عمل عزرا؟".

"نعم. على أي حال، يمكنك القراءة حول هذا في تقارير الصحف التي صدرت حينها إن أردت التأكد. توجد مكتبة عامة جيدة هنا. ما الذي ترمي إليه؟".  
"لا شيء".

"ماذا تعني بسؤالك عن المكان الذي عمل فيه عزرا؟".

قال إرلندور على عجل: "وهناك شيء آخر".

"ما هو؟"

"دُفن يعقوب في دجوبيفغور".

نعم، هذا صحيح".

"كيف يمكنني معرفة أسماء الأشخاص الذين حملوا نعشه؟".

"ماذا تريد؟".

"أريد معرفة أسمائهم".

"لماذا؟"

هز إرلندور رأسه.

"لمَ بحق الجحيم تريد معرفة أسمائهم؟".

تابع التحديق إلى هرونند بصمت.

سألته: "ألن تخبرني؟".

أجاب: "ربما لاحقاً. لست متأكداً الآن مما أفعله".

بعد مرور نصف ساعة، جلس أمام منضدة في مكتبة المدينة، يتصفح الصحف القديمة التي أحضرتها له أمينة المكتبة الشابة. تفحص إرلندور الصحف الوطنية والمحلية التي أُصدرت في وقت قريب من الحادث. وجد تقريرين مفصلين إلى حد ما عن حطام القارب في الصحف المحلية، مما أكد ما يعرفه بالفعل، لكنه أضاف إليه القليل من المعلومات. احتوت الصحف معلومات عن الرجلين اللذين توفيا غرقاً؛ أحدهما من غريندافيك، والآخر من ريكيافيك، على الرغم من أن عائلته تنحدر من المضائق الشرقية. أقيمت جنازته بعد يومين من الحادث.

وأرقت بالمقالة الثانية صورة غير واضحة لنعش يعقوب وهو يُخفض إلى داخل الأرض. لم يستطع إرلندور تمييز الوجوه، فقط المعالم المبهمة لحاملي التابوت الأربعة الذين ذُكرت أسمائهم في التعليق أسفل الصورة. ذكرت هيروند اسم الرجل المعني بشكل صحيح. بحث إرلندور في السجلات المحلية بمساعدة أمين المكتبة وسرعان ما تعقب أسرته. أعلنت أمينة المكتبة، بعد بحث سريع على شبكة الإنترنت، "تعيش ابنته في دجوييفغور".

انطلق إرلندور على الفور. جاور طريق السفر الخط الساحلي، مطلاً على عدد من المضائق الخلابة، ومتجاوزاً صفوفاً لا حصر لها من الجبال التي

تتميز بالطبقات الصخرية المنحدرة للمضائق الشرقية. كانت قرية دجوييفغور الصغيرة هي أقصى مستوطنة في جنوب المدينة، وعندما وصل إليها، بعد مرور ساعتين من القيادة، لم يجد صعوبة في العثور على المنزل المطلوب. توقف خارج فيلا جميلة المظهر وأوقف عمل محرك السيارة. سطم ضوء من خلف الباب الأمامي وآخر من نافذة المطبخ، لكنه لم ير أية حركة في الداخل. قرر تدخين سيجارة أخرى قبل أن يزعم الرجل. لقد دخن كثيرا خلال الأيام القليلة الماضية: كانت تلك السيجارة الثالثة منذ بدء رحلته.

تساءل عن كيفية شرح مطالبه أو كيفية تقديم نفسه وهو يصعد الدرج ويطرق الباب، لذا قرر أنه من الأفضل التمسك بالقصة المحلية التي خدمته جيدا حتى الآن.

لم يرد أحد على طرقة للباب، عثر على جرس الباب، وحاول رتبه بدلا من ذلك. أمكنه سماعه وهو ينافس صوت التلفاز. ضغط على الجرس مرة أخرى، ولاحظ أن مستوى صوت التلفزيون قد انخفض، ففتح الباب، ووقف رجل يرتدي قميصا أحمر اللون ونظر إليه من الأعلى إلى الأسفل.

سأله إرلندور: "هل آستا موجودة؟" وتساءل عما إن كان هذا زوجها. بدا أن الرجل قد شعر بالارتباك من زيارته، لم يكن الوقت متأخرا، بالرغم من أن إرلندور ظل يتفقد ساعته خلسة.

قال الرجل: "انتظر لحظة". واختفى داخل المنزل. علا صوت التلفاز مرة أخرى، وسرعان ما ظهرت امرأة صغيرة الجسد. افترض إرلندور من مظهرها أنها كانت مستلقية أمام التلفاز، ارتدت فوق جسدها الممتلئ بذلة رياضية مريحة، وقد بدا على عينيها النعستين أنها قد شعرت بالدهشة لتلقيها زيارة من رجل غريب في هذه الساعة من المساء.

سأل إرلندور: "هل أنت آستا؟".

"نعم".

"ابنة الصياد آرمان فريدريكسون؟".

"نعم. كان والدي يدعى آرمان". بدا وكأن هنالك نبرة تردد في صوتها.

قال إرلندور: "كنت أتساءل عما إن كان بإمكانني أخذ بعض الدقائق من وقتك. أردت سؤالك إن كنت قد سمعت والدك ذات مرة يتكلم عن حادثة تحطم قارب صيد في البحر حدثت في إيسكيفنغدور عام 1949".

"تحطم قارب صيد؟".

"وأيضاً عن جنازة إحدى الضحيتين التي أقيمت هنا في دجوييفغور. سمعت أن والدك كان أحد حاملي التابوت. كان اسم الرجل المتوفى هو يعقوب راغنارسون".

بعد تردها للحظات، دعته آستا أرماندسوتير للدخول بدافع الفضول بشكل رئيسي، اقترحت عليه الجلوس في غرفة الجلوس، لكنه فضّل الجلوس في المطبخ، جلس على كرسي بجوار الطاولة. أمكنه رؤية ضوء التلفاز يومض من الغرفة الأخرى حيث جلس زوج آستا، واسمه إيريكور هورليفسون وفقا للوحة الموجودة على الباب الأمامي، لم يكن بالإمكان رؤيته من وراء الأريكة، بدا أنه مندمج بمشاهدة دراما جنائية بريطانية. أعدت آستا القهوة المركزة لضيفها، ووضعت كعكة زبيب إسفنجية على الطاولة، تناول إيرلندور قطعة منها بدافع التهذيب، بالرغم من أنه لم يكن مُحباً للحلويات.

اعتذر لقدمه من دون موعد، وأوضح أن لديه اهتماما خاصا بتحطم المراكب في المضائق الشرقية. وقع أحدها عام 1949 عندما غرقت سفينة سيغورلينا من اسكيفودور مع الطاقم بكلمه. في أثناء البحث الذي أجراه، لاحظ أن والد آستا آرمان يعرف يعقوب، أحد الرجلين اللذين ماتا، وساعد في حمل التابوت في جنازته. تعرفت آستا على الاسم.

سأل إيرلندور: "هل تكلم معك أو مع أخويك بخصوص تلك الحادثة؟". علم من السجلات أن لدى آستا أخوين.

أجابت: "يعيش كل منهما في ريكيافيك. يمكنك الاتصال بهما إن أردت، لكنني لا أعلم إن كانا يعلمان شيئا. لم يتكلم والدي كثيرا بشأن الحادثة كما أذكر. على الأقل ليس إلينا نحن الأولاد. في الحقيقة، لم أكن قد وُلدت حينها. لربما تناقش بالأمر مع أصدقائه، لكنه لم يكن كثير الكلام".

"هل لديك فكرة كيف تعرف والدك إلى يعقوب؟".

"عملا على متن قارب هنا في دجويغفور لعدة سنوات. ثم انتقل يعقوب لكنهما بقيا على تواصل من وقت إلى آخر".

"هل تعلمين ما إن كان والدك قد تأثر عند سماعه نبأ وفاة يعقوب؟".

استهجنت آستا السؤال وأجابت: "غالبا ما يبهر الصيادون هنا في ظل ظروف جوية سيئة. وكثيرون منهم لم يرجعوا من البحر أحياء، هذه هي طبيعة الحياة في قرية صيد. لا أظن أن والدي قد سمح لنفسه بأن يصبح عاطفيا، لم تكن الأمور تجري بهذه الطريقة حينها. هل أنت مهتم بالوالدي؟".

أجاب إرلندور: "لا، ليس تماما. لكن هل تذكرين ما إن كان قد تكلم عن تفاصيل غير اعتيادية متعلقة بالحادثة؟".

"لا أعتقد ذلك".

مكتبة

t.me/t\_pdf

"لا شيء يخص الجنازة؟"

"لا، لا أعرف. ما الذي ترمي إليه؟".

"تناقشت بكل هذا مع بعض الناس من إيسكيفوردور، بمن فيهم امرأة تذكرت على نحو مبهم أن والدك قد سمع - أو ظن أنه قد سمع - ضجة قادمة من التابوت عندما كانوا يخفضونه إلى داخل الأرض".

تمعنت المرأة في إرلندور قليلا، وأخيرا قالت: "لم يخبرني أحد بذلك قط".

"لا، أنا لست متفاجئا. يبدو أنها رواية امرأة مسنة انتشرت بعد ما حصل ليعقوب. فقد زوجته، وكانت هناك شائعات تفيد أن شبحها قد طارده. وعلى الأغلب كانت تلك بداية القصة".

"حسنا، هذه أول مرة أسمع فيها بهذا الموضوع. علمت أن زوجة يعقوب قد توفيت، لكن أبي لم يتفوه بأية كلمة حيال هذا. حسنا، ليس على حد علمي. هل أنت متأكد من أنه كان والدي؟".

"توقعت أن تكون القصة مشوهة بعض الشيء، ربما هو شخص آخر، أو القصة برمتها من نسج مخيلة أحدهم".  
"لكنك لا تعتقد ذلك؟".

أجاب إرلندور بسرعة: "لم لا أعتقد؟ فالأمر لا يعدو عن كونه تفصيلاً صغيراً من الحادثة. أردت سؤالك عنه في حال أنك علمت شيئاً".  
"حسناً، لا أعرف شيئاً".

"هل تكلم من قبل عن يعقوب وزوجته ميثلدور؟".  
"لا".

"هل هناك أحد من أصدقاء والدك لا يزال على قيد الحياة؟".  
"لا، باستثناء ثوردور".

يسكن ثوردور مع ابنه وزوجته على بُعد دقيقتين سيراً على الأقدام من منزل آستا. بعدما حصل على عنوانه، نهض إرلندور وودّعها بسرعة، وأضاف من باب اللباقة أنه لا يرغب في إزعاجها أكثر من ذلك. حرص على تجنب زرع أي بذور للشك في داخلها. كان زوجها لا يزال يجلس أمام التلفزيون. صدر صوت طلقات نارية وصراخ من التلفاز. لسوء الحظ، أدى رحيل إرلندور بتلك الطريقة الخرقاء إلى جعل آستا أكثر فضولاً بشأن غرض زيارته الغربية وطلبه، وأجبر على الإجابة أو تفادي مجموعة كبيرة من الأسئلة حول والدها، ويعقوب وزوجته ميثلدور، حول حطام السفينة، وسبب اهتمام إرلندور إلى تلك الدرجة بالحادث إضافة إلى الأطراف المعنيين. شعر بأنها تخوفت من التحدث معه، وقبل أن يعلم أن شكوكها كانت موجهة بشكل خاص إلى العلاقة بين ميثلدور ووالدها، لم يتمكن من معرفة من أين نبع هذا التطور، وحاول دون جدوى إزالة سوء الفهم في أثناء توقفه مؤقتاً عند المدخل. لكنه ترك المرأة تقف عند مدخل منزلها في حيرة.

يبلغ ثوردور الخامسة والثمانين من العمر، ويعيش في عالم من الصمت. لقد كان أصم كالعمود، ولا يمكن لأي جهاز سمع أن يساعده على السمع الآن. كل ما أمكنه سماعه هو مونولوجه الداخلي، الذي لم يتردد في مشاركته. في الواقع، لم يشعر بالخجل من التحدث، ومال في معظم الوقت إلى الصراخ، كما لو أنه يريد التأكد من عدم تفويت أحدهم ما قاله، حتى لو لم يستطع أن يسمع ذلك بنفسه.

عاش ثوردور في قبو صغير في الطابق السفلي خصصه له ابنه في منزله. أرشد الابن إرلندور إلى الطابق السفلي وتركهما بمفردهما. تكلم إرلندور عن بحثه في حطام المراكب، وكرر ذلك لثوردور الذي بدا سعيدا بالزيارة غير المتوقعة. كانت شقته عبارة عن غرفة كبيرة تحتوي على سرير كبير نوعا ما، وتلفاز، ومكتب، ومغسلة. تكدست الكتب في كل مكان في الشقة.

اتضح أن التواصل مع الرجل العجوز الأصم سهل للغاية. وضع على مكتبه أوراقا وأقلام رصاص، كتب إرلندور أي شيء أراد قوله أو السؤال عنه ومرره إلى ثوردور الذي أجاب على الفور.

كان التعليق الأول الذي كتبه إرلندور بعد أن عرّف عن نفسه وعن سبب قدومه: "يمكنني رؤية أنك تحب القراءة".

ابتسم ثوردور. بغض النظر عن صممه، فقد بدا أنه تمتع بلياقة عالية وذكاء حاد. كان أصلع تماما، استنشق نوعا خاصا من التبغ بفتحتي أنفه، ولفظ حرف الراء بطريق غريبة وصوت أجش.

قال بصوت مرتفع: "هذا صحيح. جمعت الكتب لسنوات. لكنني أشك في أن أحدا سيهتم بها بعد وفاتي. سينتهي معظمها في القمامة".  
كتب إرلندور: "يا للأسف".

وافقه ثوردور الرأي وأضاف: "يمكنني تذكر الحادثة بوضوح، ويمكنني تذكر حوادث أخرى أسوأ منها حصلت مؤخرا".



كتب إرلندور: "هل تتذكر الجنازة التي أُقيمت في عام 1949؟". حرصاً منه على إبقاء ثيوردور على المسار الصحيح.

أجاب ثيوردور: "لا، لم أكن حاضراً. كنت أبحر على متن قارب خارج هوفن؛ موطني في تلك الفترة. لكنني سمعت كل شيء عنها بالطبع. لا بد أن الطقس كان عاصفاً؛ عاصفة شمالية وصقيع مريع. أبحرا بالقرب من الشاطئ، وتمكن الناس من رؤية ملامح الرعب على وجهيهما. إذا كنت أتذكر جيداً، فقد توقف محرك ذلك القارب الصديء عن العمل في أسوأ لحظة ممكنة، وتحطم القارب إلى أشلاء. ألقى الرجلان في البحر. أشك في أنهما أجادا السباحة، لكن إجادتهما للسباحة ما كانت لتساعدهما. لا بد أن الناس تمكنوا من سماع صرخاتهما طلباً للمساعدة من الشاطئ. بالطبع فعلوا كل ما في وسعهم لإنقاذهما، ولكن الظروف كانت سيئة للغاية، واضطروا للاستسلام. في النهاية، توقفت الصرخات".

التقط ثوردور علبة التبغ وعرضها على إرلندور، الذي أمسك حفنة بأصابعه واستنشقه بأنفه. وضع ثوردور خطاً عريضاً من التبغ على ظهر يده واستنشقه بفتحتي أنفه.

قال وهو يتلاعب بعلبة التبغ، وكأنه أراد إبقاءها قريبة: "لا بد أن مشاهدة ذلك كانت مروعة. مروعة للغاية. أعني عجزك عن مساعدتهما بأية طريقة".  
أوماً إرلندور موافقاً إياه الرأي.

"جرفت الأمواج الجشئين إلى الشاطئ، كما هو متوقع عند تحطم قارب، وتم نقلهما إلى مشرحة القرية. أعتقد أنهما وُضعا على ألواح أشبه بالنقالة. كانت الفكرة هي الحفاظ على الجشئين مستقيمتين في أثناء تبيسهما. أعتقد أن هذا هو السبب".

كتب إرلندور: "وتم توثيق وفاتهما؟".

"أجل، أعتقد أنه كان هنالك طبيب مختص في القرية في ذلك الوقت، ما إن نظر إلى أعينهما حتى تأكد له موتهما، بعدها وُضعا في نعشين، ودُفن أحدهما في فناء الكنيسة".

"كيف عرفت كل هذه التفاصيل؟"

"من زميل لي اسمه آرمان. كان يعيش هنا في دجوبيفغور؛ صديق مقرب لي. توفي منذ سنوات بسبب سرطان الرئة. كلانا كنا نعرف أحد القتيلين - يعقوب - بالرغم من أن آرمان عرفه أكثر مني".

كتب إرلندور: "كيف تعرفت إلى يعقوب؟".

"كنت ألتقي به في المدينة في شبابنا. لكنني لم أعرفه جيدا. في الحقيقة، لم يكن لديه الكثير من الوقت لهذا النوع من الأشياء. وُلد في ريكييفيك، اعتز بنفسه كثيرا، كان زير نساء، واعتاد التفاخر بالأمر كما يفعل الشباب، وقع في بعض المشاكل بسبب بعض الفتيات اللواتي أغراهن، كان يتعد عنهن بعد أن يقضي وطره منهن، لكنه كان يصب جام غضبه عليهن إن تجرأن على النظر إلى شخص آخر، وهذا ما جعل منه شخصا بغیضا للغاية".

كتب إرلندور: "هل كان آرمان أحد الرجال الذين حملوا نعشه؟".

"نعم، هذا صحيح. دُفن بالقرب منه لاحقا. نظّم بيتور، أحد رفاقه - أعتقد أن هذا اسمه - حملة جمع تبرعات بين الصيادين وأصحاب القوارب في القرية".

كتب إرلندور: "يفترض أن آرمان سمع ضجة قادمة من التابوت".

قال ثوردور مخفضا صوته فجأة: "إذن سمعت عن ذلك؟ قلّة من عرفوا بهذا الموضوع. وجدته الناس أمرا محرجا. توقف آرمان عن الحديث بشأنه لاحقا، لكن أدى ذلك إلى ظهور مختلف قصص الأشباح حول زوجة يعقوب المتوفية؛ أنها دخلت إلى نعشه وهكذا".

"يقول الناس إن شبحها قد طارده".

"هذا صحيح. تسبب في الحادثة أيضا. لكنني لا أعرف السبب الذي قد يدفعها للانتقام منه".

كتب إرلندور: "ما الذي سمعه آرمان بالضبط؟".

أجاب ثوردور: "لا أعلم حقا. كان شخصا غامضا للغاية".

"أعتقد أنه سمع نواحا".

"لا، هذا هراء. لم يسمع شيئا كهذا. سألته ذات مرة، قبل أن يتوفى بفترة قصيرة، لكنه لم يكن على استعداد للتحدث بالموضوع. ينتابني شعور بأنه ندم على ذكره الموضوع لأحد. لا، كان أشبه بالغاز".

"غاز؟".

"كما لو أنه بقي بعض الغاز في جسده، وهذا منطقي للغاية لأن الرجل دُفن بسرعة بعد وفاته. هذا ما ظن آرمان أنه قد سمعه. ليس نواحا. هذه قصة أشباح اخترعت لاحقا. وادعى آخرون أن الجثة قد تحركت داخل التابوت".

تجهم إرلندور: "لم يبدو لي أن ابنة آرمان قد عرفت أيا من هذا".

قال ثوردور: "أخبرني آرمان أنه تمنى لو أبقى فمه مغلقا حيال هذا الأمر

حينها. بالطبع لا ترغب ابنته في الاعتراف بالموضوع، بل تريد طي القصة".

كتب إرلندور: "ربما ذلك".

قال ثوردور: "لم أسمع قط عن أي نواح. كان ذلك سيتطلب قوة

لإنسانية للصمود أمام كل ذلك".

قال إرلندور بصوت عالٍ دون تفكير: "نعم، هذا صحيح".

قال ثوردور: "هناك قصص عن أشخاص تمكنوا من النجاة في تلك

البرودة. سمعت ذات مرة عن حطام سفينة قد حصل غربا، يشبه الحادثة التي

تحدث عنها؛ سقط ثلاثة رجال من قارب التجذيف بالقرب من الشاطئ.

نُقلت الجثث من البحر ووُضعت طوال الليل في مشرحة القرية. كان الطقس متجمداً، لكن عندما ذهبوا لتفقد الجثث في اليوم التالي، تبين أن اثنين من الرجال تمكنوا من النزول إلى الأرض في أثناء الليل، رغم أنهما لم يتمكنوا من الابتعاد أكثر من ذلك. لكن الثالث، الذي عاش لفترة أطول منهما، تمكن من الوصول إلى الباب قبل أن يتجمد حتى الموت.

قاد إرلندور سيارته ببطء في طريق العودة إلى إيسكيفنغدور. كان مشغول البال لدرجة أنه سرعان ما توقف على جانب الطريق حيث جلس في السيارة يفكر في ما يجب القيام به. أشعل سيجارة، وشرب بعض القهوة الفاترة من الترمس، كان ذلك تقريبا كل ما تناوله طوال اليوم، لكنه لم يكن جائعا. بدلا من ذلك، شعر بالكثير من التوتر الذي علم أنه سيتعين عليه إرضاءه عاجلا وليس آجلا.

كان هناك مسار واحد واضح عليه أن يسلكه، لم يعجبه ذلك، ولكن مهما فكر بحثا عن بديل، فقد كان يتوصل دائما إلى النتيجة نفسها، أراد إجابات واضحة، لكنه أراد أيضا حماية مصالح أولئك الذين وضعوا ثقتهم فيه. لم ير أي سبب حتى الآن لإشراك السلطات المحلية في تحقيقه، بالرغم من أدلة الابتزاز والقتل التي كشف عنها.

شعر إرلندور دائما أن بعض الجرائم قد تظل مخفية، طالما أن هذا لا يتعارض مع المصلحة العامة، وهذا ما حصل في هذه الحادثة. تجنب جعل النتائج التي توصل إليها رسمية لأطول فترة ممكنة. في نهاية الأمر، لم يكن التحقيق رسميا. وقد دفعه الفضول الفطري والهوس بقضايا الأشخاص المفقودين إلى الخوض في حادث قديم أكثر مما كان يتصوره، لكنه لم يبحث عن جريمة: في هذه الحالة، عثرت عليه الجريمة.

لو لم يسافر سعيا منه لمتابعة الشكوك والشائعات، فإنه سيتعين عليه متابعة الأمر عبر الجهات الرسمية، وهذا يعني إقناع سلطة واحدة تلو الأخرى بما يعرفه، دون أي دليل ملموس. سيُطرح طلبه أمام عدد لا يُحصى من

اللجان والقضاة، وسيُجبر على حضور اجتماعات لا نهاية لها والانخراط في مشاحنات لا يستطيع ببساطة مواجهتها. بقي مقتنعا أنه حتى لو أبلغ السلطات المحلية بكل ما اكتشفه وأخذ طلبه بعين الاعتبار، فإنه من غير المحتمل أن يحصل على موافقة رسمية.

استنتج تدريجيا أنه لم يكن يحقق في جريمة واحدة بل في جريمتين، وأنهما تختلفان من ناحيتين مهمتين. بالطبع كانتا مرتبطتين، ما من شك في ذلك: فالأولى أدت إلى حصول الثانية. كانت الأولى قائمة على شهادة رجل واحد؛ عزرا، وسيكون من المستحيل إثباتها. لم يكن هناك شاهد لتأكيد ادعائه، ولا دليل ملموس، ولم يتم العثور على أية جثة، ولم يعرف أحد المكان الذي دُفنت فيه. اختلفت الجريمة الثانية من ناحية عدم وجود إفادة شاهد، ومن غير المؤكد أن هناك جريمة قد ارتكبت بالفعل؛ فقط شك يتسم بالغموض. لكن في هذه الحالة، اعتقد إرلندور أنه كان يعرف مكان دفن الدليل. كل ما كان عليه فعله هو وضع يده عليه.

استدار بسيارته على الطريق المهجورة ليعود إلى دجوييفغور. عندما كان يقود سيارته، تذكر إرلندور أنه قرأ سابقا حول امرأة أُكِّدت وفاتها رسميا ووُضعت داخل كيس جثث، لكنها استيقظت بعدها وهرعوا بها إلى المستشفى. وسمع أيضا عن أشخاص في أميركا الجنوبية طلبوا قطع معاصمهم بعد الموت خوفا من الاستيقاظ في نعوشهم. حتى إن هناك مصطلحا طبييا للخوف من الدفن حيا: التافيفوبيا. أطلقوا اسم متلازمة لازاروس على الأشخاص الذين استعادوا وعيهم بعد الموت. حتى إن هناك حالاتٍ مسجلة لأشخاص استيقظوا في أثناء تشريح جثثهم.

ركن إرلندور سيارته بجوار المقبرة في دجوييفغور، وتأمل المشهد الهادئ، الذي أصبح بالكاد مرئيا الآن بسبب الظلام. أحضر معه قنديل الغاز

والمجرفة، كانت المقبرة صغيرة إلى حد ما، لذلك علم أن الأمر لن يستغرق وقتا طويلا لتحديد موقع قبر يعقوب، ولم يستطع التفكير في وقت أفضل للتعامل مع مهمته أكثر من الآن، الليلة. ذهبت وساوسه الآن إلى غير رجعة. لقد اجتاز صعابا كثيرة وما كان ليبيدي شيئا من التحفظ في الوقت الراهن.

تساقط القليل من الثلج هنا في أقصى جنوب المضائق، كان الطقس معتدلا وجافا معظم فصل الخريف، ولم يغط الثلج الأرض وهذا ما سيجعل مهمته أسهل. تفقد ساعته. كلما أسرع، انتهى خلال وقت أبكر. يجب أن يُنهي مهمته قبل طلوع الفجر، وعليه التأكد من عدم ترك آثار تدل على فعلته.

خرج من السيارة حاملا القنديل بيده، جلب المجرفة من المقعد الخلفي وتوجه نحو المقبرة. لم يُرد إضاءة القنديل إلا عند الضرورة. تقع المقبرة بجانب الطريق الرئيسي، أعلى منه بقليل، ولحسن الحظ بعيدا عن أنظار أهل القرية. كانت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل. أعدّ إرلندور نفسه لقضاء ليلة طويلة.

أمكنه سماع نباح كلب من بعيد، شرد قليلا واستمع، ثم استمر بعمله. كانت المقبرة محاطة بسور حديدي، يمكن الدخول إليها من البوابة الخشبية التي تدلى جرس من أعلاها. لمح كوخ معدات على يمينه. أشرفت الصنوبريات الطويلة على القبور التي شكّل معظمها تلالا حملت شواهد قبور أو صلبانا. تقع الأراضي التي تعود إلى منتصف القرن العشرين في الخلف.

مشى على طول صفوف القبور بعد أن أضاء القنديل، ووجهه نحو شواهد القبور لقراءة النقوش، وسرعان ما وصل إلى شاهد قبر صغير منبسط على الأرض نُقش عليه اسم يعقوب وتاريخ وفاته. أخفض الإنارة إلى حدّ مناسب، تفحص محيطه بحذر محاولا معرفة ما إن كانت هناك أصوات نباح، ثم باشر العمل وغرس المجرفة في العشب الرطب.

سبق له أن نبش قبرا في ظروف مختلفة للغاية. وقتها كان قد مر بجميع الجهات المعنية الصحيحة وامتلك حفارا ميكانيكيا لحفر القبر، في مقبرة على الساحل الجنوبي، لقد كان نعش فتاة شابة توفيت بسبب مرض نادر، عادت أفكاره إليها على مر السنين، تركت تحقيقاتٌ لا حصر لها بصماتها عليه بطرق مختلفة، لكن لم يدفعه أحدها إلى زيارة مقبرة سرا تحت جناح الظلام، مسلحا بمجرفة.

وضع إرلندور الشجيرات التي قطعها على جنب بحذر شديد، عازما على استبدالها وعدم ترك أي أثر قدر الإمكان. لم تقاومه الأرض كثيرا، إذ إنه جرف التراب الرطب الناعم بسهولة بمجرفته، وعمل بثبات لمدة ساعة تقريبا قبل أن يقرر أخذ استراحة للتدخين، متكئا على قبر مجاور.

قام بعدها بجولة أخرى من الحفر قبل أن يقرر أخذ استراحة ثانية. كان هناك ما يكفي من القهوة في الترمس لملء نصف كوب، لكنه لم يكن ذلك كافيا لإرضاء جوعه الذي وصل إلى أوجه الآن. كانت سماء الليلة غائمة، ولم يكن هناك قمر، وذلك جيد في ظل تلك الظروف. لم تكن لديه أية فكرة عن العذر الذي يمكن أن يقدمه إذا رآه شخص ما ينبش القبر، لكنه استمر في الحفر بغض النظر، محاولا عدم ترك أية فوضى قدر استطاعته. فجأة، اصطدم نصل المجرفة بالخشب. كان القبر ضحلا أكثر مما توقع، حفر بعزم أكبر إلى أن وصل إلى نعش يعقوب، مسح الأتربة بسرعة. لقد كان صندوقا خشبيا عاديا مصنوعا من خشب غير مطلي ورخيصٍ السعر، ولكن في ظل الإضاءة الضعيفة للمصباح بدا سليما إلى حد ما.

تكون غطاء التابوت من أربعة ألواح عريضة. أدخل إرلندور نصل المجرفة أسفل أحدها وحاول رفعه. لم يبدِ خشب التابوت أية مقاومة تُذكر، وتكسر تحت الضغط. أدخل المجرفة تحت اللوح التالي وتمكن من انتزاعه أيضا. كانت المسامير قد تخلخلت بمرور الوقت وفسد الخشب، لذا كان



الثقب الموجود في الغطاء كبيراً بما يكفي لرؤية ما في داخل التابوت.

تناول القنديل من أعلى الحفرة، زاد من اشتعاله وسلطه نحو التابوت حيث ظهر هيكل يعقوب. دُهِش على الفور من طريقة اصطفاف العظام الغريبة. نظراً لكونها منحرفة عن مكانها، فقد بدا أن رأس الرجل الميت قد ارتدّ إلى الوراء، وسقط الفك السفلي عن الجمجمة كما لو أنه توفي فاغر الفم. برزت الأسنان العلوية، ولكن القواطع الأمامية كانت مفقودة. وُضعت يدا الهيكل العظمي على رأسه، وكانت الأصابع مضمومة وملتوية، انحنت العظام في اتجاهات مختلفة. قَرَّب القنديل ليتفحصها عن كثب، فتبين له أن الإصبع الأوسط من اليد اليمنى قد قطع. عندما قرب القنديل أكثر وتفحص باقي الهيكل العظمي، لاحظ أن الساقين قد ابتعدتا عن بعضهما، بدلاً من أن تمتدا على نفس السياق.

انحنى إرلندور نحو الأسفل موجهاً قنديله إلى داخل التابوت وتفحص الخشب. هل يمكن الأخذ بأي من هذه الأدلة لتأكيد شكوكه؟ نهض مجدداً، وجّه الضوء إلى بقايا يعقوب مرة أخرى. نظر إلى اليدين الملتويتين والإصبع المفقود. تذكر سماعه أن يعقوب قد عانى من رهاب الأماكن المغلقة.

بعد ذلك، التقط أحد ألواح الغطاء الخشبية، الذي انكسر في أثناء فتحه للتابوت. زاد من اشتعال القنديل، تفقد القسم الذي كان يتوضع مباشرة فوق وجه يعقوب. اكتشفت أصابعه خدوشاً على السطح، وعلامات لا ينبغي أن تكون هناك. لم تكن هناك علامات في مكان آخر. عندما اقترب من الخدوش الغريبة، أمكنه أن يقسم إن بعضها يعود إلى علامات أسنان. وجّه القنديل نحو الإصبع المقطوع مرة أخرى وتجهّم وجهه عندما تخيل المعركة اليائسة التي خاضها في فناء الكنيسة الصغير ذاك: التخديش بلا جدوى، الصراخ الذي لم يسمعه أحد، والهواء يتناقص من حوله شيئاً فشيئاً.

بعد مرور أقل من ساعتين، كان مبتلا بالكامل ومغطى بالطين من رأسه إلى أخمص قدميه، أعاد إرلندور المجرفة إلى السيارة، وجلس خلف المقود. على الرغم من أنه بذل قصارى جهده لإخفاء كل علامات تطفله على القبر، إلا أنه بقي من الواضح أن القبر قد تم العبث به. حتى بعد أن جرف كل التراب إلى داخل الحفرة، لم يتمكن من جعله مسطحا تماما. سيستغرق الأمر بعض الوقت لإعادة التربة إلى مستواها السابق. استبدل الأعشاب الموجودة أعلى القبر، على أمل ألا يقوم أحد بزيارة المقبرة لفترة من الوقت. إن كان محظوظا، فسيظل القرويون في حالة صحية جيدة، وستساقط الثلوج بكثافة فوق دجويغفور طوال فصل الشتاء، وستتراكم طبقات من الثلوج العميقة حتى فصل الربيع. انتابه شعور بالخجل مما قد فعله، ولم يكن يريد أن يكتشف أحد ذلك، لكنه لم يندم أبدا.

توجه إلى إيسكيفنغدور. لم يستيقظ سوى قلة من الناس في ذلك الوقت المبكر، لذا لم يلتق سوى ببضع سيارات. في بعض الأماكن، تشكلت انجرافات ثلجية صغيرة، ولكن قاد سيارته بسلاسة على الطريق. استمتع بالدفء المنبعث من جهاز التدفئة واستمع إلى الموسيقى الهادئة على الراديو وهو يراجع ذهنيا الجريمة الوحشية التي كشف عنها في المقبرة.

تحولت السماء إلى اللون الرمادي عندما عاد إلى المزرعة المهجورة، ليذحف داخل كيس النوم، ويلف البطانية بعناية حول نفسه قبل أن يرقد مرهقا. لم يكن يتوقع أن يواجه أية صعوبة في النوم، بالرغم من الألم

والتصلب الناتجين عن حفره بالمجرفة. لقد عمل كالرجل الممسوس خوفاً من أن يراه أحد، ولم يتباطأ حتى استبدل جميع الشجيرات والأعشاب فوق القبر. شعر بالألم في ذراعيه وساقيه، وأُصيبت راحتا يديه بالتقرحات. لقد مرت سنوات منذ آخر مشاركة له في مثل هذا المجهود البدني العنيف.

بالرغم من كل هذا التعب إلا أنه لم يتمكن من النوم. شعر بالغضب كلما فكر في عزرا، في المشرحة حيث وُضعت الجثث، يعقوب في نعشه، ولغز ميثلدور. لم يكن متأكداً مما يجب فعله بالمعلومات التي اكتشفها بطريقة مروعة. قرر فور استيقاظه أن يذهب ويتكلم مع عزرا بالموضوع، ربما من شأن هذا تحديد خطوته التالية. كان هناك العديد من الأسئلة التي أراد طرحها على الرجل العجوز حول ما حدث في المشرحة منذ فترة طويلة. في نهاية الأمر، كانت الدلائل تشير إلى أن عزرا قد عرف جيداً أن يعقوب كان على قيد الحياة عندما أُغلق غطاء التابوت فوقه.

قد تصبح الحالات التي استيقظ فيها الأشخاص بعد إعلان وفاتهم رسمياً عرضة للإهمال. ولكن بالنسبة إلى يعقوب، فقد تبع إيرلندور حدسه، لذا لم يقع ضحية الإهمال، بل اجتاحه شعور عارم بضرورة التحري عن الأمر. كان لكلمات عزرا دور في ذلك، إلى جانب سماع آرمان بعض الأصوات خلال الجنازة، تُضاف إلى ذلك خبرة إيرلندور الخاصة ومعرفته بانخفاض حرارة الجسم. حقيقة أن عزرا تمتع بإمكانية الوصول المباشر إلى المشرحة لم تؤدِ إلا إلى تأجيل شكوكه، إضافة إلى قصة ثوردور عن الرجال الثلاثة في غرب أيسلندا الذين تم تأكيد موتهم رسمياً، ولكنهم نهضوا من توابعهم وحاولوا عبثاً إعلان أنهم ليسوا موتى. في النهاية، كانت قناعة إيرلندور قوية جداً لدرجة أنه شعر بضرورة التحرك، مهما يكن الثمن، لم يكن يسعى وراء أعذار، ولكن إيجاد تفسير لما فعله. وماذا اكتشف؟ ماذا حقق كل ذلك التحري في الكنيسة؟

وجد إجابة عن السؤال الذي أثار إزعاجه: لقد دُفن يعقوب حيا بالفعل. أصابته القشعريرة في عموده الفقري عندما أدرك ما كان يراه، أدلة على اليأس، والمعاناة الرهيبة في وضعية الهيكل العظمي؛ اليدان المرفوعتان، والرأس المدفوع إلى الخلف، والفم الفاجر. على الرغم من أنه كان ميتا أكثر من حي بعد غرقه في البحر المثلج وقضائه الليل في المشرحة، إلا أن يعقوب وجد القوة اللازمة لخدش خشب غطاء تابوته. لا بد أن تمسكه بالحياة كان هائلا؛ وفاته محنة لا توصف.

لكن ما عجز إرلندور عن اكتشافه من التابوت دافعا إياه إلى البحث عن تفسير له في مكان آخر، هو سبب دفن يعقوب حيا. هل كانت تلك مصادفة أم عملا مقصودا؟

بالرغم من استحالة معرفة ذلك، إلا أن إرلندور اعتقد أنه كان على دراية جيدة برجال من نوع عزرا. ومع ذلك، فقد وثق بأن الرجل العجوز لا يشبه أيا من المجرمين الذين صادفهم. لم يكن عزرا ساذجا ولا عنيفا. كان مثل الغالبية العظمى من المواطنين العاديين الذين واجههم إرلندور، المواطنين الذين لم يتلقوا مخالفة سير واحدة، ولكن هل امتلك في مكان ما في داخله الإرادة لارتكاب فظاعة مثل تلك التي كشفها إرلندور للتو؟

إذا كان كل ما قاله عزرا صحيحا - إذا قتل يعقوب ميثلدور ورفض الكشف عن مكان إخفاء جثتها - فمن المؤكد أنه سعى للانتقام. بعد سبع سنوات حُسم مصير يعقوب. ولكن ما الدور الذي أداه عزرا؟ هل علم أن يعقوب حي؟ هل تبادل أية كلمات؟ هل أخبر يعقوب عزرا عما فعله ببقايا ميثلدور؟

يمكن لرجل واحد فقط الإجابة عن هذه الأسئلة، ونوى إرلندور التحدث إليه في أقرب فرصة ممكنة.

"لماذا أنت مستلقٍ هنا؟".

تكرر السؤال بلا هوادة على فترات. لكنه تجاهل الأمر إلى أن سُئل مرة أخرى. ازداد إصراره في طرح السؤال، ولم يعد بإمكانه تجاهله. لقد كوّن صورة في ذهنه حول المتطفل، من المرجح أن يكون مسافراً ضلّ طريقه، ليجد نفسه بمصادفة غريبة على الشواطئ الغربية التي جرفته. مثل بواس بجانب أنقاض أوردار كليثور.

لكن هذا ليس "بواس" بل غريباً. لم تكن لديه إجابات من شأنها إرضاء المسافر وغضب من تطفله. علاوة على ذلك، شعر بحضور شخص غريب خلف ظل الرجل، يختبئ في الخلف. شعر أن حضوره يزداد قوة، دون أن يتمكن من معرفة من الذي يمكن أن يترصد به من هناك.

كل ما عرفه هو أنه شعر بالخوف منه.

سأل الصوت: "هل يُفترض بك الاستلقاء هنا؟".

"لم لا؟".

"هل تعتقد حقاً أنه يجدر بك الاستلقاء هنا؟".

"نعم".

سأل الرجل: "لم؟".

"لأنه...".

"ماذا؟".

سأل إرلندور: "من برفقتك؟".

"هل ترغب في لقائه؟".

"من هو؟".

"يعود الأمر لك. يمكنك لقاءه إن رغبت في ذلك".

"من هو؟ لماذا يخبئ؟".

"إنه لا يختبيئ. بل أنت من يبقيه بعيدا".

بدأ المسافر يتلاشى، يتراجع إلى الخلف، وتذكر حينها أين رآه من قبل.

سأل بحذر: "هل هذا أنت؟".

"أنت تذكرتني؟".

قال: "لا ترحل، لا ترحل". مع أنه خاف من الرجل.

"لن أذهب بعيدا".

"أرجوك ابق، أخبرني من معك. من أين أتى؟ من هو؟".

استعاد وعيه شيئا فشيئا، وأدرك مقدار البرد حوله، لا يزال الصدى

الخافت لصرخاته الصامتة يرن في أذنيه. استغرق الأمر منه وقتا طويلا حتى

تذكر مكانه. لم يكن جسده خدرا فحسب ولكن البرد أثار على دماغه؛ كانت

أفكاره مشتتة وغير عقلانية. لم يشعر بالقلق بسبب هذا. لم يعد يشعر بالقلق

مؤخرا.

يدفعه البرد إلى البحث عن أفكار دافئة، يتذكر الطرق القديمة لمد الجسد

بالحرارة، والطرق التي قرأها في كتابه. إن أكثر الوسائل شيوعا وفعالية، عندما لا

يتوفر أي شيء آخر، كان استخدام حرارة جسمه لتدفئة ضحايا انخفاض حرارة

الجسم، سواء كانوا بحارة تم إنقاذهم من البحر أم أشخاصا فقدوا في عواصف

ثلجية. خلع رجال الإنقاذ جميع ملابسهم واستلقوا بجانب الضحايا، وأحاطوا

بهم أحيانا من كلا الجانبين، مستخدمين حرارة أجسادهم لإنعاشهم.

شرد عقله بحثا عن الدفء.

فَكَرَّ فِي أَشْعَةِ الشَّمْسِ الدَّافِئَةِ.

ابْتِسَامَةً أُمَّهُ.

لِمَسْتَهَا الدَّافِئَةِ.

أَيَّامَ الصَّيْفِ الْحَارَّةِ بِجَانِبِ النَّهْرِ.

نَظَرَ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَاسْتَمْتَعَ بِأَشْعَةِ شَمْسِ الصَّيْفِ.

تَذَكَرَ فِجَاءَ الْمَسَافِرِ، وَتَذَكَرَ الْمَكَانَ الَّذِي رَأَاهُ فِيهِ مِنْ قَبْلِ. اسْتِعَادَ ذِكْرِيَّاتِ

ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي بَاكْسِيلٍ عِنْدَمَا اسْتَقْبَلُوا زَائِرًا غَيْرَ مَتَوَقَّعٍ؛ أَحَدَ الْمَارَةِ الَّذِي تَوَقَّفَ

قَلِيلًا لِلتَّحَدُّثِ مَعَهُمْ قَبْلَ الْاسْتِمْرَارِ فِي طَرِيقِهِ. فِي ذَلِكَ الرَّبِيعِ، كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا

لِدَرَجَةِ أَنْ حِصَادَ الْقَشِّ أَوْشَكَ أَنْ يَفْسُدَ، وَتَسَاقَطَتِ الثَّلُوجُ عَلَى الْمُنْحَدَرَاتِ

حَتَّى الصَّيْفِ. تَذَكَرَ الشَّيْءَ الْغَرِيبَ الَّذِي قَالَهُ الرَّجُلُ لِأُمِّهِ عَنِ بِيرْغُورِ. وَتَذَكَرَ

رَدَّةَ فَعْلِهَا الْمُنْدَهْشَةِ.

لَمْ يَعْرِفْ مِنْ أَيْنَ جَاءَ الرَّجُلُ أَوْ إِلَى أَيْنَ كَانَ يَتَّجِهُ، لَكِنَّهُ أَخْبَرَ وَالِدِيهِ عَلَى

الْفُورِ. بَعْدَ تَوَقُّفِهِ الْقَصِيرِ، اخْتَفَى عَنِ الْأَنْظَارِ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى الْجُرُودِ. رُبَّمَا

كَانَ مَتَوَجِّهًا إِلَى رَايْدَارْفِيدُورِ عِبْرَ مَمَرِ هَرَايْفِرْسُودِ، أَوْ سَلَكَ الْمَسَارَ الْقَدِيمَ

حَوْلَ الْجَبَلِ الْجَلِيدِيِّ، تَوَجَّهُ شِمَالًا أَسْفَلَ سَفْحِ جَبَلِ هَارْدِسْكَافِي وَمِنْ هُنَاكَ

إِلَى سِيدِيفْجُورْدُورِ. ظَهَرَ الضِّيُوفُ غَيْرَ الْمَتَوَقَّعِينَ فِي بَاكْسِيلِ بَيْنَ الْحَيْنِ

وَالْآخَرِ؛ الْمَارَةُ الَّذِينَ بَدَؤُوا وَكَأَنَّهُمْ قَطَعُوا شُوطًا طَوِيلًا، دُعُوا دَائِمًا لِلرَّاحَةِ

وَالِاسْتِمْتَاعِ بِكِرْمِ الضِّيَافَةِ. أَتَى بَعْضُهُمْ بِمَفْرَدِهِ، مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَافِرِ

آخَرُونَ فِي أَزْوَاجٍ أَوْ مَجْمُوعَاتٍ مَكُونَةٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْخَاصٍ أَوْ أَكْثَرَ، تَمَيَّزُوا غَالِبًا

بِمَعْنَوِيَّاتِهِمْ الْعَالِيَةِ، مِمَّا جَلَبَ جِوًّا مِنَ الْبَهْجَةِ. فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، كَانَ النَّاسُ

يَطْلُبُونَ الْإِقَامَةَ لِلَّيْلَةِ، فَيَقْدُمُوا لَهُمْ سَرِيرًا فِي غُرْفَةِ الصَّبِيَّانِ. حَتَّى إِنْ بَعْضُ

الْمَسَافِرِينَ الْأَجَانِبِ أَتَوْا، مُحَاوِلِينَ شَرْحَ مَطَالِبِهِمْ بِلُغَةِ الْإِشَارَةِ، كَانُوا يَطْلُبُونَ

غَالِبًا بَعْضَ الْمَاءِ أَوْ الْإِذْنَ بِالتَّخْيِيمِ فِي أَرْضِهِمْ.

أدرك إرلندور من تصرفاته ومعداته، أن هذا الرجل كان رحالاً خبيراً، وهو انطباع يعززه عصا المشي التي تركها خارج المنزل. انتعل حذاء سميك النعل، ربطه حتى ربله ساقه، وستره جلدية مزررة حتى رقبته. ارتدى قفازين مكشوفين الأصابع، وسرّح لحيته بأصابعه القوية وهو يتحدث.

شعر وكأنه في المنزل، جلس على كرسي في مطبخ والذي إرلندور، وقبل شرب القهوة وتناول بعض الطعام، تجاذب أطراف الحديث حول الطقس، خاصة الربيع السيئ الذي مرّ عليهم، حول الحي والمناظر الطبيعية، واستفسر عن أسماء أماكن مختلفة كما لو أنه لم يأتِ إلى هنا من قبل. ربما جاء من الجنوب، من ريكيافيك مثلاً، المدينة الكبيرة التي شعر بأنها بعيدة مثل أية مدينة كبرى في العالم. لم يجرؤ إرلندور على التحدث إلى الزائر، لكنه تجول حول مائدة المطبخ، حيث تنصت على المحادثة. وقف بيرغور إلى جانبه، يفكر في كلمات الضيف، ويحدق إليه وهو يشرب قهوته ويأكل الشطيرة التي أعدتها والدتهما.

كان الرجل يلقي بين الحين والآخر نظرة خاطفة وابتسامة نحو الولد. لم يكن بيرغور خجلاً وقابل نظراته، أما إرلندور فقد كان خجولاً وأشاح بنظره في كل مرة، قبل أن يغادر المطبخ أخيراً ليذهب إلى غرفة النوم. أمكنه تذكر تعابير الرجل اللطيفة، عينيه الصادقتين، والحكمة في جبينه العريض. كان لطيفاً للغاية، ومع ذلك انتاب إرلندور شعور بالخوف، الأمر الذي يعني أنه لا يمكنه الشعور بالراحة وهو يجلس في الغرفة نفسها مع الشخص الغريب وهذا ما حمله على مغادرة المطبخ في نهاية الأمر. أراد أن يغادر. لم يستطع معرفة لم انتابه شعور بالتهديد من الرجل.

بحلول الوقت الذي نهض فيه إرلندور كان المسافر يستعد للمغادرة. شكرهم على كرم ضيافتهم، وتوجه إلى الفناء، وأمسك عصا المشي بيده.



تحدث لفترة وجيزة مع بيرغور، الذي وقف مع والديه في الهواء البارد، تفوه الرجل بكلمات غريبة في أثناء مغادرته، مخاطبا والدتهما، مبتسما لها حتى وهو يعلن مصير بيرغور.

"يتمتع ولدك بروح جميلة. لا أعلم كم من الوقت ستمكنين من الاحتفاظ به".

لم يروا الرجل مجددا.

اقتنع بأن المسافر الذي يزوره في فترات متقطعة من أيام الشتاء الباردة هو الرجل نفسه الذي أتى إلى باكسيل وأصدر هذا الحكم غير المفهوم حول بيرغور، كان حقيقيا وقاسيا للغاية. مع تلاشي وعيه تدريجيا، بدأت تساوره شكوك بشأن الحضور المصاحب للرجل، وحقيقة الشخص الذي يتبعه كظل، لكنه لن يخرج إلى النور.

مكتبة  
t.me/t\_pdf

كان بإمكان إرلندور سماع ضربات المطرقة القادمة من العليّة أسفل منزل عزرا. نام جيدا على نحو غير معتاد، ثم ذهب إلى المسبح كما جرت العادة، وبعد ذلك استمتع بوجبة غداء متأخرة من سمك الحدوق الطازج المسلوق، والبطاطا وخبر الجاودار البني في الكافيتيريا. تناول كمية من السمك والبطاطس مع كثير من الزبدة ووضع طبقة سميكة فوق الخبز، كما لو أن مراكمة السعرات الحرارية من شأنها أن تطرد البرد الذي لا يزال يشعر به داخل عظامه بعد عمله الشاق تلك الليلة.

توجه نحو الحظيرة. كان الباب مفتوحا على مصراعيه، جلس عزرا في الداخل مع مطرقته، يطرق السمك المجفف بنفس الإيقاع الثابت. لم يلحظ قدوم إرلندور، الذي راقبه لدقيقة أو دقيقتين. لم يكن هناك أي وجود للبندقية. بدا الرجل العجوز صامتا، ومع ذلك خانت حركاته ثباته المتعمد، إلا إن كان ذلك بحكم العادة.

قال دون أن يرفع رأسه: "أنت مجددا؟". عندما شعر بوجود إرلندور، لم يبدو أنه اكثرث. وتابع: "ليس لديّ شيء آخر أريد أن أخبرك به، لقد خدعتني وجعلتني أقص حكايتي عليك. ما كان ينبغي عليّ أن أخبرك بشيء. لا أستطيع فهم لم فعلت ذلك، لا يحق لك المطالبة بالمزيد".

أجاب إرلندور: "لا، ولا يمكنني تفسير ذلك أيضا. لكن تبقى الحقيقة أنك قصصت حكايتك".

رفع عزرا رأسه: "هل تظن أنني أحمق؟".

أجاب إرلندور: "لا، إن كان هناك من أحمق هنا فهو أنا".

رفع عزرا مطرقته ليمسد بها شريحة أخرى من السمك كان قد أخرجها من الدلو البلاستيكي، لكنه توقف، أخفض يده وحدث إلى إرلندور.  
"ماذا تعني؟".

"أنا أتحدث عن صديقك يعقوب".

"ماذا عنه؟".

"لست متأكدا. هل هناك أية تفاصيل ترغب في إضافتها إلى القصة؟".  
"لا".

"أمتأكد من ذلك؟"

"بالطبع أنا متأكد".

"أخشى أن ذلك غير كافٍ".

وضع عزرا المطرقة جانبا، أعاد السمكة إلى الدلو مجددا ونهض.  
قال: "ليس لدي شيء آخر لأضيفه. أرجو منك المغادرة".

اجتاز إرلندور، وتوجه إلى المنزل بخطوات متثاقلة، انحنى كتفاه داخل معطفه البالي، تدلت واقية الأذنين على قبعته. تردد إرلندور، غير متأكد من أنه يريد فتح المزيد من الجروح القديمة، فكّر في أنه لا يحق له التدخل. منذ مغادرته دجويغفور في الليلة الماضية، تساءل عما إن كان من الأفضل إن عرف هو أو أي شخص آخر الأسرار التي أخفاها عزرا حول يعقوب. أرضى إرلندور فضوله بإقناع نفسه أن هذا لم يكن من شأنه، حتى لو كان رجل شرطة. إذا أمكنه تصديق عزرا، فإن الجريمة الوحيدة التي ارتكبت كانت جريمة قتل ميثلدور. المصير الذي لاقته جثتها هو لغز لن يُحل أبدا. لم تخضع القضية لتحقيق جنائي، ولم يكن من المحتمل التحقيق بها. تُرك الأمر لعزرا سواء أبلغ أحدا بذلك أم لا. لن يلح إرلندور عليه. على أي حال، من

سيستفيد إذا ظهرت الحقيقة بعد سنوات عديدة من الحادثة؟ لم يريد نبش ما تم دفنه دون إزعاج؟ كان من الأفضل ترك الأمور على حالها.

تصارع إيرلندور مع هذه الأسئلة في كثير من الأحيان على مر السنوات، لكنه نادرا ما توصل إلى نتيجة. تعامل مع كل قضية بناء على أسسها الموضوعية. تمنى في بعض الأوقات لو أنه لم يتطفل على عزرا، ولكن بعد فوات الأوان. فقد اكتشف معلومات لم يكن بوسع نسيانها، وكان من الطبيعي أن يبحث على الأقل عن تفسير. لم يكن هدفه معاقبته أو ملء السجون بأرواح بائسة. كان غرضه الوحيد كشف الحقيقة في كل قضية، ملاحقة ما فُقد ونسي.

هذا ما دفعه الآن إلى اللحاق بعزرا، بخطوات بطيئة، إلى داخل المنزل. لم يغلق عزرا الباب، وأشعل هذا شرارة الأمل داخل إيرلندور. علم أنه لا يستطيع أبدا أن يمنح الغفران للرجل العجوز، لكن أمكنه الاستماع إليه ومحاولة الفهم. بدا أن تحرير نفسه من عبء ميثلدور كان جيدا له. سمح عزرا لنفسه بالتحدث، ربما لأن إيرلندور كان غريبا تماما، أو لأنه شعر بأنه لن يحكم عليه.

سأل عزرا وهو يقف بجانب مغسلة المطبخ: "لماذا لحقت بي؟ طلبت إليك أن تتركني وشأني".

افتقدت لهجته القناعة. أدار عزرا ظهره، وانحنى على الحوض ليحرق من النافذة التي تطل على الحظيرة.

قال إيرلندور: "أردت التحدث إليك مجددا حول يعقوب".

"حسنا، ليس لدي ما أقوله بشأنه".

"دعني أكرر سؤالتي: هل هناك تفاصيل أخرى ترغب في إضافتها إلى

قصتك؟".

التفت عزرا، ولاقته عيناها عيني إرلندور.

قال: "رجاء هل يمكنك أن تغادر؟ أتوسل إليك. اذهب من هنا. ليس لدي شيء لأضيفه. أخبرتك بكل ما يمكنني إخبارك به."  
"هل كانت أسنان يعقوب بارزة؟"  
"ماذا؟".

"لم أر أية صور له، لكن لدي انطباع بأن أسنانه كانت بارزة".  
قال عزرا بتردد: "يمكنك قول ذلك. تريد مناقشة طب الأسنان معي؟".  
"ربما. ماذا حدث عندما مات؟".  
"ماذا تعني؟".

"هل كان ميتا بالفعل عندما أحضروه إلى المشرحة؟".  
أجاب عزرا بانشداه: "بالطبع كان ميتا".  
"هل أنت متأكد؟".

قال عزرا: "بالطبع، تم تأكيد وفاة الرجلين رسميا".  
"لم يكن الطبيب من القرية".  
"لا، لم يكن من هنا".

"عمل بمثابة طبيب بديل لفترة قصيرة بدلا من الطبيب المختص المسؤول. لم يكلف نفسه عناء فحص الجثتين عن قرب، أليس كذلك؟".  
أجاب عزرا باعتراض: "أنا لست طبيبا. ويبدو أنك تعرف بشأن ذلك أكثر مني. اسمع، ليست لدي فكرة عما تحاول الوصول إليه، وأريد منك المغادرة".  
قال إرلندور: "إذن دعني أشرح لك. لقد خطر لي فجأة أنك كنت في المشرحة في اليوم الذي أحضر فيه يعقوب. اعتقدوا أنه قد غرق، مثل رفيقه. ربما كان الطبيب مهملا في عمله. لعله اعتقد أن بإمكانه أن يفلت بفعلته إن فحص إحدى الجثتين كما ينبغي، بما أنهما كانتا بالوضع نفسه. ربما لم يستمع

بعناية إلى دقات قلب يعقوب. لا أعلم إن كنت مدركا لذلك، لكن تتباطأ ضربات القلب في حال انخفاض حرارة الجسد للغاية. تتباطأ جميع الوظائف الجسدية ويضعف معدل التنفس للغاية. يمكن لطبيب غافل عدم ملاحظة أن يعقوب لا يزال حيا".

قال عزرا: "لم أفهم".

"لهذا السبب ذهبت إلى دجوييفغور البارحة. لأن يعقوب دُفن هناك. تحدثتُ إلى رجل مسن لطيف، ثوردور، ربما تعرفه؟ أخبرني ثوردور حول حالة نجاة استثنائية في درجات حرارة منخفضة وخطر لي أنك قد تتذكر قصة الرجال الثلاثة من الغرب، الذين استُخرجت أجسادهم من البحر. تجمدوا حتى الموت في المشرحة تلك الليلة لأن أحدا لم يدرك أنهم كانوا على قيد الحياة".

حدق به عزرا بصمت.

"تحدثت أيضا إلى ابنة الرجل الذي اعتقد أنه قد سمع صوتا قادما من نعش يعقوب في أثناء إنزاله إلى الحفرة. هل يبدو ذلك مألوفا؟".

لم يكن هناك جواب.

"أما زلت تجهل ما أتحدث عنه؟".

"لا".

"وقع والدها في الكثير من المشاكل لأنه ذكر الموضوع، وندم لاحقا لأنه ذكر مثل هذا الادعاء الأحمق. لكن عندما جمعت كل هذه الحقائق سوية، فكرت في أنه عليّ الذهاب إلى المقبرة وإلقاء نظرة على قبر يعقوب".

لم يُبدِ عزرا ردة فعل.

"أثرت بي حقا قصتك أنت وميثلدور، عزرا - ما فعله يعقوب بها؛ ما فعله بك. يمكنني تخيل العذاب الذي مررت به. لذا بدأت أفكر في أن بإمكان

أفضل الرجال ارتكاب أفظع أعمال الانتقام، إنهم قد يجدون القدرة داخلهم على اقتراح جرائم مروعة".

أدار عزرا ظهره وحقق خارج النافذة إلى الحظيرة مجددا. كان الباب مفتوحا وتأرجح قليلا بفعل الهواء، أصدرت مفاصله الصدئة أصوات صرير.

تابع إيرلندور: "يبررون الأمر لأنفسهم على أنه انتقام".

قال عزرا بصوت منخفض: "لا أفهم لم لا تتركني وشأني".

"لم أستطع إجباره على الكلام. هذا ما أخبرني به".

"لم أفهم".

"عندما سألتك عما إن كان قد أخبرك عن مكان دفنه لميثلدور. تكلمنا

بشأن جثة يعقوب التي أحضرت إلى المشرحة بعد تحطم قاربه. قلت، لم

أستطع إجباره على التكلم. هل حصل ذلك في المشرحة؟".

"لا أملك أدنى فكرة عما تقصده".

"هل كان على قيد الحياة؟".

لم تكن هناك إجابة.

قال إيرلندور: "نبشت قبر يعقوب".

استدار عزرا ببطء، وكأنه لم يبدُ واثقا مما قد سمعه.

"فتحت تابوته".

بدا عزرا مصدوما.

قال إيرلندور: "كان عليّ أن أعرف. كان عليّ أن أعرف ما حصل. لم

أستطع إيقاف نفسي".

قال عزرا لاهثا: "هل أنت مجنون؟ هل تعتقد أنني سأصدق هذه الكذبة

المعتوهة؟ اخرج من هنا حالا وتوقف عن ملاحقتي، هذا إنذارى الأخير".

رفع صوته وتابع، "اعتقدت أن بإمكانني الوثوق بك لكن هذا محض جنون. جنون، توقف حالا".

قال إرلندور وهو يمد يده إلى جيبيه: "علمت أنك لن تصدقني لذا أحضرت لك غرضين صغيرين وجدتهما داخل التابوت. لا أعلم إن كنت ستتعرف إليهما".

اقترب من عزرا، ووضع ما قد أخرجه من جيبه على سطح مغسلة الأطباق.

في البداية، انصب انتباه عزرا عليه، ثم نظر نحو الأسفل. تجهم، غير قادر على فهم ما قد وضعه أمامه.

همس: "ما... ما هذا؟"

قال إرلندور: "انظر عن قرب".

انحنى عزرا، وتفحص ما وضعه إرلندور أمامه. كان هناك غرضان صغيران، لونهما رمادي ومألوف نوعا ما، ومع ذلك لم يستطع تمييزهما. كانا أشبه بحصاتين صغيرتين.

كرر سؤاله: "ما هذا؟".

قال إرلندور: "حاول بكل قوته تحطيم غطاء التابوت والخروج منه".

"ماذا تعني؟".

"ألم تتعرف إلى الغرضين؟"

أجاب عزرا: "لا، أرجوك أخبرني ما هما".

قال إرلندور: "إنهما من أسنانه. من أسنان يعقوب الأمامية. وجدتهما

بجانبه داخل القبر".



لم يتفاجأ إيرلندور من ردة فعل عزرا؛ ابتعد عن الحوض، تعثر وهو يسير نحو الخلف وسقط على ركبته، مما أدى لوقوع الطاولة. اقترب منه إيرلندور كي يساعده لكن عزرا دفعه بعيدا.

صاح: "ابتعد عني".

أعاد إيرلندور الطاولة إلى مكانها بدلا من ذلك، وذهب لالتقاط الكأس والصحن اللذين وقعا أرضا.

صاح عزرا وهو يتفادى النظر إلى السنين اللذين وُضعا على سطح مغسلة الأطباق: "اخرج من هنا"

التقط إيرلندور السنين وأعادهما إلى جيبه. علم أنه سيحتاج إلى دليل لإقناع عزرا بأنه نبش بالفعل قبر يعقوب. لاحظ السنين في قاع التابوت بفضل ضوء القنديل الخافت، وقرر أخذهما معه. لم يؤمن بالأشباح، ولكنه شعر بعدم الارتياح لجلبهما إلى منزل المزرعة، وتركهما في السيارة طوال الليل.

صاح عزرا على إيرلندور عندما استيقظ من صدمته: "ما هذا التصرف المريض؟ كيف تجرؤ؟".

قال إيرلندور: "تفحصت بقايا يعقوب، ولم يكن ذلك منظرا جميلا. تقوس رأسه نحو الخلف وكان فاغر الفم".

جلس عزرا محني الرأس على كرسي بال في الزاوية. يبدو أنه لم يعد يثق بنفسه لينظر إلى عيني إيرلندور. كان شاحب اللون تماما.

سأل إرلندور وهو يسحب كرسيًا ويجلس: "هل تريد معرفة نظريتي المتعلقة بكيفية سقوط أسنانه؟".

تأوه عزرا متجهما وصاح بصوت عال: "من أنت؟ من يمكنه فعل شيء كهذا؟ لا بد أنك مريض".

قال إرلندور: "سمعت ذلك من قبل. أريد معرفة ما حصل في المشرحة عندما أحضر يعقوب".

بقي عزرا صامتًا.

"اشتبهت في أن السبب وراء سقوط أسنانه متعلق بالعلامات التي رأيتها على غطاء التابوت. هل تريد معرفة ما أظنه؟".

جلس عزرا، ودفن وجهه بين يديه.

سأل إرلندور: "هل يمكنك مواجهة الحقيقة؟".

اعترض عزرا على نحو غير مقنع: "ليس بالضرورة أن يكون هذان السنان من جثة يعقوب".

أجابه إرلندور: "لا، هذا غير صحيح. وأنت تعرف ذلك".

"أتوسل إليك. رجاء، بحق الرب، اذهب ولا تعد إلى هنا. لا أعلم لماذا تلاحقني. لم أسئ إليك أبداً، ولا أعرفك حتى. تنمرت عليّ حتى أفصحت لك عن سر ميشلدور. أليس هذا كافياً؟ اتركني أموت بسلام فحسب".

"هل أخبرك يعقوب عما فعله بجثتها؟".

"لا، لم يخبرني. تحلّ ببعض الشفقة، واطركني وشأني، اتركني وحدي".

قال إرلندور: "أريد مساعدتك في العثور عليها، حتى إن كانت فرصة حصول ذلك ضئيلة. تسألني لماذا لا أتركك وشأنك ويمكنني تفهم سؤالك. أتمنى أن تتفهم إجابتي".

بقي وجه عزرا مدفوناً بين يديه.

قال إرلندور: "الأمر بسيط للغاية. أريد مساعدتك يا عزرا. هذه الإجابة الوحيدة التي يمكنني تقديمها. وأعتقد أن هذا ما أفعله، بالرغم من أنه قد يصعب عليك تفهم ذلك، خاصة الآن. لكنني أريد العثور على ميثلدور. عزرا، أريدك أن تخبرني إن كنت تعرف أين هي. إن كنت لا تعرف، فسأفعل ما بوسعي لأتأكد من العثور عليها".

قال عزرا: "لا أعلم أين هي. ولن تعثر عليها أبدا".

تابع إرلندور كلامه: "أنا لا أبحث عن الجاني، لا أحقق في الجرائم أو أحاول تطبيق العقاب. هذا ليس من شأن الشرطة. لا تخش أن يخرج الموضوع خارج هذه الجدران الأربعة. في نهاية الأمر، سيلاحظ أحدهم أرض مقبرة دجوييفور غور التي عُث بها. لا أعلم متى - قد يستغرق الأمر أياما أو أسابيع، وربما أشهرا. سألت اثنين من السكان المحليين عن يعقوب، قد يربطان الأمور ببعضها، لكنهما لا يعرفان من أنا أو من أين أتيت، يعرفان فقط أنني كنت أبحث في شأن حوادث تحطم القوارب في المضائق الشرقية. حتى لو اكتشفا أنه قد عُث بالقبر، فلن يجروا أحدهم على التفكير في أن القبر قد نُش. ستبدو تلك كبقعة صغيرة تعرضت للتخريب في تلك المقبرة، أو هذا ما أعتمد عليه".

لم يقاطع عزرا حديث إرلندور.

قال: "جلّ ما أريده هو العثور على ميثلدور، نحن نشارك هذا الهدف".

سأل عزرا: "لماذا؟".

جاء الآن دور إرلندور لتضييع منه الكلمات.

اقترح عزرا بلطف: "لم تعثر على أخيك قط".

"هذا صحيح".

"لكنك تعتقد أن بإمكانك العثور على ميثلدور؟".

اعترف إيرلندور: "لا أعلم. عليك إخباري بما تعرفه عن يعقوب. أعلم أن هذا صعب للغاية، خاصة بعد مرور كل تلك السنوات. لكن عليك إخباري".  
"ليس هناك شيء لأخبرك به".

"عزرا، ساعدني لأتمكن من العثور عليها".

بقي العجوز صامتا. لكن إيرلندور لم يكن مستعدا للاستسلام، وشرع في شرح كيفية توصله إلى قراره بنش تابوت يعقوب. كيف أثارت محادثته مع عزرا وهروند شكوكه. دفعه اهتمامه بالقدرة البشرية على تحمل البرد الشديد؛ اهتمام مستمد من تجربته المهنية، أخبره عن المجرفة التي أتت مع السيارة المستأجرة، وأثبتت أنها غاية في الأهمية خلال زيارته ليلا للمقبرة. شعر بالرعب من أن يرى بعض المارة ما كان يفعله ويمسكوا به. أراد إيرلندور استعادة ثقة عزرا، ليصبح بنظره دقيقا وموثوقا. ووصف الألواح الخشبية التي بُني غطاء التابوت منها، ومدى متانتها على الرغم من مرور أكثر من نصف قرن، ومدى سهولة كسرها.

اعترض عزرا قائلا: "لا أريد سماع شيء".

قال إيرلندور: "لكنك ستسمع إليّ بالرغم من ذلك. ولا تقل إنك لا تعرف شيئا. أعتقد أنك ارتكبت جريمة رهيبة يا عزرا".  
"أردت معرفة مكان ميثلدور، هذا جَلّ ما فكرت فيه. إنه الشيء الوحيد الذي اهتممت به منذ اختفائها. أردت معرفة مكانها".

"يمكنني تفهم ذلك".

"كل ما فكرت فيه، أو كل ما وسعني التفكير فيه، هو التفكير في عذابها بين يديه".

"هذا متوقع".

"أردت الانتقام".

"أنا واثق من ذلك".

تمتم عزرا وصدق مجددا إلى الأرض: "ما هي العلامات التي وجدتها على غطاء نعش يعقوب؟".

لم يستوعب إيرلندور سؤاله.

"قلت إنك وجدت علامات على غطاء التابوت".

"أدركت أن يعقوب كان على قيد الحياة عندما دُفن. وجد القوة لخمسة الغطاء وعضه، لكن لا يمكن أن يكون ذلك قد استمر طويلا لأنه سرعان ما سيختنق. ومع ذلك فأنا أظن أنه أدرك أنه دُفن حيا داخل تابوته، وهذا ما أعتقد. لا بد أن موته كان مروعا ومخيفا للغاية".

جلس عزرا باستقامة على كرسيه، ونظر إلى عيني إيرلندور، وكأنه حسم قراره.

قال: "لقد كان على قيد الحياة. توفي الرجل الآخر في البحر. زميله على القارب. لكن يعقوب نجا. و...".

"وماذا؟".

"لم أخبر أحدا. أبقيت الموضوع سرا. كنت الشخص الوحيد الذي علم".

دفن عزرا وجهه بين يديه مجددا.

تأوه: "يا إلهي! ما زالت تتتابني كوايبس حول ما فعلته".

مكتبة

t.me/t\_pdf

في ذلك الصباح، هبت عاصفة، وعادت معظم قوارب الصيد إلى الميناء بعد وقت قصير من منتصف النهار. لم يكن ضمن التوقعات أن يمتد الطقس السيئ إلى أقصى الشمال - فقد كان من المتوقع هبوب رياح قوية مع هطول خفيف للأمطار - ولكن لم يمر وقت طويل على الظهيرة قبل أن تتدهور الأحوال الجوية لتتوجه العاصفة نحو الساحل، الأمر الذي أدى إلى حدوث عاصفة ثلجية قوية. أثرت العاصفة على المنطقة بأكملها في أقصى الشمال مثل فوبافجوردور، بلغت قوة الرياح 12 درجة وهذا يعني أنها كانت من أسوأ العواصف وأخفضها حرارة.

عمل عزرا في المشرحة لسنوات عدة، رغم أنه لم يكن هناك ثلج في تلك الأيام. تم استبدال وظيفة المشرحة الأساسية من قبل مصنع الأسماك الجديد الذي افتُتح قبل عامين. وبذلك، تم استخدام المبنى لتخزين معدات أسطول الصيد ومحطة المعالجة، تحت إشراف عزرا. كان يرتب صناديق الطعم عندما علم أن أحد القوارب التي خرجت في ذلك الصباح قد فُقد، وأن يعقوب كان على متنه بصحبة رجل آخر. تزايد قلق الناس واتصلوا هاتفياً بالقرى المجاورة لمعرفة ما إذا كان الرجلان قد وصلا إلى الميناء، ولكن لم يكن لدى أحد أخبار عنهما. اشتدت الرياح وأصبحت عنيفة للغاية الآن حتى إنه استحال المشي لمسافة قصيرة إلى المبنى المجاور.

كان من النادر أن يلتقي الرجلان مصادفة حتى خلال السنوات التي أعقبت إبلاغ يعقوب لعزرا بمصير ميشلدور. من خلال ما سمعه عزرا، غادر

يعقوب إيسكيفنغدور لفترة من الزمن، وقضى بعض الوقت في إيغلستادر وهوفن في هورنافجوردور. وفقا للشائعات، كان قد جمع القليل من المال خلال فترة الطفرة ما بعد الحرب التي ازدهرت فيها ريكيافيك. قبل عامين، عاد إلى إيسكيفنغدور، واستأجر المنزل نفسه الذي عاش فيه مع ميثلدور. عُرِضت عليه وظيفته القديمة على قارب سيغورلينا، وبدأ بالعمل مع أسطول الصيد في القرية منذ ذلك الحين. تجاهل الرجلان بعضهما في المناسبات القليلة التي اضطر فيها يعقوب للذهاب إلى المشرحة. على الرغم من أنه لم يتزوج مطلقا، إلا أن يعقوب ارتبط بامرأة أخرى. كان عزرا أعزب إلى أن التقى بميثلدور، وبقي وحيدا بعدها.

زار يعقوب مرتين بعد أول اجتماع كارثي ليتوسل إليه حتى يكشف عما فعله بجثتها. رفض يعقوب في كلتا الزيارتين، سخر منه وأهانته باعتباره "زير نساء". لكن عندما تعلق الأمر بتبليغ الأمر إلى السلطات فإن عزرا لم يملك الشجاعة الكافية، وقضى وقته بدلا من ذلك في محاولة التفكير في مخططات لإجبار يعقوب على الاعتراف بالحقيقة. لم يكن عنيفا بطبيعته، ولم يتمكن أبدا من انتزاع الحقيقة بالعنف من ذلك الوغد، ولم تكن لديه أية أموال ليرشوه بها. إلى جانب ذلك، كانت حماية نفسه من مصلحة يعقوب، وهي حقيقة لم ينكرها. عندما تحدثا في المرة الأخيرة، أشار مرارا إلى أنه إذا عرف عزرا مكان جثة ميثلدور فسيمكنه استخدام المعلومات لتوجيه تهم القتل ضده، ولكن في حال عدم وجود جثة، لن تكون هناك محاكمة. قال: "سيكون من الأفضل لكلينا إن لم يُعثر على جثتها، من الأفضل لكلينا أن تكون قد توفيت في الجرود".

أغلق عزرا المشرحة، ومشى متاقلا إلى المنزل يصارع الريح على طريق ستراندغاتا عندما تخطاه رجل سريعا، يصيح بأن قاربا قد غرق على الجانب

الآخر من المضيق. "يظنون أنه قارب سيغورلينا". اختفى بعيدا في الثلج. لم يعرف عزرا إلى أين يمكن أن يتجه الرجل، وتساءل عما إذا كان عليه اللحاق به، ثم أخفض رأسه مرة أخرى مقاوما العاصفة وتابع طريقه. عندما وصل إلى المنزل، خلع ملابسه، التي كانت مغطاة بالثلوج، وعلقها حتى تجف. وضع وعاء القهوة بالقرب منه. سوف يستغرق الأمر بعض الوقت لتدفئة المنزل، واستعادة الإحساس في أطرافه. جلس إلى الموقد، ووضع الأسماك المجففة فوقه، وفكّر في القارب المحطّم ومصير طاقمه، إذا كان ما سمعه صحيحا وغرق قارب سيغورلينا، فهل فقدَ الرجلان حياتهما؟ هل كان يعقوب ميتا؟ كان قد انتهى من وضع السمك المجفف وبدأ الثلج بالذوبان عنها عندما سمع صوت طرق عالٍ على الباب. فتح الباب، فدخل صبي مغطى بالثلج يدعى فالدي كان يعمل معه، أغلق عزرا الباب خلفه.

أخبره الصبي: "عليك فتح المشرحة. يريدون وضع الجثتين داخلها".  
"الجثتان؟"

قال فالدي: "مات الرجلان اللذان غرق بهما قارب سيغورلينا".  
"مات يعقوب؟"

"هو وأوسكار. توقف محرك القارب عن العمل، لم يكن بوسعهما القيام بشيء، أو هذا ما سمعته".

ارتدى عزرا معطفه، وقفازيه السميكين، واعتمر قبعته في حين كان فالدي يكرر ما يعرفه حول الحادثة. فيما بعد، سمع عزرا القصة بأكملها من شاهدي العيان اللذين انتظرا مع الجثتين. كانا يتوجهان بالسيارة فوق سلسلة من التلال من إيسكيفنغدور برفقة رجلين آخرين عندما رصدوا ضوءا في البحر وراء منحدرات هولماوبر غير، في مكان يُطلق عليه اسم سكيليري. في ظل الصعوبات، كانوا على وشك العودة، لكنهم خمنوا على الفور أن ذلك الضوء



يعني أن قاربا كان قريبا بشكل خطير من اليابسة. شق الرجال طريقهم قدر الإمكان إلى الشاطئ حيث رأوا الدوامات المحيطة بالقارب التي جرفته مباشرة نحو الصخور بجانب سكيليري. أمكنهم رؤية رجلين على متن القارب، بدوا وكأنهما يتجمدان، مبللين كلياً ويكافحان في سبيل النجاة. ثم بدا أن محرك القارب قد توقف عن العمل - على الأقل لم يسمعوا أي صوت للمحرك - ولكن بحلول ذلك الوقت كان صوت الرياح يصم الآذان لدرجة أنهم بالكاد استطاعوا سماع صوتيهما وهما يناديان. تحرك القارب بسرعة، ولكن بثبات نحو اليابسة حتى اصطدم بالمنحدرات، حاول الرجلان عبثاً أن يرميا حبل النجاة إلى البحارة، إلا أنه كان من المستحيل الاقتراب بما فيه الكفاية فقد عصفت الرياح بقوة عند المنحدرات، وارتطمت الأمواج بعنف. في الوقت نفسه، انتزعت موجة عالية القارب، الذي بدأ بالتحطم على الصخور، قلبته وأعادته مرة أخرى إلى المنحدرات حيث تكسر إلى أجزاء صغيرة أمام أعينهم.

ألقي الرجلان في الماء، وقُذفا نحو الصخور، ثم حملتهما موجة مرتدة واختفيا. مرت فترة طويلة قبل أن ترمي الأمواج جسدا ساكنا، على الحطام أولاً ثم على الصخور. وصلوا إليها من خلال ربط الحبل حول أحدهم، الذي شق طريقه إلى الأسفل، أمسك بالرجل الهامد وأعادته إلى رفاقه. كان الرجل قد تحطم بعنف فلم تكن هناك عظام سليمة في جسده. أدركوا أنه ميت. بعد هذا صرخوا مطولاً للرجل الآخر لكنهم لم يتلقوا أية إجابة. لم يكن من الممكن أن يعيش طويلاً في البحر. تبعثر حطام قارب الصيد على سطح البحر. مرت الدقائق، وأصبحوا مبللين وارتعشوا من شدة البرد وعندما أوشكوا على فقدان الأمل بالعثور على البحار الآخر، لاحظ أحدهم شيئاً في المنحدرات السفلية. كان الرجل مستلقياً ووجهه مغطى بالدماء وهناك جرح كبير في رأسه.

بحلول الوقت الذي وصل فيه عزرا إلى المشرحة، تجمع حشد من الناس هناك، بالرغم من أنهم بالكاد تمكنوا من الوقوف باستقامة لشدة الرياح. وقع طبيب متخصص بديل من ريكيا فيك شهادتي وفاة الرجلين. أخذ الشهود الأربعة الجثث مباشرة إلى المشرحة، وبمجرد سماع رواياتهم، بدأ الأمر بسيطاً. أمر مالك سيغورلينا بإبقاء الجثتين في المشرحة القديمة حتى يتم إبلاغ أقربائهم. كان من المعروف أن يعقوب لديه أقارب في دجوبيفغور، لكن زميله أوسكار جاء من الجانب الآخر من البلاد، من قرية جريندافيك في الجنوب الغربي. كان صيادا متجولا، يعمل في المواسم في أجزاء مختلفة من المقاطعة، بما في ذلك إيسكيفنغدور، حيث بدأ العمل هناك منذ فترة وجيزة. لم تكن لدى المالك أية فكرة عن هوية الشخص الذي يجب الاتصال به.

شرع عزرا على الفور بترتيب مكان للجثتين. نصب الركائز، ووضع بضعة ألواح قديمة فوقها، ثم وضع الرجلين القتيلين هناك جنبا إلى جنب. كانا أشبه بلوحي جليد. تضرع وجه أحد الرجلين بالدماء؛ يبدو أن ذلك الرجل هو يعقوب.

سرعان ما تفرق الحشد، تاركين عزرا وحيدا في المبنى الهادئ الآن. كان منتصف الليل تقريبا. شعر بالتعب والبرد الشديد بعد مرور يوم طويل. تساءل عما إن كان عليه حراسة الجثتين، أو الذهاب إلى المنزل ومحاولة النوم؟ لم يستوعب بعد أن يعقوب قد مات. لم يعد الرجل الذي كرهه بشدة، الرجل الذي كان يخطط للانتقام منه، على قيد الحياة. لم يعرف ماذا يعني موت يعقوب بالنسبة إليه أو إلى مصير ميثلدور، ولكن كان هناك شيء واحد مؤكداً: لن يتمكن من استعادة جثتها أبداً. شيئاً فشيئاً، أصبحت التبعات الكاملة واضحة إذ وقف عزرا فوق الجثة المملوطة بالدماء على الألواح. وتخلّى عن الأمل في العثور عليها.

همس: "اللعة".

هدأت العاصفة قليلا، لكن الرياح ظلت تعصف بعنف حول المبنى، أصدر السقف وعوارضه الخشبية أصوات صرير. تدلى القنديل العاري على سلكه.

همس عزرا مجددا: "اللعة. كان عليّ أن أقتله بنفسي".

قرر الذهاب إلى المنزل، وأقنع نفسه بأن مراقبة الجثتين لم تكن مهمته: لم يكن يعرف أوسكار، وكره الرجل الآخر بحقد لم تكن الكلمات كافية لوصفه.

عندما عاد إلى العمل في وقت مبكر من صباح اليوم التالي بعد مرور ليلة مضطربة وقصيرة، شعر بالصدمة لرؤيته أن يعقوب قد وقع من أعلى اللوح الذي تمدد عليه واستلقى على الأرض. سارع عزرا باتجاهه، أجلسه بصعوبة كبيرة وأعادته إلى أعلى اللوح. لم يستطع معرفة كيف سقط. ارتطم رأس يعقوب بأسفل اللوح وهو يرفعه إلى الأعلى، وظن عزرا أنه قد سمع صوت أنين خافت قادم من الجثة. تفحص الصياد الآخر وحاول تحريك ساقه، لكنها كانت متصلبة للغاية ولم تنحن: تيبس جسده بالكامل. فكّر في أن يعقوب يجب أن يكون متيبسا بنفس القدر، لكنه لم يكن كذلك، بالرغم من أنه كان شديد البرودة، إلا أنه لم تظهر عليه أية علامات تصلب.

ظن أنه سمع مجددا صوت أنين قادم من جثة يعقوب. انشده وظن أن الصوت يعود للرياح. انحنى فوق جسده، وحاول تقفي أية علامات تدل على التنفس، ثم وضع أذنه فوق صدره لكنه لم يتمكن من سماع ضربات قلبه. نهض عزرا مجددا، وهدق إلى الجثة.

اعتقد أنه رأى وجهه يرتعش. تخثر الدم فوق إحدى عينيه، والتصق شعر يعقوب به. وأصيب أيضا بجرح عميق في خده وآخر في ذقنه. اعتقد عزرا أنه

تعرض لهذه الإصابات عندما قُذف على الصخور في هولما بورتجير.

لا بد أنه كان مخطئاً بشأن الحركة. لكنه لم يكن متأكداً.

كان عزرا يلتف عندما لمحها مجدداً؛ رعشة صغيرة حول فمه. لم يكن هناك شك هذه المرة. لاحظ بوضوح أن شفثيه تتحركان عندما ركّز انتباهه على وجه عزرا.

بدا وكأن يعقوب كان يتنفس.

فُتح الباب.

حمد عزرا في مكانه، ظنّ أنه سيموت من الخوف.

دخل مالك قارب سيغورلينا محتمياً من العاصفة، وتفقد عزرا من الأعلى إلى الأسفل.

قال وهو يضرب الأرض بقدميه ليزيل بقايا الثلج عنهما: "اللعنة".

نهض عزرا عن كرسيه: فاقت تلك الذكرى حدود طاقته. لم يتمكن من الجلوس لفترة أطول، بدأ يسير في جميع أنحاء المطبخ. بينما كان يستمع إلى حكايته، لاحظ إيرلندور أن الرجل العجوز يجد صعوبة متزايدة في وصف الأحداث النابضة بالحياة في عقله لدرجة أنه شعر أنها حدثت بالأمس. كان يسكت لبعض الوقت كلما تحدث قليلا، وأصبح صوته أجش. اعتصر يديه وتجنب نظرات إيرلندور. أشفق إيرلندور عليه، كما فعل مع كل أولئك الذين لم يتمكنوا من الهروب من مصائرهم.

سأله إيرلندور وهو ينهض أيضا: "هل ترغب في بعض القهوة؟ يبدو أنك بحاجة إلى كوب من القهوة".

شرد عزرا في عالم آخر. لم يستجب إلى أن سأله عزرا مجددا. ثم توقف عن الحركة.  
"ماذا قلت؟".

سأل إيرلندور مجددا: "هل تريد بعض القهوة؟ هل أحضرت لنا كوبين؟".  
قال عزرا: "نعم، لدي بعض من القهوة، تفضل واخدم نفسك".  
عاد إلى عالمه الخاص، حيث كان الشتاء مستمرا بعواصفه وبرده القاسي. لم يرغب إيرلندور في استعجاله. كان يعلم أن القصة ستتكشف في نهاية المطاف، ولكن انتابه إحساس قوي بأن ذلك سيكلف عزرا الكثير، لم يتحدث من قبل عن هذه الأحداث، وأراد روي قصة صادقة. بدا واضحا من الطريقة التي تحدث بها أنه بعيدٌ تمام البعد عن مسحها من ذهنه، تذكر كل

شيء بتفاصيله الدقيقة. كان من السابق لأوانه الحكمُ على تمكنه من التخلص من أعباء ماضيه، لكن إرلندور عرف من خبرته الطويلة أن الوقت سيأتي وسيرتاح في النهاية.

بقي الرجلان صامتين، أعد إرلندور القهوة الثقيلة، وبحث عن كوبين نظيفين. أعطى عزرا أحدهما واحتسى بحذر الشراب الداكن والساخن.

قال إرلندور: "يمكنني تفهم أن ذلك ليس سهلاً".

"إنها ليست قصة جميلة".

"أدرك ذلك".

قال عزرا بتردد: "هل أريتك صورة لميثلدور؟"

"لا، كنت سأذكر لو فعلت ذلك".

"هل ترغب في رؤيتها؟"

"سيكون ذلك..."

قال عزرا: "إنها في غرفتي، انتظر لحظة".

في أثناء فترة غيابه، اقترب إرلندور من النافذة ونظر نحو الجرود. كانت الأرض بيضاء بالكامل. لم يتمكن من رؤية الوادي المؤدي إلى باكسيل من هذه الزاوية، رفع رأسه للأعلى ليتمكن من رؤية المزرعة، عندها عاد عزرا. قال: "أعطتني هذه. لا أملك غيرها".

سلم الصورة بعناية إلى إرلندور، كما لو كانت كنزاً لا يُقدر بثمن. تناولها بحذر. كانت مجعدة للغاية لأنها طويت في المنتصف، وبدا أنها جزء من صورة أكبر كانت قد قُصّت إلى قسمين.

قال عزرا: "التقطت هنا في إيسكيفنغدور. في أحد أيام الصيف، أتى مصور إلى القرية وأعطاهما الصورة. قصّتها ميثلدور لنصفيين. وقف يعقوب بجانبها، وقد التقطت خارج منزلها".

نظر إرلندور إلى الصورة. كانت ميشلدور تقف أمام منزلها، تنظر نحو الشمس، علت وجهها ابتسامة خفيفة، كان شعرها داكن اللون يصل إلى كتفها، وضعت يديها على خصرها، برأس محني قليلا، بدت تعابير وجهها لطيفة لكنها حملت تصميمًا عميقًا في الوقت نفسه. انعكس ظلها على الباب خلفها.

قال عزرا: "لم تكن نتواعد حينها. لم يحصل ذلك إلا بعد سنة من تاريخ التقاط الصورة. لكن انتابتنى مشاعر قوية اتجاهها في ذلك الحين".  
سأل إرلندور وهو يعيد الصورة إليه: "ماذا قلت لصاحب القارب عندما جاء إلى المشرحة؟"

أجاب عزرا: "لا أعلم لماذا كذبت. لم أخطط حتى لما كنت سأفعله، لكن بعد الكذبة الأولى، أصبح كل شيء سهلا. كل ما أردته في البداية هو إرغام يعقوب على الإقرار بمكان جثة ميشلدور إن كان على قيد الحياة حقا، أردت الاستفادة من محنته لجعله يقر بالطريقة التي تخلص بها منها. لكن لاحقا..."

اقترح إرلندور: "اجتاحتك رغبة عارمة في الانتقام؟".

حذق عزرا بالصورة مجددا.

قال: "أردت تحقيق العدالة".

ارتدى صاحب القارب، وهو رجل في أواخر السبعينيات من عمره، معطفا شتويا سميكًا، ووشاحًا، وقبعة صوفية. وقف عند الباب كما لو أنه لم يكن يرغب في الاقتراب من الموتى. لم يفقد اثنين فقط من رجاله ولكن قاربه أيضا، وكانت الخسارة الشخصية واضحة من سلوكه. علم عزرا أنه رجل محترم. في نهاية الأمر، كان قد عمل معه منذ وقت ليس ببعيد، ولم يكن لديه شيء سيئ ليقوله بشأنه. امتلك الرجل قاربي صيد آخرين أكبر حجما وبطاقم

أكبر، اعتاد التجول على أرصفة الميناء إذا ما أبحر أحد قواربه في طقس عاصف، منتظرا عودته الآمنة. عمل في البحر لسنوات عديدة ولكن حالفه الحظ إلى حد كبير - لم يفقد سابقا سوى رجل واحد في البحر، خلال موسم سمك الرنكة، مات الرجل غرقا.

قال: "عزرا، إنهما في أيّد أمينة".

أجاب عزرا محاولا تصنع أن كل شيء كان على ما يرام: "لا يوجد شيء يمكن لأي شخص القيام به الآن". كان مصدوما لأن شفّتي يعقوب قد تحركتا وبالكاد تمكن من ضبط نفسه وصوته. حاول أن يبدو مسترخيا قدر الإمكان لكن تساقطت قطرات من العرق على جبينه.

قال المالك وهو يشيح بنظره عن الجثتين: "لم أتمكن بعد من التواصل مع بلدة جريندافيك. أنا لا أعرف الكثير عن أوسكار، لكن حالة يعقوب أسهل. والداه في ريكيافيك وهما متوفيان وليس لديه إخوة أو أخوات. طلب إلي شقيق والدته من دجوييفغور تجهيز تابوت له. سوف يقوم باستلام الجثة في وقت لاحق اليوم. يريدون إقامة الجنازة في أسرع وقت ممكن. بحسب كلامه ليس هناك سبب للتأخير، وأعتقد أن هذا معقول للغاية. سيحفرون القبر هذا الصباح قبل أن تتجمد الأرض وتصبح أكثر قساوة".

"أعتقد... أعتقد أنك محق".

قال المالك متجهما: "لا يريدون دفع أية تكاليف أيضا. أوضح ذلك تماما. عرضت عليه المساعدة، لكنه رفض قبولها".

قال عزرا، وهو يفكر جاهدا في ما عليه قوله: "لا، صحيح".

أضاف المالك: "لم تكن لدى أي منهما عائلة. هذه رحمة صغيرة".

لم يجد عزرا ما يقوله. أدرك ببطء أن يعقوب لا يزال على قيد الحياة. كان سيدق جرس الخطر في ظروف عادية، ينقله بسرعة إلى مكان دافئ،



ويعتني به حتى قدوم الطبيب، كان من واجبه إنقاذ الضحية، بغض النظر عن مشاعره الشخصية. علم ذلك جيدا.  
لكن هذا كان يعقوب.

إن كان هناك شخص يحقد عليه في هذا العالم فهو يعقوب، لم يكن عزرا متأكدا من إجابته في حال سأله أحدهم البارحة عما إن كان على استعداد لإنقاذ حياة يعقوب. الآن، لا أحد يستطيع إنقاذه سواه. في تلك اللحظة، حثه ضميره على الإبلاغ عما شاهده، وطلب المساعدة ليعقوب. توقع في أية لحظة أن ينهض عن اللوح حيث يرقد. لكن الدقائق مرت، لم يقل شيئا، لم يفعل شيئا. لم يبذل أي جهد لمساعدة الرجل الذي يرقد هناك ينتظر الموت.

ردد المالك: "اللعنة. يمكنك صنع تابوت بسيط ليعقوب، أليس كذلك؟ بإمكانك استخدام الأخشاب الموجودة بجانب المبنى الجديد. حاول القيام بعمل جيد يا صاحبي".  
أوما عزرا برأسه.

"ثم انتظر قدوم أقربائه من دجوييفغور، لم يرد العم إحداث أية ضجة كبيرة، سينقل التابوت إلى البحر. قال إنه لا يرغب في حضور الجنازة أو أية اجتماعات غريبة. لكنني سأذهب على أي حال بالطبع. كنت تعرفه جيدا، أليس كذلك؟".

تلثم عزرا: "يمكنك قول ذلك. عملنا معا على متن سيغورلينا لعدة فصول".

قال المالك: "بالطبع أنت تعرفه. يا لغبائي! كان متزوجا من امرأة لطيفة تدعى ميثلدور. لكن للأسف...".  
"نعم".

تبلورت الفكرة في ذهن عزرا عندما سمع المالك ينطق باسم ميشلدور. سيؤجل إخبار الناس عنه. أراد تفحص يعقوب بتمعن أكثر قبل ذلك، ثم سيسأله. إذا رفض يعقوب الإجابة، يمكنه رفض مساعدته، أو على الأقل تهديده بتركه لمواجهة مصيره.

غادر المالك، ووقف عزرا جامدا في مكانه، يراقبه وهو يختفي خلف الباب. مرت دقائق قبل أن يعود، ويلتفت مجددا نحو يعقوب، مقتربا من اللوح الذي وُضعت عليه الجثتان، تفحصه بدقة لبعض الوقت. لم تظهر عليه أية علامات تدل على الحركة، جثم عزرا فوقه لفترة طويلة من الزمن. هل كان مخطئا؟ ألم ير شفتي يعقوب تتحركان؟

ظن يعقوب أن عقله يمارس عليه الأعيه، ولكن عندها ارتعشت شفنا يعقوب مجددا. بدا وكأنه يحاول التكلم، لكن كانت الحركة غير ملحوظة تماما.

انحنى عزرا فوقه، ووضع أذنه فوق فم يعقوب. أمكنه سماع صوت تنفس ضعيف للغاية. وكلما زفر يعقوب كان ذلك أشبه بالصلاة طلبا للرحمة...

النجدة.

النجدة.

رفع عزرا رأسه مذعورا. تمتع الرجل بقدره على التحمل لا تُصدق. تمكن من النجاة من تحطم القارب والأمواج العاتية، نُقل جسده إلى المشرحة، وبالرغم من ارتطامه بالصخور وإصابته بجروح عميقة، فقد تمكن من قضاء ليلة باردة للغاية في المشرحة.

همس وهو يحدق نحو الباب بقلق: "يعقوب؟ يعقوب؟". كرر بصوت أعلى: "يعقوب؟".

فتح إحدى عينيه قليلا. كانت الأخرى مغطاة بخثرة دماء بسبب الجرح في رأسه.

"هل تعلم أين أنت؟".

وضع عزرا أذنه فوق شفتي الرجل.

سمع يعقوب يتنفس: "... النجدة...".

لم تكن تلك مخيلته. كان يعقوب على قيد الحياة.

سأله عزرا: "هل تستطيع سماعي؟". لكنه لم يتلق جوابا.

"سأُخرجك من هنا، وسأحضر لك غطاء وطيبيا. سأفعل ذلك يا يعقوب".

أغمض عينه قليلا.

همس عزرا: "يعقوب".

فتح عينه مجددا.

"سأنقذك يا يعقوب إن أخبرتني عن مكان ميثلدور. إن أخبرتني عما

فعلته بها".

تحركت شفتا يعقوب، واقترب عزرا منه أكثر.

"... بر... د."

"سأنقذك الآن إن أخبرتني. ماذا فعلت بميثلدور؟"

فتح عينيه أكثر وظن عزرا أن يعقوب ينظر إليه. كان جلده أزرق اللون وباردا، وشفته داكنتين.

برزت أسنانه الأمامية من أسفل شفته العليا. احتوى شعره على كتل من جليد البحر، وكان هناك المزيد منها على سترته السوداء الصوفية السمكية وبنطاله المشمع. لكن كانت عينه نصف مفتوحة وظن أنه رأى بؤبؤه يرتعش.

"أين ميثلدور؟"

"... بر..."

"أعلم أن بإمكانك سماعي. أخبرني أين ميثلدور وسأساعدك."

"... لا..."

"لا تستطيع؟ لا تستطيع إخباري بمكانها؟ هل هذا ما تحاول قوله؟"

أغمض عينه مجددا. توقفت شفتاه عن الحركة. اعتقد عزرا أنه قد فقده. تردد للحظات. هل تأخر الوقت؟ هل يجب عليه إحضار المساعدة؟ هل عليه بذل أقصى مجهوده لإنقاذ هذا الرجل؟ قتل يعقوب محبوبته، خنق ميثلدور حتى الموت وأخفى جثتها. ما نوع الرحمة التي يستحقها؟

أطلقت كراهيته القديمة ليعقوب العنان لنفسها، بدأت تسري في جسده، وتتدفق بحمية إلى وجهه. رأى ميثلدور بين يدي يعقوب، تكافح من أجل النجاة، تختنق ببطء، تتوسل عيناها طلبا للرحمة. لكن لم يكن يعقوب رحيفا البتة. لم يشفق عليها أبدا.

وقف عزرا هناك، وتأمل جسد يعقوب فوق اللوح. ثم خرج لإحضار المواد لصنع التابوت.

أغلق المشرحة، أحضر عربة اليد وانطلق لجمع الخشب، لم يلتق بأحد أو يتكلم مع أحد على الطريق. متبعا نصيحة المالك، عثر على بعض المسامير حول مبنى تعبئة الأسماك الجديد، ثم توجه نحو المنزل لإحضار مطرقته ومنشاره. بينما بنى التابوت أمام المشرحة، حاول ألا يدع أفكاره تنحرف نحو يعقوب من خلال التركيز على ميثلدور بدلا من ذلك، فكّر في الأوقات التي تشاركاها، حياتهما التي كانا سيعيشانها معا، حلم كثيرا بمستقبلهما، كيف كانت ستؤول الأمور لو لم يقتلها. ربما كانا قد أسسا عائلة الآن، أطفالا يودعونهما في الصباح ويعودون إليهما في المساء، يقرآن لهم، ويرويان القصص. لقد دمر يعقوب كل ذلك عندما خنق ميثلدور بيديه العاريتين.

وضع عزرا الألواح بالطول، ثبتها بالمسامير مع القطع المستعرضة، وسرعان ما أصبح الصندوق جاهزا. كان الطقس باردا ومثلجا، وتوقف فقط المارة الغرباء للسؤال عن الأخبار. أخبرهم عزرا أن جثة يعقوب كانت ستتجه إلى دجوييفغور، في حين أنه سيتم نقل الرجل من قرية جريندافيك إلى الجنوب. كان لدى يعقوب القليل من الأصدقاء في القرية. جاء رجل واحد فقط لتقديم تعازيه، كان اسمه لاروس واقترب من عزرا من الخلف، وكاد أن يصيبه بنوبة قلبية من الخوف لأنه أتى من خلف دون سابق إنذار.

قال لاروس: "سمعت أنهم سيأخذونه إلى دجوييفغور اليوم". كان رجلا قصيرا في بداية الخمسينيات من عمره، اعتاد الإبحار إلى مواقع صيد الأسماك برفقة يعقوب. كان وجهه مجعدا للغاية، أسنانه ملطخة باللون الأصفر بسبب القطران، وكتفاه محنّيان بسبب انشغاله بالأعمال الشاقة. التقاه عزرا سابقا في القرية، وعلم أن حياته لم تكن سهلة.

أجاب عزرا: "هذا صحيح". وتوقف لينال قسطا من الراحة، ممسكا المطرقة بيده.

"وأنت من يصنع التابوت؟".

"أجل".

قال لاروس وهو يحدق إلى باب المشرحة: "أردت أن ألقى عليه النظرة الأخيرة".

قال عزرا بتردد، وهو يحاول التفكير في عذر: "إنه في وضع مزرٍ. ليس بصورة جيدة البتة".

قال لازوس: "أنا متأكد من أنني رأيت أسوأ من ذلك". تناول السيجارة التي كان قد حماها براحة يده. أمسك بنهايتها المضيئة بين إصبعه وإبهامه، ووضع العقب في جيبه.

قال عزرا بتردد: "إذن تعال".

دخلا إلى حيث رقدت الجثتان. لم يتحرك يعقوب مما أشعر عزرا بالراحة. رقد فوق اللوح، ذراعه على جانبه، مواجه السقف. مشى لاروس إليه، ورسم علامة الصليب فوق جسده، ثم وقف هناك. بدأ أنه يتلو صلاة على روح الرجل الميت. نظر عزرا بشكل محموم إلى عيني يعقوب وشفتيه، ثم إلى لاروس الذي يقف فوقه. بدأ أن الوقت لا يمر.

قال لاروس فجأة، وهو يلتفت نحو عزرا: "لقد كان رجلا صالحا. زميلا بالنسبة إليّ".

قال عزرا: "أجل، أعرف ذلك".

قال لاروس: "لا بد أن دوره قد حان. سارت الأمور بتلك الطريقة وغادر الحياة. لكل شيء وقته ومكانه".

تركز انتباه عزرا على يعقوب، وكاد أن يقسم إنه فتح عينه مجددا. لم يلحظ لاروس ذلك لأنه كان يقف بالاتجاه المعاكس.

سمع نفسه وهو يجيب تلقائيا: "أظن ذلك".

حدق لاروس إلى يعقوب مجددا. أشاح عزرا بناظريه نحو الأرض. لا بد أنه قد لاحظ أن يعقوب قد فتح عينه قليلا. ظل ينتظر سماع صوت لاروس يصيح برعب، لكنه لم يفعل. رفع رأسه ببطء. كان لاروس يحدق إلى يعقوب.

قال بصوت عالٍ: "يمكن أن يكون ذلك تهديدا لعينا أيضا".

صمت عزرا.

ردد لاروس: "تهديدا لعينا". رمق عزرا بنظرة، قبل أن يخرج بسرعة من المبنى.

عندما انتهى عزرا من بناء التابوت، أمسك بأحد جانبيه وجره إلى داخل المشرحة. كشط الخشب فوق الأرضية الخرسانية، وأسقط التابوت أرضا مما أصدر صوتا عاليا بجانب اللوح حيث يرقد يعقوب. لم يتحرك يعقوب، رغم أن عزرا حدق إليه لبعض الوقت. خرج مجددا لجلب غطاء التابوت. ثم ذهب وأحضر المسامير.

مكتبة

[t.me/t\\_pdf](https://t.me/t_pdf)

كان عزرا قد توصل إلى قرار. توصل إليه في أثناء قيامه بجمع الألواح وبناء التابوت، ولكنه تكون خلال السنوات التي تلت اختفاء ميثلدور. يجب على يعقوب دفع ثمن جريمته. سيحاول عزرا إجباره على الكشف عن مكان ميثلدور. إذا سار كل شيء على ما يرام، فستنتهي محنته طويلة الأمد. لكن ذلك لن يغير مصير يعقوب. كانت أيامه معدودة. كان يجب أن يموت عندما اصطدم القارب بالصخور، كانت الطريقة الوحيدة التي تمكن بها عزرا من تبرير قراره هو إقناع نفسه بأنه كان ينهي ما بدأت به قوة أكبر منه.

بعد أن انتهى، شعر عزرا بالاضطراب لأنه أدرك أن قراره بحرمان يعقوب من المساعدة قد تم التوصل إليه دون عذاب. على العكس من ذلك، بدا أنه نتيجة منطقية لكل ما مضى. بالكاد فكّر في أنه كان يرتكب جريمة قتل، عملاً إجرامياً، خطيئة. ربما قمع تلك الفكرة عمداً، وتجنب التسمية الصحيحة لفعلته، لأن ذلك بدا قاسياً، عديم الرحمة، وحشياً.

عندما عاد، اكتشف أن يعقوب قد فتح عينه غير المصابة كلياً، محققاً حوله وكأنه شعر بالخطر.

وضع إحدى ذراعيه التي كانت بجانبه على صدره. انبثقت دفقة من الهواء، صغيرة جداً حتى تكاد تكون غير مرئية، من أنفه وفمه. تأرجح يعقوب على شفا الموت، لكنه عاد الآن إلى عالم الأحياء، تحدى إصراره على النجاة كل المعتقدات.

توقف عزرا وهمس بأذنه: "أخبرني عن ميثلدور. ماذا فعلت بها؟".



حذق إليه بعينه المفتوحة. حاول فتح عينه الأخرى التي كانت مغلقة بسبب خثرة الدم فوقها.  
"أين هي؟"

حذق يعقوب إليه بعينه المفتوحة. ارتعشت شفتاه. وضع عزرا أذنه فوقهما.

بينما فعل ذلك، أمسك يعقوب بعنق عزرا ولف يده الباردة حولها محاولاً سحب رأسه نحو الأسفل، وصاح: اذهب إلى الجحيم.  
حرر عزرا نفسه من يد يعقوب التي سقطت نحو الأسفل، وغاب عن الوعي مجدداً.

عثر عزرا على صندوقين كبيرين إلى حد ما لوضعهما تحت التابوت، ثم سحب الرجل من أعلى اللوح وتركه يسقط داخل التابوت. صدر صوت ارتطام عالٍ عندما استقر في قاع التابوت.

ثم أحضر الغطاء وتناول مسماراً تلو الآخر من جيبه، وثبت بها الغطاء، تجنب التفكير في ما يفعله. حقيقة أنه يقتل رجلاً لا يمكنه الدفاع عن نفسه. كان عليه أن يتصارع مع هذه الفكرة لبقية حياته.

كان عزرا يدق المسمار الأخير عندما سمع صوت اقتراب أحدهم. وصل عم يعقوب مع مالك القارب لاستلام الجثة.

وتخ المالك عزرا لتسميره الغطاء قبل أن تتاح لعمه فرصة رؤية الرجل الميت وأمره بإحضار المخل حالاً.

سأل المالك عمَّ يعقوب: "ألا ترغب في رؤيته؟". كان رجلاً مسناً، ارتدى سترة جلدية قديمة، وانتعل حذاء مطاطياً. لم يبدو حزيناً على وفاة يعقوب.

حذق إليه عزرا. لم يكن يعتقد أنه قد يرغب في رؤية جثة قريبه.

أجاب العم أخيرا: "لا ضرورة لذلك. لم أكن أعرفه جيدا". عندها شعر  
عزرا براحة غامرة.

طلب العم المساعدة إلى جاره من قرية دجوييفغور الذي امتلك قاربا،  
وحملوا التابوت بمساعدة عزرا على متنه، وربطوا القماش المشمع فوقه.  
انتهى كل شيء. هبّت الريح، وانطلق القارب حاملا التابوت عبر  
المضيق البحري الهائج. ربّت المالك على ظهر عزرا، وشكره على عنايته  
بيعقوب. تمت عزرا رده. ودّعا بعضهما وذهبا في طريقين مختلفين.

الآن بعد أن حصل إرلندور على ما يريد، لم يعد متأكدا مما إذا كان لديه الحق في الضغط على عزرا بتلك الطريقة، أو إذا كان يحتاج حقا إلى سماع الحقيقة كاملة. جلس بهدوء خلال استماعه لقصة الرجل العجوز، قرر عزرا البوح بكل شيء وعدم إخفاء أية حقائق مهما كانت غير مريحة أو مؤلمة. ولكن كان من الواضح أن النظر إليه وهو يعترف بالجرم الذي ارتكبه هو إحدى أكثر تجارب حياته مأساوية.

انتظره إرلندور ليستأنف حكايته، ولكن عزرا جلس بصمت على كرسيه الخشبي في الزاوية، لم يعد ذهنه في المطبخ، في المنزل، أو حتى في هذا العالم. حمل صورة ميثلدور، وداعبها بأصابعه، وكأنه يتوق للمسها مرة أخرى.

كسر عزرا صمته: "قد تهلك معرفة -". حاول مجددا، "قد تهلك معرفة أنني شعرت بتأنيب الضمير منذ ذلك الحين. بمجرد أن قمت بفعلة تلك ظلت أفكر فيما إن كان عليّ إخبار أحدهم. تمنيت لو تركوه بضعة أيام قبل دفنه، حتى يتمكن أحد من ملاحظة أنه لا يزال حيا. لم أفعل شيئا لإنقاذه. لكنني دعوت له - دعوت ألا يعانى. صليت إلى الله كي لا يضطر للمعاناة. لم أستطع تحمل فكرة تلويته داخل نعشه. ولكن هذا لم يكن في ذهني عندما أغلقت غطاء التابوت عليه. لم أكن مضطرا للتعارك مع ضميري لأنني لم أعرف ما حدث بعد أن أغلقت الغطاء. تصالحت مع ربي على مر السنين. لم يبقَ لي سوى الموت. ثم أتيت أنت".

رفع عزرا رأسه.

"أتيت إلى هنا تدّعي أنك نبشت قبره. قلت إنك رأيت علامات خدش على الغطاء. وضعت سنّيه على منضدة مطبخي".

"أنا أعتذر إذا-". لكن لم يتمكن إرلندور من إنهاء كلامه.

حدق عزرا إلى الصورة مجددا وقال: "كانت تلك المرة الأولى التي أدركت فيها ما كنت قد اقترفته. لا بد أنك تبغضني بشدة".

أجاب إرلندور: "رأبي غير مهم".

"هذا ما تقوله الآن. لكنك لو لم تلاحقني كالشبح من الماضي، ما كنت لأتذكر كل ذلك الآن".

"يمكنني تصديق-"

قاطع عزرا مجددا: "أنت الوغد الأكثر عندا الذي التقيته في حياتي".

لم يعرف إرلندور ما عليه أن يقول.

قال عزرا: "أيا يكن الأمر، سأموت قريبا وسيتهي كل شيء حينها".

قال إرلندور: "يمكنني تصديق أن التعايش مع ذلك كان صعبا للغاية. خاصة لرجل نزيه مثلك".

قال عزرا: "نعم، لا يمكنك قول إنني نزيه بعد فعلتي. حاولت بذل قصارى جهدي، حاولت التكفير عن فعلتي بطريقتي الخاصة. ولا يمكنك نسيان ما فعله يعقوب بميثلدور. يمكنني تسويغ جريمتي في بعض الأحيان. ألوم يعقوب. ثم أشعر بالتحسن لبعض الوقت. لكن ذلك الشعور لا يدوم".

قال إرلندور: "كما قلت، إنها ليست أول قصة استثنائية حول النجاة. هناك كثير من الناس الذين تم تأكيد وفاتهم رسميا. لدى الإنسان غريزة هائلة للاستمرار في الحياة.

تابع عزرا: "لطالما تمنيت لو أنه مات في حادثة تحطم القارب. لكان ذلك... لكان ذلك أسهل، أظهر".

قال إرلندور: "الحياة ليست سهلة. هذا هو الشيء الأول الذي نتعلمه. إنها غامضة للغاية".

سأله عزرا: "هل ستعتقلني؟".

التقت أعينهما.

"فقط إن كنت ترغب في ذلك".

"ستترك الأمر لي؟"

"هذا ليس من شأني. أردت فقط معرفة الحقيقة".

"لكنك رجل شرطة. أليس ذلك واجبك...؟"

"يمكن أن يكون واجب الشخص معقداً".

"لا يهمني حقاً ما تفعله. بالرغم من أن بعض الناس هنا سيغيرون رأيهم عني، لا يهمني حقاً. ولكنني سأكون ممتناً لو بقيت قصة مصير ميثلدور دون تغيير. لدى تلك القصة وقع شاعري. بالرغم من أنها كذبة لعينة، إلا أن هناك شيئاً ما في فكرة وقوفها على ممر هرايفرسكورد أود تركه يعيش في ذكريات الناس. ما لم يكونوا قد ماتوا جميعاً.

"لا أعتقد أن أحداً قد سأل عن يعقوب كل هذه السنوات، هل هذا صحيح؟".

"نعم، أنت الوحيد الذي سأل عنه".

"ولم يخبرك أبداً عما فعله بجثتها؟"

"لا".

"لو أنقذت حياته، هل كان من الممكن أن يخبرك؟".

أجاب عزرا: "لا، لم يكن ليشكل ذلك أي فرق. أنا واثق من ذلك. ما

كان لييوح بالسر حتى لو ساعدته".

تابع إرلندور مختاراً كلماته بعناية: "يبدو لي أن يعقوب كان في حالة يُرثى

لها عندما وضعت داخل التابوت".

بدا وكأنه تدرّب على تبريره مرّات لا تحصى في السنوات الماضية. ركع  
عزرا على قدميه ونظر من النافذة إلى الجرود والسماء الصافية فوقها.  
قال: "أتساءل أحيانا، لا تسىء فهمي، لا أقصد بذلك نجاته، لكن لو أظهر  
لي بعض الندم، أدنى تلميح على الندم أو الأسف... هل كانت ستسير الأمور  
على نحو مختلف؟ هل كنت أنقذت حياته؟".

لم يعرف إرلندور ما عليه قوله.

همس عزرا محمداً بالنافذة: "اضطرت للتعاش مع ذلك منذ ذلك  
الحين، وغمرني في كثير من الأحيان شعور بالخزي لم أتمكن من تحمله.

بعد أن خرجت هروند من المستشفى، قاد إرلندور سيارته في المساء إلى منزلها، ولمحها تجلس في مكانها المعتاد عند النافذة. ابتسمت له، وجاءت هذه المرة إلى الباب الخارجي للترحيب به. انضم إليها في غرفة الجلوس، فسألها إرلندور عن صحتها. قالت إنها عادت إلى المنزل في ذلك الصباح، ولم يكن لديها ما تتذمر حوله.

سألت في أثناء إحضارها القهوة الطازجة له: "هل من اكتشافات جديدة؟ هل من أخبار تتعلق بميثلدور؟".

لم يكن إرلندور متأكدا من كمية المعلومات التي يريد الإفصاح عنها حول مصير ميثلدور ويعقوب، أو انتقام عزرا بعد حادثة تحطم القارب عام 1949. فضل أن يتجاهل نبشه للقبر أيضا، وبما أنه أخفى هذه الحقيقة، فقد كان حريا به التكتم عن باقي المعلومات أيضا. لذلك أعطاها نسخة معدلة بشدة عن لقاءاته مع عزرا. جلست هروند، واستمعت من دون تعليق حتى وصل في حديثه إلى النقطة الأهم. قال إرلندور: "أتمنى إبقاء هذا الأمر بيننا. كي لا ينتشر الموضوع أكثر من ذلك".

"بالطبع".

"عزرا متأكد من أن يعقوب قد قتل ميثلدور".

حدقت إليه هروند بدهشة.

قال إرلندور: "لا يملك دليلا. لكنه أخبرني أن يعقوب قد اعترف له بجريمته. تصرف يعقوب بدافع الغيرة والرغبة في الانتقام. قد يطلق عليها

بعضهم اسم جريمة العاطفة. كانت ميثلدور ستترك يعقوب للبقاء مع عزرا، شك يعقوب في أنها تخطط إلى أمر ما، وتبعها إلى منزل عزرا في إحدى الليالي، رأى كل شيء، ولم يتمكن من تحمل ما رآه، لم يتمكن من تحمل الخيانة".

بقيت تعابير هروند غير مفهومة.

"اخترع يعقوب قصة أن ميثلدور قد ذهبت إلى منزل والدك في رايدارفيديور وعلقت في العاصفة. لكن الحقيقة أنها لم تغادر منزلها قط".

أخيرا، همست هروند: "يا إلهي!".

قال إرلندور: "ليس لدي أي سبب لأصدق عزرا".

"ذلك الوغد الشرير".

وصف إرلندور الطريقة التي استخدمها للضغط على عزرا لدفعه إلى الاعتراف بالحقيقة، وكيف أنه هو وميثلدور كانا مغرمين، كيف توقف الوقت بالنسبة إلى عزرا عند اختفاء ميثلدور، أخبرها عن لقاء عزرا مع يعقوب بعد اختفائها، أولا في المقبرة، ثم في منزل يعقوب، حيث اعترف له بأنه قتلها.

سألت هروند: "كيف أجبرته على الكلام؟".

تنهد إرلندور وقال: "بدا أنه مستعد لتحرير نفسه من أعباء الماضي". أمل أن تكون هذه كذبة جيدة بما فيه الكفاية.

لم يكن ليحلم حتى بالاعتراف بالضغط الذي مارسه على عزرا لجعله يتعاون. في الواقع، شعر بالأسف تجاهه، خاصة عند النظر إلى الثمن. لم يكن إرلندور فخورا بما فعله. شعر بالقلق إزاء حفر قبر يعقوب، لكنه شعر بقلق أكثر بشأن كيفية تعامله مع عزرا. كان قد أجبر الرجل العجوز على الاعتراف، والآن لا يمكنه سوى أن يشفق عليه. ربما دفعه إلحاحه الجشع، وهوسه بالكشف عن الحقيقة، لكن لماذا لم يستطع ترك عزرا بسلام مع أسرارها؟ لم



يكن سفاحا، ولم يشكّل خطرا على مجتمعه. عندما افترقا، قال عزرا إنه لم يكن مهتما بما سيفعله إيرلندور باكتشافاته، لكن كان إيرلندور أدرى بالحقيقة. أتى الغضب في أعقاب الحقيقة.

قال إيرلندور: "يصعب تخيل نهاية أسوأ من تلك".

صاح عزرا: "ألا تظن أنني أعرف؟ ألا تظن أنني قد فكرت في ذلك كل يوم؟ توقف عن تقديم المواعظ لي". التفت ليحديق إلى إيرلندور.

قال: "يمكنك المغادرة الآن. اذهب من هنا واتركني بمفردي. لا أريد رؤيتك مجددا. لم يتبق لي الكثير من الوقت ولا أريد رؤيتك بعد الآن". "يمكن تفهم -" لم يتمكن إيرلندور من إنهاء كلامه.

صاح عزرا: "اخرج من هنا، نفذ مرة في حياتك ما أطلبه إليك. اخرج" نهض إيرلندور وتوجه نحو باب المطبخ. قال: "لا أرغب في الرحيل وأنت غاضب".

أجاب عزرا: "لا أكثر بما ترغب فيه. فقط اذهب من هنا".

لذا افترقا حينها. غادر إيرلندور بالرغم من أنه لم يكن يرغب في تركه بتلك الحالة الصعبة. لم يكن هناك شيء بوسع فعله لعزرا الآن، لكنه قرر العودة مجددا في اليوم التالي ليطمئن عليه بالرغم من رجاء الرجل العجوز. لقد تطلب الأمر من هرون بعض الوقت لفهم التداعيات الكاملة لما قاله إيرلندور.

أخيرا قالت: "تعني أن يعقوب قد اعترف لعزرا؟ أنه قتلها؟".

أوما إيرلندور برأسه.

"كيف؟".

أجاب إيرلندور: "بيديه العاريتين. يبدو أنه خنقها".

وضعت هروند يدها على فمها، كما لو كانت تكبح الدموع التي انهمرت على شفيتها عندما تخيلت نهاية أختها.

"لكن لماذا لم يخبر عزرا أحدا؟ لماذا لم يذهب إلى الشرطة؟".

أجاب إرلندور: "كان الأمر معقدا أكثر من ذلك. أحكم يعقوب قبضته على عزرا. قال إنه سيتهم عزرا بقتل ميثلدور إن أخبر أحدا حول ما سمعه. اختار عزرا عدم المخاطرة. لم يكن ذلك ليعيد ميثلدور إليه وكان مقتنعا بأن يعقوب لن يكشف أبدا عما فعله بجثتها. وهذا ما حصل حقا".

سألت هروند: "ماذا فعل؟ ماذا فعل يعقوب بجثتها؟"

"رفض البوح بذلك حتى مماته".

"إذن لا أحد يعرف؟".

"لا".

"ولا حتى عزرا؟".

"لا".

"ولم تكتشف ذلك؟".

"لا".

"إذن، لن يُعثر عليها قط؟".

"أرجح ذلك".

فكرت هروند في ما قاله إرلندور للتو. كانت مصدومة تماما. بدت وكأنها في عالم آخر.

أخيرا، قالت: "ذلك الرجل المسكين".

قال إرلندور: "منذ ذلك الحين تدمرت حياة عزرا".

"وجب عليه متابعة حياته بالرغم من أنه يجهل مكان جثة ميثلدور".

"أجل".

قالت وهي تنهض على قدميها بحسرة: "من يمكنه فعل ذلك - أي نوع من الرجال؟ أي نوع من الوحوش كان يعقوب؟".

"قلت إنه كان سيئ السمعة".

"نعم، لكن من يستطيع القيام بما قام به؟"

"نال عقوبته المستحقة".

انفجرت هروند: "ذلك غير كاف بنظري".

قال إرلندور: "ربما أتاحت له فرصة للتفكير في المعاناة التي سببها للآخرين قبل وفاته".

نظرت إليه بحدة: "ماذا تعني؟".

أجاب إرلندور: "كان ذلك سيكون عقابا كافيا".

في نهاية ذلك اليوم الطويل، قاد إرلندور سيارته إلى منزل خشبي صغير، مغطى بالحديد المموج، ويقع في مدينة سيديسفجوردور. بعد مغادرته منزل هروند، قاد سيارته مباشرة على طول وادي فاغريدالور، وتوقف لفترة وجيزة في إيغلستادر للتزود بالبنزين، والسجائر والقهوة، قبل أن يسلك الطريق الشرقي عبر الممر الجبلي المرتفع إلى سيديسفجوردور الذي يقع عند رأس المضيق البحري الذي يشاركه الاسم نفسه. لم يتبقَ لديه سوى مكالمة واحدة، أراد إجرائها في ذلك المساء. وجد العنوان في دفتر الهاتف. الرجل الذي كان في طريقه لزيارته يُدعى دانييل كريستمونديسون، وقد ذُكر اسمه في محادثة مع خصم بواس؛ لودفيك. اعتاد دانييل العمل دليلاً للصيادين من ريكيافيك. دعاه لودفيك باسم: "الوغد القديم".

سطع بريق خافت من الضوء من إحدى نوافذ المنزل، الذي يقع في شارع منعزل ذي إضاءة سيئة في الطرف الشرقي من البلدة الصغيرة. بعد بحثه من دون جدوى عن الجرس، طرق إرلندور الباب. لم يُجب أحد، لذا طرق مرة أخرى. سمع في النهاية صوت حركة في الداخل بعد مرور فترة طويلة. انتظر بصبر حتى فتح الباب رجلٌ في الخمسينيات من عمره، أشعث الشعر، طليق اللحية، حدّق إليه على نحو مريب.

"كيف يمكنني أن أساعدك؟"

وجد صعوبة في وصفه بالوغد القديم، لذا افترض أنه الرجل الخطأ، استفسر إرلندور عما إن كان هذا منزل دانييل كريستمونديسون.

أجاب الرجل: "لقد مات دانييل".

قال إرلندور: "هل توفي منذ فترة طويلة؟".

"منذ ستة أشهر".

قال إرلندور: "حسنًا، قُضي الأمر إذن. لا يزال عنوانه مذكورًا في دليل

الهاتف".

"نعم، أعتقد أن عليّ الاتصال بالشركة".

تفحصه الرجل. لمع في عينيه بريق من الفضول: "لِمَ أردت رؤيته؟ هل

تبيع شيئًا ما؟".

أجاب إرلندور: "لا، أنا لست بائعًا متجولًا. أعتذر لإزعاجك".

ودّعه وكان على وشك العودة إلى سيارته عندما خرج الرجل إلى عتبة

المنزل.

سأله: "ماذا أردت من دانييل؟".

أجابه إرلندور: "لا يهم. لقد تأخرت للغاية. هل كنت تعرفه؟".

قال الرجل: "نعم، إنه والدي".

ابتسم إرلندور: "أردت التحدث إليه حول صيد الثعالب في الأيام

الخوالي. أردت الاستفسار عن سلوك الثعالب على وجه الخصوص، وعن

جحورها. هذا كل شيء. سمعت أنه خبير".

"ما الذي أردت معرفته؟".

اندمج الضوء الخافت مع الظلام حيث وقف. شعر إرلندور بالحرج

وعدم تأكده من مهمته الآن، فقد تبين أن الرجل الذي جاء لرؤيته ميت. لكنه

أثار اهتمام ابنه الزائر الذي أزعج غفوته.

أجاب إرلندور: "لا شيء مهم. أردت سؤاله فقط عما إن كان قد وجد

شيئًا غير عادي في الجرود إلى الجنوب من هنا. في الجبال المطلّة على

رايدار فيدور أو إيسكيفنغدور - على سبيل المثال، على أندري أو هاردسكافي. هل تعرف شيئاً بشأن هذا؟"  
سأل الرجل: "هل تعمل في السد؟".  
"لا".

"في المصهر إذن؟".

شرح إرلندور له: "لا، أنا عابر سبيل فحسب. لا أعمل في هذه المجالات".  
قال الرجل: "عشر والدي على مختلف الأشياء، جميع أنواع الخردة. واحتفظ ببعض منها أيضاً".

"هل تعني أغراضاً كان قد عشر عليها في جحور الثعالب؟".

"هذا صحيح. ومن الشاطئ أيضاً؛ اعتاد الذهاب إلى الشاطئ بحثاً عن الأصداف، والحصى، وعظام الحيوانات. أعتقد أنك كنت ستسر بمقابلته".  
"يؤسفني سماع أنه قد توفي".

"تمتع بحياة جيدة. لم يناسبه الجلوس في سريره في أيامه الأخيرة، كان سعيداً بمغادرة عالمنا، لعلك ترغب في رؤية الخردة التي جمعها؟ هناك الكثير منها في المرآب، لم أرم شيئاً بعد رغم أنني كنت أحياناً أفكر في إحراق المرآب".  
صمت إرلندور قليلاً. لقد كان يوماً مجهداً.

قال الرجل: "الأمر عائد إليك". وانتظر الإجابة.

أجابه إرلندور: "لا ضير إن ألقيت نظرة". كان الرجل متلهفاً للمساعدة ولم يشأ أن يبدو غير ممتن.

قال الرجل وهو يمد يده لمصافحة إرلندور: "اسمي دانييل أيضاً، دانييل دانييلسون. لا يوجد العديد منا في الأرجاء".

غير متأكد من كيفية تلقيه لهذا، تبعه إرلندور بصمت إلى الجزء الخلفي من المنزل، حيث اشتد الظلام، إلى مبنى خرساني ربما استخدم من قبل بمثابة

مرآب. فتح دانييل الباب، وتحسس مفتاح الإضاءة، ليشعل المصباح الذي تدلى من السقف.

لسوء الحظ، لم يكن الوغد القديم مرتبا، ولم يحرص على ترتيب مجموعته بأي شكل من الأشكال. لقد اكتظّ المرآب بمختلف الأشياء، بعضها مفيد، وبعضها الآخر لا قيمة له، وكان من الواضح أن دانييل قد جمع كل ما وجدته أمامه ثم رماه في المرآب بعشوائية. وقف إرلندور عند المدخل: لم يكن هناك أي جدوى من الدخول أكثر من ذلك.

قال دانييل: "هل ترى ما أعنيه؟ ألن يكون من الأسهل إحراق المرآب؟". أجاب إرلندور بأدب: "أخشى أنه لا يوجد شيء مما أبحث عنه هنا. لن آخذ من وقتك أكثر من ذلك. يجدر بي المغادرة".

قال دانييل: "ذكرت جحور الثعالب".

"نعم، لكن لا بأس. فوقتي ضيق بعض الشيء".

"أنا متأكد من وجود بعض الصناديق في مكان ما هنا - ثلاثة صناديق على ما أعتقد - مليئة بصناديق أصغر ومغلفات احتفظ فيها بالعظام التي وجدها. اعتاد أن يريني إياها في الأيام الخوالي، أخبرني أين وجدها وما إلى ذلك. كانت لديه مجموعة كبيرة تحتوي على عظام ثعالب أيضا، عدد جيد منها. هل هذا ما كنت تفكر فيه؟".

شق الرجل طريقه بين أكوام القمامة، ودفع قطع الغيار التي تعود إلى سيارات، وإطارات، وهياكل دراجات محطمة. مجموعة من أدوات السباكة، بما في ذلك أنابيب ومفصلات متدلية من السقف. رصد إرلندور بندقتين مكسورتين: فقدت إحدهما الزناد، واتجهت الماسورة والمخزن في اتجاهين متعاكسين. كان هناك غراب محشو وجلد حيوان لم يميزه في إحدى الزوايا. تقدم دانييل أكثر في المرآب وندم إرلندور أكثر من أي وقت مضى لأنه أيقظ

الرجل من نومه. كان على وشك الاستسلام للرغبة في التسلسل بعيدا دون وداعه عندما تعجب دانييل فجأة وقال: "وجدت أحدها".

رآه إرلندور ينهض ممسكا بين يديه صندوقا كرتونيا كبيرا.

قال دانييل وهو يحضر الصندوق: "يمكنك أن تلقي نظرة هنا إن أحببت. سأتحقق من الصندوقين الآخرين هناك".

احتج إرلندور: "ليس هناك من داعٍ حقا". لكن لم يسمعه الرجل أو ربما لم يُرد سماعه.

تناول إرلندور الصندوق ووضع على كومة من السجادات. اتضح أنه مليء بالعظام ذات اللون اللفتي التي وجد صعوبة في تحديد الحيوانات التي عادت إليها، لكنها تضمنت جماجم طيور وقطط، وعظم فك ثعلب مع أسنان حادة كالإبر، ومجموعة من عظام الساق والضلوع المختلفة. بدا وكأن هنالك هياكل فئران بينها. لم يتم تصنيف أي منها بأي شكل من الأشكال، لا باسم فصيلة الحيوان أو موقع الاكتشاف. رفع إرلندور رأسه ليرى دانييل يحتضن صندوقا خشبيا قديما احتوى في وقت من الأوقات على زجاجات من مشروب غازي آيسلندي توقفت المعامل عن صنعه منذ فترة طويلة، يدعى "سبور". لم يتذوقه إرلندور من قبل.

كانت محتويات هذا الصندوق أكثر تنظيما؛ وُضعت بعض العظام داخل مغلف ورقي بني، وسُجل اسم الحيوان وموقع الاكتشاف على مقدمة المغلف. خمن إرلندور أن دانييل كان قد بدأ هوايته بشكل منظم، لكنه تخلى عن الفكرة في نهاية المطاف، ربما جمع هذه العظام بشكل أسرع مما استطاع تسجيله.

تحدث دانييل من الجهة الأخرى من المرآب وقد بدا عليه الفخر: "علم كثيرا عن العظام، خاصة فيما يتعلق بالطيور. تدرّب على التحنيط عندما كان صغيرا، رغم أنه لم يمارس التحنيط بمثابة عمل جدي، كان مجرد هواية. لدي



ثعلب أبيض في الداخل حنطه بشكل جيد، وصقر إن كنت مهتماً".

قال إرلندور: "حنط غراباً أيضاً إن لم أكن مخطئاً؟". مشيراً بذلك إلى الطائر الأسود المحنط على الرفوف الخشبية.

أجاب دانييل الأصغر: "هذا صحيح. بالمناسبة، هل أنت من ريكيافيك؟".

أجابه إرلندور: "هذا صحيح". وأكمل بحثه في المغلفات داخل الصندوق. أصبح مستغرقاً الآن. كُتب على أحدها: "خرشنة قطبية، لودموندارفجوردور". فتح المغلف، فانزلقت منه جمجمة شبه سليمة إلى راحة يده.

"اعتاد التحدث عن وضع هذه العظام في صندوق عرض مع ملصقات مناسبة والتبرع بالمجموعة للجامعة المحلية. صمم صندوق عرض منذ زمن طويل، بواجهة زجاجية، لكن لا يمكنني العثور عليه في أي مكان. لقد سبق لي أن رأيته هنا، لذلك لا يمكنني معرفة ما حل به".

أعاد إرلندور الجمجمة إلى المغلف. أمسك دانييل بصندوق آخر ومرره إليه. احتوى على العديد من الحواظ المصنفة الصغيرة. كان دانييل الأكبر منظماً للغاية فيما يتعلق بهذا الجزء من مجموعته.

التقط إرلندور أحد الصناديق الصغيرة، ألصق على غطائه ملصقاً دُونَ عليه: "سفح جبل سنايفيل، القطقاط الذهبي".

أخرج إرلندور عدة صناديق أخرى وتفحصها. رُسمت علامة استفهام على غطاء أحدها. قرأ الملصق: "هاردسكافي، الجناح الشمالي".

كُتبت الكلمات بقلم رصاص. أدهشه وجود علامة الاستفهام. فتح الغطاء، ورأى على الفور أن العظام الصغيرة التي احتواها كانت بشرية. عثر في الماضي على هيكل عظمي لفتاة تبلغ من العمر أربع سنوات.

شعر برعشة تسير مثل الماء البارد أسفل عموده الفقري.

صاح دانييل من مؤخرة المرآب: "ماذا لديك هناك؟". كان قد لاحظ أن ضيفه قد جمد في مكانه، وكأنه تحول إلى حجر، ممسكا بأحد صناديق والده بين يديه.

سأل إرلندور دون أن يزيح نظره عن العظام: "هل ذكر والدك شيئا حول شخص فُقد في الجرود في هذه الأرجاء؟".  
"شخص مفقود؟ لا".

"فتى من إيسكيفنغدور، فُقد في الجرود منذ أربعين سنة؟".  
أجاب دانييل: "لا، لم يذكر ذلك قط. على الأقل ليس أمامي".  
"هل أنت متأكد؟".

"نعم، كنت سأتذكر. لكنه لم يذكر شيئا كهذا".

حرق إرلندور إلى علامة الاستفهام على الغطاء. لم يعرف دانييل المسن ما الذي وجده على المنحدرات الشمالية لهاردسكافي، لكنه وضع العظام في جيبه على أي حال بسبب هوسه بالتجميع. ربما كان ينوي معرفة ماهية تلك العظام، أو حتى إرسالها إلى مختص، لكنه لم يقم بذلك. كان سيكتشف دون شك ما كان بحوزته لو أنه فعل ذلك، وكان سيسمع شخص آخر عن اكتشافه، ويربط الأمور بالصبي المفقود.

بحث عن تاريخ مدون على الصندوق، لكنه لم يجد شيئا.

كانت هناك عظمتان. لم يجروا على لمسهما، ولكنه كان مقتنعا بأنه كان على صواب. إحداها هي جزء من عظم الذقن، والأخرى هي من الخد.  
لم تكن مكتملة النمو.  
كانت تنتمي لطفل صغير.

سار إرلندور صامتا خلف والده وهم يشقون طريقهم وسط الثلج إلى الجرد الذي يقع خلفه. لم يهتم كثيرا بمعرفة إلى أين هم ذاهبون. بدأ بيرغور بالعدو ليتمكن من اللحاق بهما، لكن سرعان ما ابتعد عنهما مرة أخرى واضطر بيرغور للركض مجددا. وجد إرلندور صعوبة في اللحاق بوالده، حاول السير على خطاه، بالرغم من أن هذا أمر صعب لأنهما متباعدان للغاية. في بعض الأحيان وجب عليه تسريع وتيرته كي لا يتخلف عن بيغي مثل والده.

مشوا لفترة طويلة قبل أن يقرر والده أن الوقت قد حان للراحة، لم يكن متعبا، ولكنه أراد أن يريح ولديه. كلما تسلقوا إلى الأعلى، أصبح الثلج أكثر عمقا، خاصة بالنسبة إلى الأرجل القصيرة. حذق والدهما عبر المنظار، وبدأ بتمشيط المنطقة بحثا عن الأغنام المفقودة.

نادى بيغي: "انتظري، ليندي". لكنه ادعى أنه لم يسمع.

ناداه بيغي: "ليندي، أخي الكبير ليندي". في بعض الأحيان كانت والدته تدعوه بـ "ليلابوب"، مما يثير غضبه، لكن والده دائما ما ناداه باسمه الأول كأن يقول: "إرلندور، ناولني ذلك الكتاب". أو "حان وقت النوم، إرلندور".

تمكن بيغي من اللحاق بهما، لاحظ أن بيغي يعاني مع قفازيه وأنه أحضر معه لعبة السيارة. نزع القفازين ليتمكن من إخراج السيارة من جيبه ليتأكد مما إن كانت على ما يرام، ثم وضعها داخل أحد القفازين، وحاول إدخال يده أيضا، ليتمكن من الإمساك بلعبته.

صَرَخ والدهما: "لا يمكنني رؤية أي منها. علينا الصعود قليلا، لنرى إن كان بإمكاننا تقفّي أثرها".

استأنفوا رحلتهم، مشى والدهما في المقدمة، إرلندور في المنتصف، بيرغور في الخلف، وهو يعبث بالسيارة الصغيرة داخل قفازه، ويكافح للحاق بهما. مشى والدهما في وتيرة ثابتة، رفع منظاره من وقت لآخر وعبر طريقا تلو الآخر. قبل أن يكتشفوا أنهم وصلوا إلى أعالي الجرود. جرى كل شيء بسرعة بالنسبة إلى استيعاب طفل، ترتبت الأحداث في سلسلة من لقطات موجزة، حدّق والدهما إلى السماء، تخلف بيغي عنهما، تساقطت الثلوج لبعض الوقت، لكن غيوم العاصفة السوداء الكثيفة تراكمت بسرعة مزعجة فوق الجبال، فأصبحت السماء أكثر ظلمة، وغرقت أرجلهم في الثلج، وشعر إرلندور، الذي لم يكثرث حقا بالطقس، بالرياح الباردة على خده. لم يعد بإمكانه رؤية مضيق اسكيفوردور بسبب كثافة تساقط رقاقت الثلج. بقي بيرغور في الخلف، ناداه إرلندور لكنه لم يسمعه. عاد إرلندور لإحضاره، فغاب والده عن ناظريه في الثلج. نادى باسم والده، لكنه لم يتلقَ ردًا.

نهض بيغي مرة أخرى، ولكنه أسقط قفازه فطار على الفور بفعل الرياح. بدأ يركض، وإرلندور خلفه محاولا اللحاق به. فقد القفاز في الثلج الكثيف، لكنه لم يتوقف عن المطاردة. أوشك إرلندور على فقدان أثر بيرغور الذي بدا غافلا عن كل شيء باستثناء قفازه. علمتهما والدتهما أن يعتنيا بملابسهما، أمسك بستره بيرغور لإبطائه، حمل بيرغور اللعبة في يده العارية، وتوقف لوضعها في جيبه.

جففت الرياح العاتية دموعه: "أريد قفازي".

أخبره إرلندور: "سنبحث عنه لاحقا".

كان يصرخ حتى يتمكن بيغي من سماعه. عاد في الاتجاه الذي اعتقد أن والده سلكه. شوّشه جريه وراء القفاز، لكنه كان متأكدا من أنه يعرف الطريق،

تبين له أن المشي بعكس اتجاه الرياح بالغ الصعوبة، وكانت الحبيبات المتجمدة تلدغ وجهه، وبدا له أن شدة الرياح تزداد مع كل خطوة يخطوها، وبالكاد استطاع فتح عينيه. شعر أنه لا يتحرك على الإطلاق، ولم يتمكن من رؤية أي شيء سوى البياض أمامه. حدث كل شيء بسرعة لدرجة أنه لم يتح له الوقت حتى يخاف، ولكنه شعر بالراحة لأنه يعرف أن والده بالقرب منه، عندما انضم إليه بيغي أخذ يصرخ بأعلى صوته، ولكن أحدا لم يُجبه.

لم يعرف الاتجاه الذي عليه أن يسلكه، ولم يعرف إن كان يتجه صعودا أم هبوطا، وظن نفسه أنه يصعد نحو المكان الأخير الذي رأى فيه والده، ولكن ربما كان يسلك الدرب الخطأ، ربما لا يجدر به البحث عنه، بل العودة إلى المزرعة وإنقاذ نفسه وبيغي.

بدأ يشعر بالخوف، وأحس بيغي بذلك. سأله: "هل سنكون على ما يرام، ليندي؟". وجب عليه الصياح في أذن أخيه الأكبر ليتمكن من سماعه.

طمأنه إرلندور: "كل شيء على ما يرام. سنصل إلى المنزل قريبا". خلع أحد قفازيه وأراد إعطائه إلى بيغي، لكنه تعثر، فوقع منه، واختفى في العاصفة. أمسك بيغي بيده.

لم يملك إرلندور أدنى فكرة عن الاتجاه، وتمنى أن يكون متجها نحو أسفل التل، لكنه شعر بالارتباك وعدم الثقة. حاول إقناع نفسه بأن الطقس سيتحسن بمجرد نزولهما، واصل بيغي التعثر في الثلج مما أبطأهما، لكن إرلندور لم يفكر في إفلات يده. تخدرت أصابعهما بسبب البرد، ومع ذلك حرص إرلندور على عدم إفلات يد شقيقه.

حاصرتهما العاصفة الثلجية من جميع الجوانب، أرجحتهما إلى الأمام والخلف، أسقطتهما على الثلج مما صعب عليهما الوقوف مرة أخرى. لا يمكنهما حتى رؤية أيديهما أمام وجهيهما، وبعد مرور بعض الوقت، أنهكا

وكادا أن يتجمدا من البرد. ظل إرلندور يأمل في أن يلتقيا بوالدهما، لكن أمه ظل أملا، ولم يحرزا أي تقدم في الاقتراب نحو الأراضي الزراعية. ثم لم يعد بإمكانه أن يشعر بيد بيغي داخل يده المتجمدة، يبدو أنه أفلت يده منذ فترة من دون أن يلحظ الأمر. كانت أصابعه مُطبَّقة كما لو أنه يمسك بيد شقيقه، لكنه لم يكن يمسك سوى بالهواء. استدار إلى الخلف، حاول الركض، لكنه تعثر بفعل تيار قوي. نهض، صاح بيغي مرارا وتكرارا، لكنه وقع مرة أخرى، وبقي يصرخ ويصرخ، بكى وتجمدت الدموع على خديه. جلس القرفصاء في الثلج وقد أسقط بيده، خاف على نفسه وعلى أبيه، وأكثر ما خاف عليه هو بيغي، شعر بأنه أخطأ عندما شجع بيغي على القدوم في هذه الرحلة، فلولاه لبعي بيغي في المنزل.

عندما بدأ إرلندور يتحرك على يديه وركبتيه علا هدير العاصفة، وبدا ضائعا وبلا هدف. قرأ سابقا حول أشخاص علقوا في طقس سيئ، وعرف أن أحد أساليب البقاء المهمة يتمثل في التمدد داخل جرف وانتظار مرور الأسوأ. يجب ألا تغفو في الثلج بأي حال من الأحوال لأن من يغفو لن يستيقظ أبدا، لكنه لم يستطع تحمل التخلي عن بحثه عن بيغي، تمنى من كل قلبه أن يكون بيغي قد نجح في النزول من الجرود، وأن يكون الآن في طريقه إلى المنزل أو يجلس في حضن والدتهما. عندما يصل إلى باكسيل، لا شك في أن بيغي سيأتي لمقابلته مع والدهما، وسيكون كل شيء على ما يرام عندما تلف والدته ذراعيها حوله. شعر بالقلق عليها، لأنه أدرك أنها ستكون خائفة عليه. فقد إحساسه بالوقت، شعر وكأن المساء قد حل منذ ساعات.

سرعان ما تلاشت قوته. بعد رفضه الاستسلام، تقدم بصعوبة عبر الثلج المتساقط، متقلبا بين الزحف والمشى، أملا أنه يسلك الدرب الصحيح، اخترق البرد ملابسه، ولكن أسنانه توقفت عن الاصطكاك، وتوقف أيضا

الارتعاش غير الإرادي الذي سيطر على كامل جسده عندما سقط أخيراً على الأرض من دون حراك، غفا في اللحظة التي اصطدم فيها بالثلج. آخر ما يتذكره هو بيغي ونضاله في العاصفة، بيغي الذي وضع كل ثقته في شقيقه الأكبر.

عندما صاح بيغي: "لا تفلتني. لا تفلتني أبدا".

أجابه: "سيكون كل شيء على ما يرام".

سيكون كل شيء على ما يرام.

استيقظ في صباح يومه الأخير في باكسيل، بعد قضائه ليلة سيئة، غير قادر على الشعور بأطرافه، فأسرع إلى السيارة وشغل جهاز التدفئة. أحضر معه الترمس والسجائر، وبمجرد أن شعر بشيء من الدفء، صب القهوة في غطاء الترمس، وأشعل سيجارة. مكث هناك حتى عاد الدم إلى أطرافه، وضع الصندوق الذي يحتوي على العظمتين بجانبه على مقعد الراكب. كان دانييل قد أعطاه إياه عند الوداع. قائلاً إنه ليست لديه فكرة عما يجب فعله بخردة والده غير المرغوب فيها، وكرر أنه سيكون من الأفضل لو أشعل المرآب بأكمله. شكره إرلندور، وأعاد العظمتين إلى المزرعة.

بناء على الملتصق الموجود على الغطاء، فقد عثر دانييل الأكبر على العظمتين في أثناء سيره في الجهة الشمالية من هاردسكافي، على بعد مسافة كبيرة من المكان الذي وُجد فيه إرلندور في حالة قريبة من الموت. لا بد أن بيرغور قد بقي في الشمال أبعد مما اعتقده أي شخص، على افتراض أن هذه كانت رفات شقيقه، لكنها لم تكن بالضرورة دليلاً على موته في الجبل، فعلى سبيل المثال، قد يحملها ثعلب في فمه لمسافة بعيدة. لم يستمد إرلندور من العظمتين أية معلومات إضافية، حيث رقدتا في أسفل صندوق من الكرتون في مرآب في سيديسفجوردور. كان متأكداً من أنهما تعودان إلى ذقن طفل وخطه، وانتابه على الفور حدس قوي بأنه يمكن أن تكونا لأخيه.

فكّر خلال الليل في إرسالهما إلى المختبر لإجراء فحوصات، مما يمكنه من معرفة تاريخ الوفاة والحصول على رأي خبير بشأن المدة التي قضتها



العظمتان مكشوفتين تحت رحمة عوامل الطبيعة، لكن العملية ستستغرق بعض الوقت، ولم يكن متأكدا مما سيظهر في النتائج. في النهاية، توصل إلى استنتاج مفاده أنه لا يحتاج إلى مساعدة العلم، لقد كان متأكدا في داخله، وسرعان ما بدأت فكرة تشكل حول ما يجب أن يفعله بالعظمتين.

بعد انتهائه من تناول القهوة وتدخين سيجارتين، شغل إرلندور محرك السيارة، وسار ببطء بعيدا عن باكسيل على طول الطريق المؤدي إلى إيسكيفنغدور، ثم توجه نحو القرية. انعطف قبلها تماما، توقف أمام بوابة المقبرة. بقي في السيارة لفترة من الوقت، ولم يوقف عمل محرك السيارة، لا يزال يستمتع بتدفق الهواء الدافئ من جهاز التدفئة. التقط الصندوق، وفتحه وتفقد العظمتين، لو كان هناك المزيد، هل كان دانييل سيلتقطها أيضا؟ فكّر إرلندور في هذا السؤال طوال الليل، علم أنه سيتعين عليه تسلق الجهة الشمالية من الجبل، ليس بالضرورة بحثا عن بقايا أخرى، فلم تكن لديه أية فكرة عن مكان العثور على العظمتين أو كيفية وصولهما إلى هناك. لا، عليه الذهاب إلى هناك لأسباب أخرى.

خرج من السيارة، ممسكا الصندوق بيده، جلب المجرفة من الخلف. ليس عليه الحفر عميقا هذه المرة، مجرد حفرة صغيرة فوق قبر أمه.

وجد قبري والديه هناك في الهواء الطلق، وفكّر في السنوات التي مرت منذ وقوع الحادث، لأنهم عاشوا في الشرق. اعتادت والدته حالا على الصخب والازدحام المروري عند انتقالهم إلى ريكيافيك، لكن لم يكن والده سعيدا البتة؛ فقد وجد المدينة صاخبة وغريبة. كانت الضواحي الجديدة تُبنى دائما بين ليلة وضحاها تقريبا، أصبحت تلك الضواحي الآن قديمة وراسخة، ومع ذلك، فقد تمت إضافة مناطق جديدة إلى المدينة لتلبية احتياجات السكان القادمين من الريف، الذين لم يتكيفوا جميعا بسهولة مع ظروفهم

الجديدة، وهكذا مرت السنوات، وتقدم الوقت بلا هوادة نحو المستقبل الذي لن يتعرف إليه أحد من الماضي العتيق.

مثل والده، لم يتمكن إرلندور من الاستقرار أبداً في البيئة الجديدة، ولم يستوعب ما كان يفعله هناك. كل ما عرفه هو أنه وصل إلى طريق مسدود في مكان ما خلال رحلته في الحياة، ولم يتمكن من الالتفاف والعودة مجدداً. عندما وقف هناك مع العظمتين في يديه، لم يشعر بأية غبطة، ولم يراوده شعور بأن معاناته قد انتهت أخيراً، وأنه قد تلقى أجوبة عن الأسئلة التي كانت تلاحقه منذ اختفاء أخيه. لقد نسي أي أمل بالسعادة منذ وقت طويل.

رفع إرلندور ناظره نحو الجبال. تساقط الثلج على سفوحها.

أزاح ناظره نحو المقبرة الآن، إلى صفوف من شواهد القبور والصلبان. وُلد. مات. دفن. الزوجة الحبيبة. لتتبارك ذكراك. ارقد في سلام. الموت فوق الجميع.

الموت داخل صندوق صغير.

بالنظر مرة أخرى إلى العظمتين، عرف في داخله أنه استعاد بقايا صغيرة من رفات شقيقه. حاول لسنوات تصور كيف ستكون ردة فعله إذا وجد نفسه في هذا الموقف. أصبح الجواب الآن في متناول اليد. لكنه شعر بالخدر، بالفراغ. لم تستطع هذه الشظايا الصغيرة من العظام الإجابة عن أسئلته. استحالت معرفة المكان الذي مات فيه شقيقه، وسيحيط الغموض دائماً بكيفية انتهاء عظامه على المنحدرات الشمالية من هاردسكافي. لا شيء سيغير حقيقة أنه توفي في عاصفة ثلجية في سن الثامنة. لم يجلب اكتشاف العظام لإرلندور أية رؤى جديدة. كان مجرد تأكيد لما عرفه بالفعل. ومع ذلك، بعد كل هذه السنوات، فقد جلبت له إحساساً ضئيلاً بالخاتمة، مهما كان تافهاً. ما بقي لديه هو الشعور بالفراغ الذي كان أكثر تدميراً من أي شيء مر به.

جانب بنظراته بين القبور والصلبان، وشعر في مكان ما في ذهنه أن هنالك سنة وتاريخا مألوفين، كما لو كانا مهمَّين. عاد وتفحص النقوش على الشواهد، في محاولة اكتشاف ما كان يلحّ على ذاكرته. لفت نظره عام 1942. مشى إلى شاهد القبر المصنوع من الغرانيت المجوّى الذي برز قرابة المتر فوق الثلج. اتضح أن هذه هي السنة التي توفيت فيها المرأة التي تدعى ثورهيلدور فيلهجالمسدوتير. وُلدت في عام 1850. أجرى إرلندور بعض العمليات الحسابية الذهنية السريعة. كانت تبلغ واحدا وتسعين عاما عندما توفيت. وُلدت في 7 سبتمبر في منتصف القرن التاسع عشر وتوفيت في 14 يناير 1942، في منتصف الحرب العالمية الثانية.

حرق في التاريخ مرة أخرى. توفيت في 14 يناير في العام الذي فُقدت فيه ميثلدور، وكانت ثورهيلدور قد توفيت قبل أسبوع من العاصفة التي جاء فيها الجنود البريطانيون لتقديم التعازي، قبل أسبوع من اختفاء ميثلدور.

تجهّم وهو يحرق إلى قبر المرأة، مما لا شك فيه أنه قد تم بناء الشاهد بعد موتها، ربما بعد سنوات أو حتى عقود. استحالت معرفة ذلك. ولكن يمكن للمرء أن يتأكد إلى حد ما من أنه لا يفصل أكثر من أسبوع بين وفاتها والجنّازة. ربما قد تسببت العاصفة في 21 ببعث التأخير، لكن كان من الممكن أيضا أن تكون ثورهيلدور قد دفنت قبل العاصفة.

نهض إرلندور، غارقا في التفكير، مع تعمقه في التاريخ: يناير 1942. فكّر في العاصفة، وموت ميثلدور، وعزرا. لكن الأهم من ذلك كله أنه فكّر في يعقوب والخيارات التي كانت متاحة أمامه، أدرك أنه سيحتاج إلى الاطلاع على نسخة من سجل الأبرشية.

بعد أن أرشده أحد عمال محطة البنزين إلى منزل القسيس، التف حول المنزل ورن جرس الباب، أجابت امرأة في منتصف العمر، طلب إليها رؤية

القسيس، أوضحت المرأة أنه ذهب في رحلة قصيرة إلى ريكيافيك، لكنه سيعود في غضون يومين.

سألها: "هل تعرفين أين يمكنني الحصول على سجلات الأبرشية التي يعود تاريخها إلى الحرب العالمية الثانية؟". وبذل جهده كي لا يبدو مستعجلا.

كررت المرأة: "سجلات الأبرشية؟ أخشى أنني لا أعرف شيئا حيال الموضوع. تقصد السجلات القديمة؟ أتوقع أنها موجودة في المتحف الإقليمي في إيغلستادر، هذا ما أعتقد. بالرغم من أنه لا شك في أن زوجي رونار يمكنه مساعدتك لو كان موجودا هنا".

شكرها إيرلندور، وعاد إلى محطة البنزين، واستعار هاتفا ليتمكن من الاتصال بالمتحف. لم يشحن هاتفه المحمول أبدا منذ وصوله إلى الشرق. أُبلغ أن سجلات أبرشية إيسكيفنغدور كانت بالفعل ضمن الأرشيف، وأنهم يرحبون به إن هو رغب في القدوم، كان قد دوّن تاريخ ميلاد ثورهيلدور ووفاتها قبل مغادرة المقبرة، لذا عاد إلى سيارته، وشرع بالرحلة التي أصبحت مألوفة بالنسبة إليه من وادي فاجريدالور إلى إيغلستادر.

عندما طلب رؤية سجلات كنيسة إيسكيفنغدور التي تعود إلى الحرب، كان أمين المتحف، الذي تبين أنه الرجل الذي أجاب على الهاتف، أكثر لطفا مما توقع. ذهب وأحضر السجل بعد أن رافق إيرلندور إلى طاولة ليتمكن من الاطلاع عليه على مهل.

قلب إيرلندور الصفحات التي وصلت إلى بداية عام 1942. لم تكن هناك سوى جنازة واحدة بين السنة الجديدة وشهر مارس. استذكر أن عزرا أخبره أنه قابل يعقوب في المقبرة في شهر مارس، بعد شهرين من اختفاء ميثلدور، وأنه كان يحفر قبرا في ذلك الوقت.

دُفنت ثيرهيلدور في 23 يناير بعد يومين من العاصفة، بعد تسعة أيام على وفاتها.

لم تشكل مذكرة القسيس، الملاحظة الغامضة التي كُتبت على الهامش، مفاجأة لإرلندور.

حُفر هذا القبر من قبل يعقوب راغنارسون.

مكتبة

t.me/t\_pdf

بعد مرور ساعتين، كان يقف بجانب قبر ثور هيلدور فيلهجالمسدوتير مرة أخرى. لقد فتح مؤخرًا تابوتا ولم يكن متأكدًا من رغبته في تكرار التجربة، لكنه لم يستطع تأكيد شكوكه بأية طريقة أخرى. وثق إلى حد ما بنظريته بعد تقلبيه للأمر في ذهنه طول الطريق عودة من إيغلستادر.

مع ذلك، لم يعتقد هذه المرة أنه بحاجة إلى حفر مسافة عميقة للعثور على الأدلة. لم يكن من المحتمل أن يضطر لنش تابوت ثور هيلدور أو التنقيب تحته، من المفترض أن يكون يعقوب قد اتخذ المسار الأسهل، خاصة أنه لم يكن لديه الكثير من الوقت. أيا يكن الأمر، لم يعتقد أن أحدا سيريد إعادة فحص جثة امرأة في التسعينيات، وكلما أطال إرلندور وقوفه فوق القبر، أصبح أكثر قناعة بأنه لا يحتاج إلى حفر أكثر من متر للعثور على ما يسعى إليه.

بدأت الشمس تغيب، لذلك قرر الانتظار حتى يحل الظلام تماما. عاد إلى السيارة، وشغل جهاز التدفئة وجلس هناك للاستماع إلى محطة إذاعية تعزف موسيقا الجاز الحديثة التي لا يعرف شيئا حيالها ولكنه وجدها مريحة للأعصاب. حاول أن يسترخي، أن يمنع نفسه من التفكير في عزرا، وميثلدور، ويعقوب، في شقيقه وصندوق العظام، وكل ما اكتشفه خلال أيامه المعدودة في المضيق الشرقي. لم يفكر في المنزل مرة واحدة، لأنه انشغل للغاية بالتحقيق الذي أجراه. تشبثت به القضية لسنوات.

لقد فكر حقيقة في النظر في قضية اختفاء ميثلدور قبل الآن، ولكن لقاءه بمحض المصادفة مع بواس في الجرود هو الذي دفعه للبدء بذلك. لم يكن

بحاجة حقا إلى التفكير مرتين قبل الذهاب إلى هرونند. تاق لمعرفة المزيد، لمعرفة السبب. ذات مرة قال له أحدهم إن الأمر لم يعد مهما. إن مضي السنوات والقوة التدميرية للوقت سيمحوان الحاجة إلى أي تحقيق. لن يغير ذلك شيئا؛ أصبح الأمر الآن متصلا بحفنة من الناس فقط لا غير. كان هذا صحيحا إلى حد ما. لم يكن هناك خطر: كان هناك شخص واحد لديه مصلحة في حمايته، لكن إرلندور علم الحقيقة بشكل أفضل. عندما فقد أحد الأحياء مّر الزمن ولم يتغير شيء. من المسلم به أن الزمن يخفف الألم، ولكن في الوقت نفسه، تصبح الخسارة رفيقا دائما للذين نجوا، مما يجعل الحزن أكثر عمقا بطريقة لم يستطع تفسيرها.

فكّر في ابنته وآخر لقاء بينهما، عندما أخبرته أنها غفرت له سنوات الإهمال منذ أن طلق والدتها، وابنه الذي لم يقدم أية مطالب، وفالغيردور الذي حاول ببساطة جعل حياته أسهل، وماريون برايم الذي توفي وحيدا. فكّر أيضا في زميليه، إلبورغ وسيغودور أولي، وفي القضايا التي حققوا فيها، والسنوات التي عملوا فيها معا.

سرعان ما حل الليل، عندما شعر أن الظلام كان كافيا لخرج من السيارة ودخل المقبرة مع القنديل ومجرفة. بينما كان يشق طريقه نحو قبر ثورهيلدور، شكر حظّه السعيد لأن الحركة المرورية قليلة جدا في هذا الجزء من القرية. وضع القنديل على الأرض، وبدأ يجرف الثلج عن القبر، ثم نزع قطعة كبيرة من العشب لتكشف أسفله الأرض العارية.

عمل بطريقة منهجية. توقف للحظات عن العمل عندما فكر في ما عليه قوله في حال رأى أحدهم ما كان يفعله. يمكنه دائما أن يُخرج بطاقة الشرطة إذا لم يفلح أي شيء آخر، لن يتساهل رؤسائه معه نظرا لإجرائه تحقيقا خاصا من هذا النوع، ولكن على الأقل كانت نواياه جيدة، كل ما كان يفعله هو

حل جريمة قديمة، هذا هو السبب في أنه سمح لنفسه بأن ينبش قبر يعقوب، ويحفر الآن قبر ثور هيلدور.

وضع القنديل في مكان قريب، وحفر بعناية، لكنه لم يلحظ أي عائق. التقط القنديل وأضاء الحفرة، لكنه لم يرَ شيئاً. وقف بانتصاب ومدد ظهره. أضاءت أضواء الشوارع في القرية الميناء وسفوح الجبال أعلى المنازل. مثل غيرها من التجمعات السكنية في المضائق الشرقية، لم تكن إيسكيفجوردور أكثر من مجرد مجموعة من المباني تلتف حول الميناء، ولها شارع رئيسي يمتد على طول الواجهة البحرية، ومع ذلك، فإن لها تاريخاً طويلاً وعاش سكانها على مر الأجيال تغييرات كبيرة. كان التحول الجذري الأعظم هو الذي حدث وقتها، حين تم بناء السد العملاق في المرتفعات لتوفير الكهرباء لمصهر الألمنيوم في المضيق المجاور. تقدم الماضي بلا هوادة نحو المستقبل.

استأنف الحفر. نظر حوله بين الحين والآخر بحثاً عن أي شخص قد يطالبه بتفسير. لكنه لم يرَ أحداً.

حفر الأرض بالمجرفة مرة أخرى. حفر ما يقارب النصف متر. ألقى بالتراب نحو أعلى الحفرة، دفع نصل المجرفة إلى الأعلى مرة أخرى، وشعر بمقاومة، كما لو كان قد اصطدم بحجر. سمع صوت نقرة صغيرة. أحضر القنديل وأضاء البقعة لكنه لم يرَ شيئاً، لذلك تابع الحفر مرة أخرى، وأصبح الآن متأكداً من وجود عائق. تخلص من التراب باستخدام نصل المجرفة، ثم أضاء الحفرة مجدداً.

هذه المرة، لاحظ على الفور شيئاً في التربة لم يستطع التعرف إليه. تمكن من تحريكه عبر تزليق المجرفة أسفله، ثم ألقى مجرفته، وتحسس الشيء بأصابعه وحمله باتجاه الضوء. لم تكن لديه أدنى فكرة عن ماهية الشيء قبل



أن يمسح عنه بعض التراب. ثم أدرك ما كان يمسك: كان يحمل سكيناً، كانت الشفرة صدئة ومعوجة وقد تحلل المقبض الخشبي تقريباً. استذكر ما قاله عزرا حول إخفاء يعقوب غرضاً له مع الجثة، خَمَّن إرلندور أن السكين كان مُلكاً له.

وضعه جانبا، التقط المجرفة مجدداً وتابع الحفر، بعد أن ضرب الأرض بمجرفته مرة أخرى، اصطدم بعائق آخر.

في البداية، لم يتمكن من رؤية أي شيء، لكن عندما أمعن النظر بدأ يلحظ وجود شيء ما في التربة، إنه أشبه بإحدى تلك الصور الخادعة التي تكشف عن نفسها تدريجياً للمراقب: خطوط مألوفة، صورة تعرف إليها ترقد في الأسفل، انحنى إلى أسفل الحفرة ليمسح التراب عما عثر عليه. تجمع القليل من الماء في القاع، لكنه لم يرَ شظايا من الخشب المكسور أو أي أثر آخر يدل على التابوت.

أخيراً، أخفض القنديل أسفل الحفرة، وواجه ما كان مخبئاً فوق مكان الراحة الأخير لثور هيلدور فيلهجالمسدوتير. لم تكن السيدة العجوز وحدها في قبرها. تحت غطاء الليل، وُضع ضيف غير مدعو وغير مرغوب فيه هناك معها، وطُمر التراب فوقهما.

أول ما اكتشفه على نحو واضح هو صف من الأسنان نصف مغمور بالمياه الموحلة. ثم اتضح أمامه جزء من الجمجمة، مكتملة مع الفك السفلي والأضراس، عرف إرلندور أنه عثر على بقايا ميشلدور، التي زُعم أنها ماتت متأثراً بالعوامل الطبيعية في أثناء عبورها فوق ممر هرايفرسود في عاصفة يناير

عام 1942.

فتح عينيه. راوده ذلك السؤال البغيض مجددا.

قال: "أعلم من أنت".

قال المسافر: "ماذا؟"

"أتيت من قبل إلى منزلنا وتحدثت مع بيرغور".

"أنت تذكر".

"قلت إنه لن يظل معنا طويلا".

لم يُجب المسافر على هذا.

"لأنه كان هذا النوع من الروح. إنه أنت. أتذكر كل شيء بوضوح. من

أنت؟ لمَ أنت هنا؟".

بقي صامتا.

"أين نحن؟".

كان لديه انطباع أنه يستلقي على حصيرة النوم في المزرعة الخربة، وأن

الرجل قد جاء لزيارته هناك. ولكن لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا، فهو

يتذكر الآن أنه غادر المنزل. ترك وراءه أمتعته وسيارته، وانطلق من دون أية

أعباء إلى الجبل، إلى الجهة الشمالية من هاردسكافي. بالرغم من أنه بالكاد

استعاد وعيه لأكثر من بضع ثوانٍ بين الحين والآخر، وبدأ البرد الذي قتله

تدرجيا يشوش على دماغه، إلا أنه متأكد تماما من هذه الحقيقة على الأقل.

من المستحيل أن يكون قد تحدث إلى الرجل في المزرعة القديمة لأنه لا

يوجد أحد هناك، ولا حتى هو نفسه.

سأل المسافر: "ألا تعرف؟".

"من أين أتيت؟".

لم يكن هناك جواب.

سأل: "أين أنا؟"

مرة أخرى، شعر أن المسافر الذي تمتع بكرم والديه في باكسيل ليس وحده. يرافقه ذلك الكيان الخفي الذي شعر بوجوده بقوة.

سأل مجددا: "من هذا الذي برفقتك؟".

"من؟".

"الشخص الذي برفقتك؟ من هو؟".

"لا تخف منه".

عمّ الصمت.

"هل تعتقد أن الوقت قد حان لتلقي به؟".

"من هو؟".

"أنت قريب منه للغاية، أنت تعرف من هو. في داخلك. أنت تعرف من الذي أتى معي لرؤيتك. يقول ليس لديك ما تخشاه. هل تصدقه؟ هل تصدقه عندما يقول إنه ليس لديك ما تخشاه؟"

عم الصمت مجددا.

"أنت تعرف من هو".

"ليس..."

"أنت الذي يبقيه بعيدا".

عندما اختفى المسافر، اعتقد أنه سمع صوت طفل خافتا، بعيدا. لم يستطع فهم ما يقوله، لكنه عرف صاحب الصوت، عرف الآن من برفقة ذلك الرجل. لم يسمع هذا الصوت منذ سنوات طويلة، واعتقد أنه لن يسمعه مرة أخرى. استعاد رشده بعد فترة وجيزة، ليجد أن البرد قد أصبح أكثر حدة. فقد وعيه مرة أخرى.

وجد بقايا ميثلدور، ولكن لم يتتابه أي شعور بالنصر، ولا بالرضى لما أنجزه. بدلا من ذلك، شعر بالحزن وانتابته رغبة ملحة في الذهاب وإخبار عزرا أن معاناته قد انتهت أخيرا. جرف التراب مرة أخرى إلى داخل الحفرة على عجل، واستبدل قطعة العشب التي انتزعها، وألقى بضع مجارف من الثلج فوق التربة، وصلّى كي لا يلحظ أحد القبر في وقت قريب. بعد ذلك، التقط القنديل والمجرفة، وعاد إلى السيارة.

قبع منزل عزرا في الظلام. أضاءت المصابيح الأمامية المنزل قبل أن يطفئها ويخرج إلى أمام المرآب. لم يكن هناك ضوء في الداخل، وكان مصباح الباب الأمامي محطما، لاحظ إرلندور هذا في زيارته الأولى قبل أيام قليلة ونوى إخبار عزرا أن عليه استبداله.

طرق الباب، لم يتلقَ أي جواب، جرّب الإمساك بالمقبض. فُتح الباب حالا ومشى إلى الداخل.

نادى: "عزرا هل أنت في المنزل؟".

لم يكن هناك جواب، لذلك تلمس طريقه إلى المطبخ حيث وجد ضوءا. نادى مجددا: "عزرا".

ربما خرج من المنزل، ربما انفجر صمام كهربائي وذهب لشراء بديل. وقف إرلندور في المطبخ، في انتظار أن تعتاد عيناه على الضوء. بالكاد استطاع رؤية أي شيء بصرف النظر عن الخطوط العريضة لطاولة المطبخ، لكنه يتذكر أن الحوض كان وراءه.

"عزرا".

سمع صوت صرير قادمة من إحدى الزوايا.  
حدق إلى المكان الذي قبع فيه الكرسي الخشبي، رأى شخصا ينهض  
عنه، ولكن لم يمكنه رؤية سوى ظل أسود.

همس إرلندور: "عزرا؟"

ظهر شكل مظلم أمام النافذة، خطا خطوة، ثم خطوة أخرى، وشعر بأداة  
باردة تضغط برفق أسفل ذقنه. لم يجرؤ على التحرك. شعر بنفحة من المعدن  
والبارود. ببالغ البطء، أفسح المجال أمام ما اعتقد أنه فوهة بندقية.  
سأله صوت منخفض قادم من الظلام: "هل أتيت لاعتقالي؟".  
"لا".

"إذن اخرج".

همس إرلندور: "عزرا؟".

"لا أريد رؤيتك هنا مجددا. اخرج قبل أن أرتكب شيئا غيبيا".  
"أتيت كي... عزرا، لقد عثرت عليها".  
"ماذا تريد؟".

"أنا أحاول إخبارك".

"ما الذي تتحدث عنه؟ على ماذا عثرت؟".

"عثرت عليها، عثرت على ميثلدور، أعلم أين هي".  
"ماذا تعني؟".

"عزرا، أعلم ما فعله يعقوب بها. اكتشفتُ أين أخفى جثتها".

كان رأسه إلى الخلف بسبب ضغط فوهة البندقية، واستطاع رؤية عزرا  
بشكل غير واضح، كصورة ظليلة أمام النافذة.  
سأله عزرا: "هل تسخر مني؟".

أجابه إرلندور: "أعتقد أن بإمكانني إثبات ذلك. هل بإمكانك إشعال الضوء؟".

"إثبات ذلك؟ كيف؟".

"وجدت شيئاً بحوزتها أعتقد أنه يعود إليك".

"ماذا؟ ماذا وجدت؟".

كرر إرلندور: "عليك إشعال الضوء".

قال عزرا: "هذا غير ممكن".

"هل لديك قنديل إذن؟".

لم يجب عزرا.

"لا يمكنني أن أريك الشيء في كل هذا الظلام".

"هناك قنديل على الطاولة".

قال إرلندور: "أحضره إلى حوض غسل الأطباق، عليّ شطف التراب عنه".

بقي عزرا ممسكا بالبندقية وهما يتجهان إلى الحوض. أمسك القنديل بيده الأخرى، شغله ولم يعد إرلندور قادرا على الرؤية لأن الوهج اصطدم بوجهه مباشرة.

حذره: "لا تفعل شيئاً ستندم عليه، عزرا".

تمتم عزرا: "أخبرتك أن تتركني وشأني".

لفّ إرلندور السكين بكيس بلاستيكي صغير وجده في السيارة. أخرجه بحذر من جيبيه، ثم من الكيس، وفتح صنبور المياه الباردة وغسل التراب عنه، وجّه عزرا القنديل نحو السكين الذي تساقطت كتل التراب عنه.

سأل إرلندور: "هل تعرفت إليه؟".

لم يجبه عزرا على الفور.

"هل تعرفت إلى السكين؟".

ما من جواب

قال إرلندور: "وجدته مدفونا فوق الجثة. لم يكن يعقوب يكذب. وضع السكين داخل قبرها ليورطك بقتلها. ربما طعنها مرة أو مرتين باستخدامه بعد وفاتها. هل هذا السكين لك؟".

أجاب عزرا وهو يقف خلف القنديل: "هذا السكين لي".

"أتوقع أنه سرقه عندما أتى إلى منزلك ليخبرك أن ميثلدور قد خرجت في العاصفة".

"أين هي؟".

أجاب إرلندور: "في المقبرة. إنها مدفونة في المقبرة. عمل يعقوب حفار قبور، وكان قد حفر قبراً لامرأة مسنة أقيمت جنازتها قرابة الوقت الذي فُقدت فيه ميثلدور. لا بد أنه حباً جثتها في المنزل، وبعد طمره نصف قبر المرأة المسنة، تسلل إلى المنزل، وأحضر جثة ميثلدور ليضعها فوقها".

"في المقبرة؟".

"أجل".

"كيف عرفت؟".

"لاحظت تاريخ وفاة المرأة وربطت الأمور ببعضها. كل ما ترتب عليّ هو حفر حفرة صغيرة في قبرها. وجدت بقايا ميثلدور يا عزرا. وجدتها! انتهى صراعك مع الشكوك".

بقي عزرا متشبثاً ببندقيته ولم يُظهر أية عاطفة.

تابع إرلندور: "لن تعود إليك يا عزرا. لقد ذهبت إلى الأبد. إنها ميتة. رأيت عظامها".

"لِمَ أنت واثق للغاية من أنها هي؟".

قال إرلندور: "صدقني. لقد عثرت على ميثلدور. دُفن سكينك معها، عزرا. إنها هي".

دُهِش من ردة فعل عزرا في البداية، ولكنه تفهم الأمر بعد التفكير قليلا. فقد غمره الشعور نفسه عندما وجد عظمتين صغيرتين في صندوق دانييل الكرتوني. أدرك أنه انتهك بعض قوانين الثبات غير المكتوبة. كان قد تخلص من أعبائه وشغل آلية جديدة للحياة مرة أخرى. من الطبيعي أن يستغرق عزرا بعض الوقت لفهم هذا الواقع الجديد المتغير. لا يمكن للمرء أن يتوقع حدوث ذلك في لحظة.

سأل إرلندور: "ألا يمكننا تشغيل الضوء؟".

أجاب عزرا: "لا".

"ماذا ستفعل بالبندقية، عزرا؟".

"هل عثرت عليها حقا؟".

حاول إرلندور أن يشرح له مرة أخرى: "أخفاها يعقوب داخل قبر مفتوح في المقبرة. كان ذلك سهلا بالنسبة إليه. كان القبر جديدا عندما التقيته هناك بعد شهرين، وبدأ يلقي ببعض التلميحات. لعله ظن أنه يتصرف بذكاء - أنه يستخدم ذلك المكان من بين كل الأماكن الأخرى. كان واثقا من أنه لن يُعثَر عليها قط، لعله حفر القبر عندما قتلها. ثم استخدم العاصفة ليخترع كذبة حول رحلتها، واستغل الفرصة للتخلص من جثتها داخل الحفرة. لا يمكن أن تعود الجثة لشخص آخر، لم يكن عليه الحفر كثيرا، إنها بالكاد ترقد على عمق مجرفة.

خفّ الضغط الناتج عن فوهة البندقية قليلا عن ذقن إرلندور.

همس عزرا: "ذلك الوغد اللعين".

"عرف يعقوب ما كان يفعله".



تصرف إرلندور بسرعة، وسحب فوهة البندقية ولوaha بسهولة من يد عزرا، فأبعد الرجل العجوز مترنحا إلى الورااء. سقط القنديل على الأرض وانطفأ. وضع إرلندور البندقية بجانب قدميه.

سأل: "ما خطب الأضواء؟".

"قُطعت الكهرباء".

"ما الذي كنت تفعله وأنت تجلس في الظلام ممسكا بسلاح؟".

"هل تكذب عليّ؟".

"ما قلته حقيقي كحقيقة وجودي هنا".

"ماذا رأيت؟".

"هذا يكفي. يعود الأمر لك لتقرر ما تريد فعله بقبرها".

كرر عزرا: "وضعها في قبر مفتوح؟ حافر القبور - كان عليّ أن أعرف الأمر واضح إن فكرت فيه قليلا. بالطبع استخدم المقبرة. كنت واثقا من أنه سيتخلص من جثتها في البحر، أو يرميها داخل إحدى الفجوات. لم يخطر لي قط أنه سيستخدم المقبرة".

تبع كلامه صمت طويل.

أخيرا، سأل عزرا: "هل هناك أية جدوى من إعادة دفنها الآن؟".

سأله إرلندور: "أما زلت خائفا من أن يكشف أمر علاقتكما؟ أن تكشف خبايا تلك القصة الحزينة؟".

أجاب عزرا: "أنا لا أفكر في نفسي. يجدر بي شكرك على كل ما فعلته.

أنا... أنا لم ألتق في حياتي شخصا عنيدا مثلك".

طمأنه إرلندور: "لن أخبر أحدا بما أعرفه. يمكنك الوثوق بي. ما ستفعله الآن يعود بالكامل لك بما أنك أصبحت تعرف مكانها الآن، تعرف قصة مصيرها الكاملة ويمكنك توديعها أخيرا بعد كل تلك السنين، بالطريقة التي تريدها".

"يجدر بي... يجدر بي شكرك".

"ذلك غير ضروري حقا".

"أعتذر عن الطريقة التي عاملتك بها. أنا -"

قاطعته إيرلندور: "أتفهم ذلك. قدوم شخص مثلي إلى منزلك ليس بالأمر السار، أنا مدرك لهذه الحقيقة تماما".

أمكنه الإحساس في ذلك المطبخ المظلم بأن عزرا قد اتكأ على الطاولة. سأله إيرلندور: "أتريد مني أن أصطحبك إلى هناك؟ الوقت متأخر".  
"شكرا لك. بالطبع أرغب في الذهاب. تسرني معرفة أنها في مكان مثل هذا".

مكتبة  
t.me/t\_pdf

قاد إرلندور الرجل العجوز خلال الليل إلى المقبرة، لم يكونا في مزاج مناسب للحدث. تساءل إرلندور عما كان يفعله، جالسا هناك بمفرده وهو يحمل بندقية في المنزل المظلم. كان قد سأله عما إذا كان هناك أي صديق يجب أن يتصل به ليظل بصحبته، لكن عزرا أجاب بـ (لا) مستاء من تدخله، فتوقف إرلندور عن السؤال. لم يستطع معرفة كيف أثار إيجاد أجوبة عن الشكوك التي راودت عزرا طوال عقود، أية راحة قد شعر بها حدّ منها الحزن العميق على مصير ميثلدور. أخيرا، عرف القصة بأكملها، من البداية وحتى النهاية، لكن لم يفعل الوقت الكثير لتخفيف وقعها عليه.

ركن إرلندور سيارته بجانب المقبرة وأطفأ المحرك، بقي الرجلان في السيارة لدقائق من دون التكلم حتى كسر إرلندور الصمت أخيرا.

"حسنا، هل نذهب؟"

شرد عزرا في عالم آخر.

قال إرلندور: "عزرا؟"

"نعم".

"هل نذهب؟"

التفت الرجل العجوز نحوه، علم إرلندور أنه يتصارع مع نفسه ليحبس دموعه.

نطق على نحو متلعثم: "لا أعلم إن كان بمقدوري القيام بهذا".

"لا، بالطبع. يمكنني إعادتك إلى المنزل. بإمكانك القدوم إلى هنا في الغد.

أو حينما ترغب في ذلك. كما قلت سابقا، بإمكانك الاحتفاظ بالمعلومات لنفسك

أو إخبار أي شخص مستعد للاستماع، يمكنك التصرف وفق ما تراه مناسباً".

جلسا هناك دون أية حركة. أحدث القمر صدعا في الغطاء السحابي الكثيف، وألقى بضوء باهت فوق المقبرة. بدا أن ذلك قد حفّز عزرا. رفع رأسه ليرى الصفوف المليئة بالحجارة والصلبان التي ينتمي العديد منها إلى أشخاص عرفهم. كان قد حضر جنازات هنا، ولم يشك أبداً في مدى قربها من حبه المفقود. أخيراً قال وهو يفتح الباب: "هيا بنا".

ترجلا من السيارة، ورافقه إرلندور من البوابة وصولاً إلى قبر ثورهيلدور.

قال: "ميثلدور موجودة في الأسفل هنا. أنا نبشت ذلك التراب".  
حدق عزرا إلى شاهد القبر، وحاول قراءة اسم ثورهيلدور وتاريخي الولادة والوفاة تحت ضوء القمر. ثم ركع بصعوبة على قدم واحدة. تنحى إرلندور جانبا ليوفر له بعض الخصوصية، وتجول أمام قبوري والديه. كانت هناك مهمة أخرى وجب عليه القيام بها قبل انتهاء الليل. نظر من زاوية عينيه إلى الرجل العجوز وهو يركع على قبر المرأة التي أحبها منذ سنوات عديدة. تمكن من جمعهما مرة أخرى، بالرغم من أن الموت ما زال قائماً. تمكن من حل لغز قصة عزرا وميثلدور.

نهض عزرا ورسم علامة الصليب. سار إرلندور نحوه لينضم إليه.

سأله عزرا: "هل بإمكانك اصطحابي إلى المنزل؟"

"بالطبع. لا يمكنني تخيل صعوبة هذا الموقف".

نظر عزرا إليه: "أعتقد أنني أستحق ذلك بعد ما فعلته بـيعقوب".

سأله إرلندور: "هل تتذكر ثورهيلدور؟".

أوماً عزرا برأسه: "نعم، أتذكر رؤيتها في القرية - سيدة مسنة للغاية. لم

أعرفها تماماً. لكنها كانت امرأة صالحة. ميثلدور بين أيدي أمينة".

سأله إرلندور: "إذن ستبقيها هنا؟"

"ما الذي عليّ فعله برأيك؟".

"إن كانت بين أيد أمينة...".

قال عزرا: "على الأقل أنا أعرف أين هي. ذلك أمر مريح. أخيرا، غمرتني راحة عارمة لمعرفتي بمكانها، لا أعتقد أن عليّ إزعاجها، لا أرى فائدة في ذلك".

قال إرلندور: "جيد. حسنا".

قال عزرا: "أعتقد من الأفضل للجميع أن تبقى القصة على أنها لقيت مصرعها في الجرود".

توجهها نحو المنزل من دون النطق بكلمة واحدة، حجبت الغيوم القمر مجددا.

قال إرلندور وهو يركن سيارته أمام منزل عزرا: "حسنا، ها قد وصلنا".

"نعم، أعتقد ذلك".

"كيف حالك؟".

مد عزرا يده وقال: "سأحيا. شكرا لكل ما فعلته لأجلك".

صافحه إرلندور.

"ماذا كنت تفعل وأنت جالس في الظلام ممسكا بسلاح؟".

"لننه الأمور هنا".

"حسنا".

سأل عزرا: "هل تريد معرفة ما الذي فكرت فيه وأنا راكع فوق قبرها؟"

عندما وجدتها في النهاية. هل تعرف فيم فكرت؟".

هز إرلندور رأسه.

"فكرت في أنه يمكنني الموت الآن. لم أعد محتجزا داخل كل تلك

الشكوك. لا شيء يمكنه أن يبعثني عنها".

فكر إرلندور في كلماته، تصور البندقية الممددة على أرضية المطبخ.  
التقت عيناه بعيني عزرا.

قابله الرجل العجوز بنظرة رجاء.  
سأل إرلندور: "ماذا سيحصل للقطعة؟".  
"ستتدبر أمورها".

نظر إرلندور بعيدا، في ظلام الليل.  
أخيرا قال: "أنا مسرور لأنني قابلتك".  
"وأنا أيضا".

راقب إرلندور الرجل العجوز وهو يدخل إلى منزله. أشعل سيجارة، ثم  
التف بالسيارة، وقاد ببطء على الطريق.

ركن سيارته بجانب المقبرة للمرة الرابعة خلال اثنتي عشرة ساعة، أخرج  
المجرفة وصندوق العظمتين الصغير الذي أحضره من مرآب دانييل. قاطعت  
محاولته السابقة لدفنه في وقت سابق من ذلك اليوم ملاحظته للتاريخ على قبر  
ثورهيلدور. لم يرد أن يقاطع أي شيء آخر هذا الطقس.

التقط المجرفة، كشط الطبقة الرفيعة من الثلج فوق قبر أمه وشق طريقه  
إلى التربة. بعد إزالة مربع صغير من العشب، وضعه جانبا، وحفر إلى عمق  
قدم واحدة. ثم ألقى المجرفة، تناول الصندوق، ركع ووضع داخل الحفرة.

بعد ذلك، أعاد ملء القبر الصغير، دك الأرض بحزم، واستبدل قطعة  
العشب على نحو لا يمكن لأحد معرفة أن القبر قد نبش.  
وهكذا، انتهت الجنازة الصغيرة.

نظر إرلندور نحو هاردسكافي، ثم أرسل نظرة طويلة إلى الخلف في اتجاه  
باكسيل حيث اختبأت المزرعة الخربة في الظلام.  
ثم انطلق مشيا إلى سفوح الجبل.

سمع صوت الطفل يقترب من مسافة بعيدة. رحل المسافر، مصطحبا معه كل المشاعر التي أثارها، من الفزع والألم والبرد، ولم يتبق سوى هذا الصوت الصغير والضوء الذي صاحبه.

إنه صباح مشمس، وهما يسيران بمحاذاة النهر معا. كان الجو هادئا، والسماء زرقاء صافية، وجعلته الشمس يشعر بالحرارة. توقف بيرغور، الذي وقف في المقدمة، وضع راحة يده في النهر، وشرب بعض الماء. استشعر هدوء النهر على وجهه الحار، وشاهد أخاه يجثو على ضفة النهر. شعر براحة غريبة. سأل أخاه وهو ينهض: "هل أنت مستعد؟".

أجابته: "نعم".

"ليس لديك شيء لتخاف منه. أنا هنا".

"أعلم ذلك".

ومض خلفهما المنزل تحت حرارة الشمس. تقع أمامهما الجرود الرحبة، تفوح منها رائحة نبات الخلنج. رفع نظره إلى الصخور بين ممر أوردار كليثور وهرايفرسود، آمنة الآن تحت ستار الصيف. أمسك بيد بيرغور، ومشيا معا على طول النهر في ذلك الصباح المشرق.

عاد إرنلدور إلى مسقط رأسه في مهمة غير رسمية، وزار الجرود التي تكسوها الثلوج. منذ أربعين سنة، خرج ووالده وشقيقه بيغور إلى الجرود، هبت عليهم عاصفة هوجاء، فُقد الشقيق ولم يعثر على جثته. منذ ستين سنة سلكت ميثلدور طريق ممر هرايفرسود، وهبت عليها عاصفة أخرى هوجاء، وفقدت هي الأخرى، ولم يعثر على جثتها، في اليوم نفسه، والممر نفسه ضاع أربعين جنديا بريطانيا في العاصفة، ولكن عثر عليهم جميعا، ولكنهم لم يصادفوا ميثلدور في طريقهم.

ماذا حصل لشقيق إرنلدور، هل خُطف، أم قُتل، أم ضاع؟ وماذا حصل لميثلدور أيضا؟ وهل صحيح أنها كانت في ممر هرايفرسود؟ تحقيق غير رسمي يجريه إرنلدور بدافع من الحنين، والفضول، والندم يفتح دفاتر منسية، ويستتطق رجالا ونساء نسوا ما حدث وربما تناسوه. هل سيصل إرنلدور إلى نتيجة؟

هذا ما ستكشفه صفحات هذه الرواية، ولكن من المؤكد أن النتيجة ستكون صادمة على مستوى بشاعة ما حصل، وأثره في النفوس المكلمة.

صدر أيضاً للمؤلف:



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت  
في مكتبة نيل وفورات كوم  
www.nwf.com

ثقافة  
THAQAFAT  
للنشر والتوزيع ذ.م.م.  
Publishing & Distribution L.L.C.